



للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

مركز
الغامبية



عليه السلام
الربيع

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُعَيِّنُ الْخَطِّبَاءِ

مُجَازِصَاتُكَ فِي الْمَنَاسِكَةِ وَالْأَجَادِ

تأليف

أَبِي سَعْدٍ كَاسِبُ بْنُ الْبَهَادِرِ

الجزء الثالث

مُتَوَسِّطُ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ
الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ

العدد ٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معين الخطباء (محاضرات في العقيدة والأخلاق)

كاتب:

كاظم البهادلى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
7	معين الخطباء (محاضرات فى العقيدة والأخلاق) المجلد 3
7	اشارة
7	اشارة
12	هوية الكتاب
15	المحاضرة الأولى: حكمة الخُلُق
27	المحاضرة الثانية: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
35	المحاضرة الثالثة: زاد السفر إلى الله تعالى
43	المحاضرة الرابعة: الصلاة حصن المؤمن
51	المحاضرة الخامسة: ذكّر الله
65	المحاضرة السادسة: حُسْن الخُلُق
75	المحاضرة السابعة: الظلم
85	المحاضرة الثامنة: الخوف من الله تعالى
95	المحاضرة التاسعة: الفحش والسب والقذف
103	المحاضرة العاشرة: الكلم الطيّب
113	المحاضرة الحادية عشرة: حقوق الوالدين والأرحام
127	المحاضرة الثانية عشرة: الصداقة والأصدقاء
139	المحاضرة الثالثة عشرة: الجار والجوار
149	المحاضرة الرابعة عشرة: تزكية النفس ومحاسبتها
159	المحاضرة الخامسة عشرة: حقوق الأنمة عليهم السلام
175	المحاضرة السادسة عشرة: حبّ النبى وأهل بيته عليهم السلام
187	المحاضرة السابعة عشرة: الفوز فى الدارين
201	المحاضرة الثامنة عشرة: الغيبة وآثارها

213	المحاضرة التاسعة عشرة: صنوف المواعظ
223	المحاضرة العشرون: الحجاب وآثاره
233	المحاضرة الحادية والعشرون: ليلة القدر
241	المحاضرة الثانية والعشرون: فضل القرآن
251	المحاضرة الثالثة والعشرون: الورع والحلم والمداراة
261	المحاضرة الرابعة والعشرون: حق الصدقة
269	المحاضرة الخامسة والعشرون: سيد الأعمال
277	المحاضرة السادسة والعشرون: التفاخر والتكاثر
287	المحاضرة السابعة والعشرون: الصراط
297	المحاضرة الثامنة والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين
305	المحاضرة التاسعة والعشرون: من أحب السبل إلى الله
313	المحاضرة الثلاثون: العيد
325	فهرست أهم المصادر
346	المحتويات
348	تعريف مركز

سرشناسه: بهادلى، احمد كاظم

عنوان و نام پديدآور: معين الخطباء: محاضرات في العقيدة والاخلاق/ تاليف كاظم البهادلى

مشخصات نشر: كربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبة الحسينية المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1435

مشخصات ظاهري: 3ج

يادداشت: عربى.

يادداشت: کتابنامه.

عنوان ديگر: محاضرات في العقيدة والاخلاق.

موضوع: خاندان نبوت -- فضائل

Muhammad, Prophet, d. 632 -- Family -- Virtues: موضوع

موضوع: چهارده معصوم -- فضائل -- مقاله ها و خطابه ها

Fourteen Innocents of Shiite -- Virtues -- *Addresses, essays, lectures: موضوع

شناسه افزوده: مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية. قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسه

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

هوية الكتاب

2014 م - 1435 هـ

الطبعة الأولى

تأليف: الشيخ كاظم البهادلى

الإخراج والمتابعة الفنية

على حسين مطر

الجزء الثالث

ص:6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكرمنا بسيد أنبيائه وأشرف أصفِيائه، محمد والنجباء من عترته وأوصِيائه، حجج الله فى أرضه وسمائه، صلوات الله عليه وعليهم ما استتارت بحبهم قلوب أحبائه، وانشرحت بولائهم صدور أوليائه.

وبعد، هذا هو الجز الثالث من كتابي (معين الخطباء).

ص:7

قال الله عز وجل: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) 1 .

إنَّ الغاية من خلق السماوات والأرض، والعرش والكُرسى، وجميع المخلوقات هي المعرفة والعبادة، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) 2، والآيات في هذا المجال بالإضافة إلى الروايات عديدة، وهي خير دليل على عدم العبثية في الخلق، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) 3، وقال عز وجل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) 4 .

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وعلموا أنَّ الدنيا ليست لهم بدارٍ، فاستبدلوا؛ فإنَّ الله سَـَّبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سُـدًى» (1).

«العَبَثُ بالتحريك: اللعب، يُقَالُ: عبث يعبث - من باب (علم) عبثاً بالتحريك -: لعب وعمل ما لا فائدة فيه، كَمَنْ يَنْزِفُ الْمَاءَ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ عَابَثَ» (2).

فهل من الممكن أن نُصدِّق، بأنَّ هدف الله تبارك وتعالى من خلقه هذا الخلق، بما فيه الإنسان الذي هو أكمل المخلوقات على الإطلاق، هل نُصدِّق بأنَّه خُلِقَ لأجل أن يقضى عدداً من السنين وحسب، ويمرَّ بكلِّ مراحل الحياة ومضايقاتها وأتاعبها ومشاقها وابتلائتها المرّة، وليأكل مقداراً من الطعام ويشرب مقداراً من الشراب، ويلبس وينام ثمَّ يموت، وينتهي كلُّ شيء؟!!

أليس هذا هو العبث بعينه، والذي هو خلاف حكمة الحكيم الصانع عز وجل؟!!

ص: 11

1- (5) نهج البلاغة: ج 1، ص 110، عنه بحار الأنوار: ج 74، ص 314، ح 15.

2- (6) مجمع البحرين: ج 3، ص 105.

أفهل نُصدّق بأنّ هذه المجرّات والكواكب المدهشة للبشر كلّها مخلوقة لأجل غايات الإنسان الدنيئة هذه؟!

الجواب: كلا وألف كلا، إنّ خلقه هذا الخلق بجميع شراشره إنّما هو مقدّمة لعالمٍ أوسع من عالمنا هذا، وهذا العالم هو الذى يمتاز بالدوام الخالد، وهو الذى يُعطى لحياتنا هذه معناها اللائق بها؛ كى لا تكون هى الغاية القصوى من الخلق، ويخلص هذه الدنيا من إشكال التفاهة وعدم الهدفية(1).

والملفت للنظر أنّ فطرة البشر وعقولهم تستنكر العبثية، لذا تّبّعت الآية الشريفة إلى ذلك بهذا الإستفهام الإستنكارى والبيان البديع، ومن هنا قال بعض العلماء: «... فإنّه يدلّ على أنّ العبث قبيح، وقبحه مستقرّ فى العقول، ولذا أنكر عليهم إنكار منبه ليرجعوا إلى عقولهم، ومثله قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ، ونحوه قوله تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) ، وهذا أيضاً يدلّ على أنّ قبح ذلك مرتكز فى العقول»(2).

فالخلاصة: أنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً؛ وإلاّ لما تميّز المطيع عن العاصى، والصديق من الزنديق، والصالح من الطالح.

قال بعض أعلام الطائفة: «فلو كان الإنسان مخلوقاً للحياة الحيوانية فقط لكان إعطاؤه العقل الذى لا يقتنع إلاّ بإدراك أسرار الوجود لغواً، وخلقته على الفطرة التى لا تطمئن دون أية مرتبة من الكمال حتى يصل إلى مبدأ الكمال الذى ليس له حد عبثاً. فالحكمة الإلهية توجب أن لا تُختتم حياة الإنسان بالحياة الماديّة والحيوانية، بل تتواصل؛

ص:12

1- (1) انظر: تفسير الأمل: ج 10، ص 532.

2- (2) بداية المعارف الإلهية: ج 1، ص 123.

لتحقيق الهدف الذى خلقت قوى عقله وروحه من أجله»(1).

ولو رجعنا للآية محل البحث، وجدنا أن أسلوبها أسلوب الإستفهام الاستنكارى، وليس سؤالاً فحسب، بل هو توبيخٌ عظيمٌ للإنسان الذى يؤتى به يوم القيامة، وهو يحمل أوزاراً على ظهره، فيقول له البارى عز وجل: أحسبت أن الأمر انتهى فى الحياة الدنيا، ولا رجوع إلى عالم آخر تحاسب فيه عن كل صغيرة وكبيرة، وكل عمل عملته لم يكن من ورئه إلا - ضرر البشرية، بل الخلق جميعه، وإن تدعى الجهل فسُحاسب حتى عن جهلك.

قال بعض الأكابر: «رذالة الجاهل، وعدم اعتباره، وسفالة حاله، ممّا دلّ عليه كثير من الآيات الكريمة، والروايات الصحيحة، وسرّ ذلك: أن المقصود من خلق الإنسان ليس ذاته من حيث هو، بل العلم بالأسرار الإلهية، والأحكام الربانية، وتنوير القلب بالإشراقات اللاهوتية، والمكاشفات الملكوتية، ثم سلوك طريق العمل بنور الهداية، والاجتناب عن سبيل الضلالة والغواية، والجاهل بمعزل عن هذا المرام، وبعيد عن هذا المقام، وفى كلام الحكماء المتقدمين والمتأخرين أيضاً دلالة على أن الشرف والتقدم للعالم.

قال افلاطون: المستحقون للتقديم هم العارفون بالنواميس الإلهية، وأصحاب القوى العظيمة الفائقة.

وقال أرسطاطاليس: المستحقون للتقديم هم الذين عناية الله بهم أكثر.

وقال المحقق الطوسى: كل اثنين بينهما اشتراك فى علم واحد، وأحدهما أكمل فيه من الآخر فهو رئيس له، ومُقدّم عليه، وينبغى للآخر الإطاعة والانقياد له؛ ليتوجّه إلى كمالٍ لاثنى به، وهكذا يتدرجون إلى أن ينتهوا إلى شخصٍ هو المُطاع المطلق، ومقتدى الأمم كلّهم بالإستحقاق والملك على الإطلاق، ولا نعنى بالملك فى هذا المقام من له خيل وحشم، وتصرف فى البلاد، واستيلاء على العباد، بل نعنى أنه المستحقّ للملك فى الحقيقة،

ص:13

وإن لم يلتفت إليه أحد بحسب الظاهر، وإذا تقدّم عليه غيره كان غاصباً جائراً، ويوجب ذلك فشو الجور في العالم وفساد نظامه»(1).

ثمّ قالت الآية: (وَأنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)، والمقصود من الرجوع إليه عزّ وجلّ: هو الوقوف بين يديه حيث لا مالک ولا حاکم سواه عزّ اسمه.

والمعنى الإجمالي للآية: «أنّه لو لم يكن رجوع بعد هذه الدنيا إلى الله، فإنّ الحياة في هذه الدنيا ليست سوى عبث في عبث. نعم، فإنّ الحياة في هذه الدنيا تجد معناها، ويكون لها مفهومٌ ينسجم مع حكمة الله سبحانه وتعالى عندما تعتبر: (الدنيا مزرعة للآخرة)، و (الدنيا قنطرة) ومكان تعلّم، وجامعة للاستعداد للعالم الآخر، ومتجر لذلك العالم، تماماً كما يقول أمير المؤمنين على عليه السلام في كلماته العميقة المعنى: إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عاقبة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله.

خلاصة القول: إنّ الفحص والمطالعة في وضع هذا العالم يؤدّي إلى الاعتقاد بعالم آخر وراء هذا العالم، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»(2).

المعنى الأول لفهم الدنيا

ليس المراد من عدم اعتبار الدنيا هي الهدف من الخلق، أن تترك أبداً، بل المقصود هو الإشارة إلى كَيْفِيَّة استثمار هذه الحياة؛ لتكون ممراً إلى ذلك المقرّر، فإنّ الحياة الدنيا والنشأة فيها لم تكن مذمومة، ولا ينبغي معاداتها، وإتّما المذموم هو الاعتماد الكلّي على الدنيا، مع طول الأمل ونسيان الموت، فيؤخّر الأعمال الصالحة لذلك، وبه يكون قد سوّف التوبة،

ص:14

1- (1) شرح أصول الكافي: ج 2، ص 206.

2- (2) تفسير الأمثل: ج 14، ص 266.

وعمل كل قبيح، أو جمع الأموال الطائلة، وبنى القصور الرفيعة، ووَقَّر سائر الأمور الكمالية، معتمداً على هذا العمر الفانى بتسويات الشيطان، فتحصل الغفلة عما ينفع فى الآخرة، ويفنى عمره فى تحصيل الاعتبار الفانية، ويكره الموت حينئذٍ؛ لتعلقه بالأموال والأولاد، وسائر ما يملكه، ويريد البقاء فى الدنيا للتمتع بهذه الأسباب، كما روى هذا المعنى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى أبى ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتُم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكروهون أن تُثقلوا من عُمران إلى خراب، فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أمّا المُحسن منكم، فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسىء منكم، فكالآبق يرد على مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إنَّ الله يقول: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)، قال: فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريبٌ من المُحسنين، قال: أبو عبد الله عليه السلام: وكتب رجل إلى أبى ذر - رضى الله عنه - يا أبا ذر أظرفنى بشيءٍ من العلم، فكتب إليه: العلم كثير، ولكن إن قدرت أن لا تسىء إلى مَنْ تحبه، فافعل. قال: فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسىء إلى مَنْ يحبه؟ فقال له: نعم، نفسك أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيتَ اللهَ فقد أسأتَ إليها» (1)، أو أنّه يأبى التضحية فى سبيل الله حُباً فى الحياة، ومن ذلك فقد يترك المرء الطاعات والعبادات؛ خوفاً من ضعف قواه وأعضائه وجوارحه، فالحياة لإجل هذه الأمور هى الدنيا المذمومة الموجهة للشقاء، وليس أصل هذه النشأة، بل إنّ هذه النشأة إذا استُفِيدَ منها بالطريقة المطلوبة والتي رسمتها لنا السماء أمكن بها تحصيل السعادة الأبدية، مُضافاً إلى أنّ جميع المعارف والعبادات، والعلوم والكمالات والخيرات تحصل فى هذه الحياة، وإدارة الحياة بتحصيل هذه الأمور وطلبها من الله حسن؛ فلذا يقول الإمام سيّد الساجدين عليه السلام: «... وعمّرني ما كان عُمرى بذلةٍ فى طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً

ص:15

للشيطان، فاقبضنى إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ» (1)، بل ورد النهى عن ذم الدنيا، فقد روى أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يذم الدنيا، فقال له: «أيها الدّام للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثمّ تذمّها؟!» (2).

يعنى أن الإنسان هو نفسه يمكن أن يستثمر الدنيا لأجل الآخرة، ويمكن أن لا يفعل ذلك: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) 3، فلا يسىء الاستفادة منها، ثمّ بعد ذلك يلقي اللوم عليها، ويقول: الدنيا مذمومة.

فإنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عافية لمن فهم معناها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، كما تقدّم هذا المضمون وورد كذلك فى بعض الروايات الشريفة الأخرى (3).

المعنى الثانى لفهم الدنيا

البعض من الناس فهم الدنيا بمعنى ثانٍ، وحصرها بالدينار والدرهم، والأثاث والأموال، وليس كلّها من الدنيا، بل إنّ الدنيا منها ما سبّب الغفلة عن الله تعالى، وارتكاب المحارم لتحصيلها، والحبّ الشديد لها بحيث لا ينفقها فى سبيل الله، ولا يخرج حقوق الله تعالى منها.

والدنيا لمن أراد بها تحصيل الآخرة من أحسن الأشياء، كما مدح الله تعالى جمعاً كثيراً فى القرآن بإنفاق أموالهم فى سبيل الله، وشراء الجنة بها، فهى سبب لتحصيل السعادة الأخروية، ولم تكن مذمومة، بل إنّ المذموم حُبها وترك الآخرة لأجلها، قال تعالى:

ص:16

1- (1) الصحيفة السجّادية: ص 101، دعاء مكارم الأخلاق.

2- (2) نهج البلاغة: ج 4، ص 31، خطبة 131.

3- (4) انظر: نهج البلاغة: ج 4، ص 32. تحف العقول: ص 186. خصائص الأئمة: ص 102.

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) 1 .

وروى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغَنَى» (1)، وورد أيضاً عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» (2).

ولقد أجاد مَنْ قال:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل (3)

المعنى الثالث لفهم الدنيا

هناك مجموعة من الناس تفهم الدنيا على أنها تمتع باللذات، ومعاشرة الناس، وتوفير الأمور الثمينة، والملابس الفاخرة وحسب. وهذا بالواقع يرجعنا إلى الآية المباركة؛ إذ الدنيا حينئذ تكون عبثية؛ لأنها دار يمكث فيها الإنسان مدة معينة ولا يكون متروكاً دون ضوابط وقوانين تحكمه، وهى الدين، فيكون الدين هو الذى يجب اتباعه من فعل الواجبات، مثل: الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك المحرمات، مثل: القتل والزنا والسرقه والكذب، فيكون الإنسان فى هذه الدنيا عاملاً بلا حساب، أى، مكلفاً بالفعل الواجب وتاركاً للعمل المحرم.

فالإنسان المؤمن مَنْ آمَنَ بالله والرسول وما أنزل عليه، فلكى يكون عمله كاملاً فى الدنيا يجب الإطاعة، والإيمان بكل ما أنزل على الرسول، وإذا تخلف عن ذلك عصي

ص: 17

1- (2) الكافي: ج 5، ص 71، ح 1.

2- (3) المصدر نفسه: ج 5، ص 72، ح 8.

3- (4) لم أعثر على قائله. انظر: خاتمة المستدرک: ج 2، ص 72. أعيان الشيعة: ج 4، ص 137. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 199.

وأفسد في الأرض، وحينئذ يكون مستحقاً للعقاب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب على الإنسان أن يعمل في الدنيا؛ فإنَّ الدنيا ساعة، عليه أن يجعلها طاعة، وأن يتفكر بها، وبما هو صائر إليه، فعن الحسن الصيقل، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عمَّا يروى الناس: أنَّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة. قلتُ: كيف يتفكّر؟ قال عليه السلام: «يمرُّ بالخربة أو بالدار، فيقول: أين ساكنوك أين بانوك، ما بالك لا تتكلّمين» (1).

ويتفكّر أيضاً بما هو صائر إليه من حفرة صغيرة، إما أن تكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، وسوف يسأل عن كلّ ما قدّمه. ورؤى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يمرّ على مقبرة - أنّه قال: «السَّلامُ عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف، ونحن لكم خلف، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أمّا المساكن فسكنت، وأمّا الأزواج فنكحت، وأمّا الأموال فقُسمت، هذا خبر ما عندنا، فليت شعري ما خبر ما عندكم. ثمّ قال: أمّا إنهم إن نطقوا لقالوا: وجدنا التقوى خير زاد» (2).

وأما الآخرة فهي دار مقرّ، ولا يوجد فيها تكاليف، وإنّما هي دار جزاء تكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات، للذين أنسوا بالله، للذين لم يستكبروا في الأرض، ولم يفسدوا. فإذا عرفنا أنّ خلقنا نحن بنى البشر لم يكن عبثاً، بل لأجل الاختبار والابتلاء، كما قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) 3، فتعالّ معي لنعرف ما هو الواجب علينا، وما هو المحرّم، حتّى نأتى بالواجب وندع المحرّم، فنكون قد حصلنا على رضا الله تبارك وتعالى، الذي منتهاه الخلود في الجنة، التي أعدّها الله عزّ وجلّ للمتقين.

وإذا جاء بما أمر الله تبارك وتعالى به، وانتهى عمّا نهاه عنه فسوف يحبّ

ص: 18

1- (1) الكافي: ج 2، ص 54، ح 2. وسائل الشيعة: ج 15، ص 196، ح 2.

2- (2) بحار الأنوار: ج 75، ص 71، ح 35.

لقاء الله؛ لأنَّ لقاء الله معناه الانتهاء من هذه الدنيا وشهواتها واختبارتها، والانتقال إلى دار ليس فيها إلا ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، وتطيب برؤيته القلوب، وتخضع له الجوانح والجوارح؛ لذا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام، أهبط إليه ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم. قال: وعليك السلام يا ملك الموت، أَدَاعٍ أَمْ نَاعٍ؟ قال: بل دَاعٍ يا إبراهيم، فأجَب. قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيت خليلاً يُمِيت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلَّ جلاله، فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلُك إبراهيم. فقال الله جلَّ جلاله: يا ملك الموت، اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إِنَّ الحبيبَ يُحِبُّ لقاء حبيبه» (1)

وهكذا هو الحال في سيد الشهداء عليه السلام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد عبَّر عن هذا المعنى تعبيراً عملياً، فهو الذي ترك كلَّ شيءٍ من أجل خالق الأشياء.

تركتُ الخلق طُراً في هواكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا

ولو قَطَّعتني بالحُبِّ إرباً لما مال الفؤادُ إلى سواكا (2)

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: 19

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 264، ح 2.

2- (2) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص 116.

من وصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذرأنه قال: «يا أبا ذر، الدنيا سجنُ المؤمن، وجنةُ الكافر، وما أصبح فيها مؤمنٌ إلا حزيناً» (1).

«قد بين الله تعالى لعباده طرقَ الفوز، ودلّهم على ما يرضيه من الأعمال التي تعود عليهم أنفسهم بالصلاح، بما أنزله من الشرائع الإلهية على لسان أنبيائه الكرام (عليهم الصلاة والسلام) الذين أقام بهم الحجة على العباد، فصدعوا بأمره، وزجروا عن معصيته، فأنزل الله على كلِّ رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليسمعوا كلامَ ربّهم، ويعرفوا أحكامه.

والرسول هو الزعيم بتفصيل ما أجمل في الكتاب، وتبيان ما أبهم منه، فكان من ذلك الكتاب، وكان من ذلك السنة النبوية، اللذان هما أول الأدلة عند علماء أصول الفقه، ثم علّم الأنبياء أوصيائهم وأمناءهم وخواص أصحابهم ما إليه يرجعون، وبه يهتدون، من معاني كتاب ربّهم، وسنة نبيهم؛ ليكونوا بعده مناراً به يهتدى، ونبراساً بنوره يستضاء، إذا ادلهم ليل الجهالة، وأدجن ظلام الأهواء؛ لئلا تذهب بالأمّة مذاهب الأهواء، فتصرف موارد الشريعة عن مجراها، ويتأولون أحكام الله على ما يريدون لا على ما يريد الله، ميلاً مع الشهوات، وجرياً مع الأهواء المضلّة ويتكلّمون بالرأى في القرآن بلا سند إليه يستندون، ولا استمسك بكلام الراسخين في العلم إليه» (2).

ومن هؤلاء العظام الذين حملوا هذا النبراس، الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رحمه الله، الذي نقل لنا هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 23

1- (1) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 192. بحار الأنوار: ج 74، ص 78.

2- (2) تفسير مجمع البيان: ج 1، ص 190.

لم يخلق الله تبارك وتعالى الدنيا لراحة المؤمنين، بل تصل إليهم الأحزان والبلايا بحسب مراتبهم وإيمانهم، ويكفى لتحقيق هذا الأمر النظر في أحوال الأنبياء والأوصياء ورسول الله وأهل بيته عليهم السلام، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أودى نبي مثلما أوديت» (1).

وقد ثبت بحسب التجربة، إن ما من شيء أكثر إصلاحاً للنفس من البلايا والمصائب الموجبتين للزهد في الدنيا، والتوجه نحو الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضى فله عند الله الرضا، ومن سخط البلاء فله عند الله السخط» (2).

وسأل عبد الله بن بكير أبا عبد الله الصادق عليه السلام: «أيتلى المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال: وهل كُتِبَ البلاء إلا على المؤمن» (3).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في حديث آخر: «إن في كتاب على عليه السلام إن أشد الناس بلاءً النبيون، ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإتما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه» (4).

وعن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ملكان هبطا من السماء فالتقيا في الهواء، فقال أحدهما لصاحبه: فيما هبطت؟ قال: بعثنى الله عز وجل إلى بحر آيل أحشر سمكة إلى جبار من الجبابرة انتهى عليه سمكة في ذلك البحر، فأمرني أن أحشر إلى الصياد

ص: 24

-
- 1- (1) مناقب آل أبي طالب: ج 3، ص 42. كشف الغمّة: ج 3، ص 346. بحار الأنوار: ج 39، ص 56.
 - 2- (2) الكافي: ج 2، ص 253، ح 8. كتاب التمهيد: ص 33، ح 20. الخصال: ص 18، ح 64.
 - 3- (3) قرب الإسناد: ص 174، ح 638. الكافي: ج 2، ص 258، ح 27، عنه بحار الأنوار: ج 64، ص 221، ح 27.
 - 4- (4) الكافي: ج 2، ص 259، ح 29. علل الشرائع: ج 1، ص 44، ح 1، عنه تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 143، ح 447.

سمكة البحر حتى يأخذها له؛ ليلبغ الله عز وجل الكافر غاية مناه في كفره. قال الآخر لصاحبه: ففيما بُعثت أنت؟ قال: بعثني الله عز وجل في أعجب من الذي بعثك فيه، بعثني إلى عبده المؤمن الصائم القائم المعروف دعائه وصومه في السماء؛ لأكفي قدره التي طبخها لافطاره؛ ليلبغ الله في المؤمن من الغاية في اختبار إيمانه» (1).

وروى عن محمد بن عجلان أنه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه رجل الحاجة، فقال له: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً. قال: ثم سكت ساعة، ثم أقبل على الرجل فقال: أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟ فقال: أصلحك الله ضيق، مُنتن وأهله بأسوأ حالٍ. قال: فإتّما أنت في السجن، فتريد أن تكون فيه في سعة، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن» (2).

ومع قطع النظر عن هذه البلايا والمحن، لو كان المؤمن في الرفاه والنعمة، فإن الدنيا سجنه؛ لأنه بالنسبة إلى نعم الآخرة، والمنازل التي أعدّها الله له في الآخرة، لو أُعطى جميع الدنيا لكانت سجنًا بالنسبة له، وإن الكافر لو ابتلى في الدنيا بأنواع البلايا، لكانت الدنيا جنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة.

روى أن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام يسير، وهو على بغلة فارهة: «فعرض له في طريقه من محاويج اليهود، همّ في هدمٍ قد أنهكته العلة، واركتبه الذلة، وأهلكته القلّة، وجلدّه يسترّ عظامه، وضعفه يُقيّدُ أقدامه، وضربه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبت إليه حمامه، وشمس الظهيرة تشوى شواه، وأخمصه تصافح ثرى ممشاه، وعذاب عرعر به (3) قد عراه، وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه، وهو حامل جر مملو على مطاه، وحاله تضعف

ص: 25

-
- 1- (1) علل الشرائع: ج 2، ص 465، ح 16، عنه بحار الأنوار: ج 64، ص 229، ح 40.
 - 2- (2) كتاب المؤمن: ص 26، ح 43. الكافي: ج 2، ص 250، ح 6. مشكاة الأنوار: ص 471. بحار الأنوار: ج 65، ص 219 - ص 220، ح 9، عن الكافي.
 - 3- (3) عرعر به: نزل به، انظر: لسان العرب: ج 4، ص 561.

عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يا بن رسول الله أنصفني. فقال عليه السلام: في أي شيء؟ قال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة لك، تتنعم فيها وتستلذ بها، وما أراها إلا سجنًا لي قد أهلكني ضررها، وأتلفني فقرها. فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأيد، فاستخرج الجواب الحق بفهمه من خزانة علمه، وأوضح لليهودى خطأ ظنه، وخطأ زعمه، وقال: يا شيخ، لو نظرت إلى ما أعد الله تعالى للمؤمنين، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، من نعيم الجنان والخيرات الحسان في الدنيا والآخرة، ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت؛ لعلمت أنّي قبل انتقالى إليه من هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في الدنيا والآخرة من سعي نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه، الآن في جنة واسعة ونعمة جامعة»(1).

إذن ما عليه الأوصياء والأولياء مهما بلغ لا يساوى شيئاً إذا ما قيس إلى الآخرة؛ ولذا تجد أحوال الأنبياء والرسل وأوصيائهم مملوءة بالعناء والابتلاء في هذه الحياة الدنيا، لكن ما أعدّه الله لهم من النعيم لا يمكن تصوّره أبداً، بخلاف الكفار الذين يتنعمون في هذه الحياة الدنيا، والتي لو كانت تعدل شيئاً عند الله تعالى لما سقى منها الكافر شربة ماء، كما جاء في الآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام(2).

فترى المؤمن فيها حزيناً باكياً، والكافر فيها مسروراً جذلاً، والظالم متقدّم على المظلوم، والأنبياء يقتلون ويذبحون في سبيل شهوات الظالمين ولذاتهم.

ص:26

1- (1) مطاب السؤل في مناقب آل الرسول: ص 340. كشف الغمة: ج 2، ص 167. بحار الأنوار: ج 43، ص 346 - ص 347.
2- (2) انظر: من لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 363. الاختصاص: ص 243، مكارم الأخلاق: ص 439. معارج اليقين في أصول الدين: ص 504، ح 3. بحار الأنوار: ج 70، ص 124، ح 114، عن الاختصاص، وج 74، ص 54. وسائل الشيعة: ج 16، ص 17 - ص 18، ح 4.

روى «أن عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريا فى اثنى عشر من الحواريين يُعلِّمونَ الناسَ وبنهاهم(1) عن نكاح ابنة الأخت، قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما بلغ أمها أن يحيى نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك بزينه، فلما رآها سألتها عن حاجتها، قالت حاجتى أن تدبج يحيى بن زكريا، فقال: سلى غير هذا. فقالت: لا أسألك غير هذا. فلما أبت عليه دعا بطشت، ودعا يحيى عليه السلام فذبجه، فبدرت قطره من دمه فوقعت على الأرض، فلم تزل تعلقو حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى فى نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً فى سنة واحدة، ثم سكن»(2).

وفى الأثر: «أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يُعلِّمه أسماءَ الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همُّه، وانجلى كربُه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة(3)، فقال ذات يوم: يا إلهى، ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسليتُ بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرتُ الحسينَ تدمع عيني وتثور زفرتى؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: (كهيعص) (فالكاف) اسم كربلاء، و (الهاء) هلاك العترة، و (الياء) يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. و (العين) عطشه، و (الصاد) صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهى أتجمع خير خلقك بولده، إلهى،

ص: 27

1- (1) (3) كذا فى المصدر.

2- (2) قصص الأنبياء (الراوندى): ص 221، ح 289، قصص الأنبياء (الجزائرى): ص 451. بحار الأنوار: ج 14، ص 182، ح 24. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج 2، ص 592. تاريخ مدينة دمشق: ج 64، ص 707.

3- (3) البهر: تتابع النفس وانقطاعه، كما يحصل بعد الإعياء والعدو الشديد. انظر: الصحاح: ج 3، ص 1267.

أتُنزل بلوى هذه الرزية بفنائنه، إلهي أتلِس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتها؟! ثمَّ كان يقول : اللهم ارزقني ولدًا تقرّ به عيني على الكبر، وأجعل له وارثاً وصياً، وأجعل محله منى محل الحسين، فإذا رزقتني فافتني بحبه، ثمَّ افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده! فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك «(1).

لكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله...

أيأتي مثل رزء الطف رزؤ عظيمٍ قد بكته الأنبياء

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص:28

1- (1) كمال الدين وتمام النعمة: ص 461، ح 21. دلائل الامامة: ص 513. مناقب آل أبي طالب: ج 3، ص 237. مدينة المعاجز: ج 8، ص 57. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 319، ح 3. الاحتجاج: ج 2، ص 272، عنه بحار الأنوار: ج 14، ص 178، ح 14.

قال الله تبارك وتعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) 1 .

ذكرنا في المحاضرتين السابقتين: أنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق هذه الدنيا عبثاً، تنزه عن ذلك، وعلا علواً كبيراً، بل إنَّما خلقها لتكون محل إبتلاء وإختبار لعباده، وأنَّ المؤمن لم يُخلق فيها ليخلد، بل هي دار حزن وهمٍّ دائمان له، وأنَّه مسافر إلى دار الآخرة، مسافر إلى الله تبارك وتعالى، وكادح للوصول إليه جلّ وعلا، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) 2 .

والملافة بنفسها ليست فضيلة للإنسان؛ إذ يمكن أن يلاقى الإنسان ربَّه وهو غضبان عليه، حتَّى يصل الحال بأنَّ الباري عزَّ وجلَّ لا ينظر إليه ولا يكلمه، كما جاء في بعض الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فعن أبي ذر رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم. فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا، قال: المسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة، والمثان عطاءه» (1).

ويمكن أن يلاقى الإنسان ربَّه عزَّ وجلَّ، ويأمر به إلى الجنَّة. وبما أنَّ غاية كلِّ إنسان عاقل هو الثاني، فلا بدَّ أن يعمل له بكلِّ ما أُوتى من قوَّة ورباطة جأشٍ، وهذا لا- يتحقق إلَّا من خلال اتِّباع القرآن الكريم والعتره الطاهرة عليهم السلام، الذين هما حبل الصعود والوصول إليه سبحانه وتعالى.

ص: 31

فقد روى الفريقان بأسانيد متعدّدة، أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (1).

وبما أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، كما قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (2)؛ إذن لا بدّ من اتّباعه والاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم حتّى نصل إلى مرضاة الله عزّ وجلّ، وبالتالي إلى النعيم الخالد، إلى جنّة عرضها كعرض السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على ذهن بشر.

كما روى ذلك فيمن بكى من خشية الله: «... ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله، كان له بكلّ قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنّة، مكلّل بالدرّ والجوهر، فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» (3).

وحينئذٍ فلا بدّ لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم والعترة الطاهرة، حتّى نكون قد حقّقنا رضاه تبارك وتعالى، ونحن نرى هذه الآية، التي افتتحنا بها الكلام، تأمر بالتزوّد، والشىء الذي تأمرنا بالتزوّد منه محذوف، دلّ عليه وسط الآية، حيث قالت: (فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزَادِ التَّقْوَىٰ).

قال الفخر الرازى في تفسير هذه الآية: «إنّ المراد: وتزوّدوا من التقوى، والدليل عليه قوله

ص: 32

1- (1) مسند أبى يعلى الموصلى: ج 2، ص 303، ح 1027، وأنظر: المصادر التالية: أمالى الشيخ الصدوق: ص 500، ح 15. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 68، ح 259. كمال الدين وتمام النعمة: ص 235، ح 48. والحديث متواتر في مصادر الفريقين. وللمزيد من التعرّف على الحديث وطرقه وأسانيده يُنظر كتاب: حديث الثقلين - لمؤلفه نجم الدين العسكرى، المتوفى سنة 1390 هـ - طباعة ونشر: مطبعة الآداب، النجف الأشرف - ففيه الكفاية.

2- (2) النجم: آية 3 - آية 4.

3- (3) أمالى الشيخ الصدوق: ص 517.

بعد ذلك: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى). وتحقيق الكلام فيه أنَّ الإنسان له سفران:

سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا، لا بدَّ له من زاد، وهو الطعام والشراب، والمركب والمال. والسفر من الدنيا، لا بدَّ فيه أيضاً من زاد، وهو معرفة الله ومحبته، والإعراض عمَّا سواه، وهذا الزاد خير من الزاد الأول؛ لوجوه:

الأول: إنَّ زاد الدنيا يخلِّصك من عذاب موهوم، وزاد الآخرة يخلِّصك من عذاب متيقَّن.

وثانيها: إنَّ زاد الدنيا يخلِّصك من عذاب منقطع، وزاد الآخرة يخلِّصك من عذاب دائم.

وثالثها: إنَّ زاد الدنيا يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام والأسقام والبليات، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنة من الانقطاع والزوال.

ورابعها: إنَّ زاد الدنيا وهى كلَّ ساعة في الإدبار والانقضاء، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة، وهى كلَّ ساعة في الإقبال والقرب والوصول.

وخامسها: إنَّ زاد الدنيا يوصلك إلى منصَّة الشهوة والنفس، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبة الجلال والقدس؛ فثبت بمجموع ما ذكرنا أنَّ خير الزاد التقوى.

إذا عرفت هذا، فلنرجع إلى تفسير الآية، فكأنَّه تعالى قال: لما ثبت أنَّ خير الزاد التقوى فاشتغلوا بتقوای يا أولى الأبواب، يعنى إن كنتم من أرباب الأبواب الذين يعلمون حقائق الأمور، وجب عليكم بحكم عقلكم ولبكم، أن تشتغلوا بتحصيل هذا الزاد؛ لما فيه كثرة المنافع، وقال الأعشى في تقرير هذا المعنى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التَّقَى ولا قيتَ بعدَ الموتِ من قد تزوَّدا

ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلهِ وأنَّك لم ترصدكما كانَ أرصداً⁽¹⁾

ص: 33

فلا بدّ للإنسان حينئذٍ من التزوّد من المتاع الأخرى، الذى يوصله للسعادة الأبدية، وإلى الحياة الحقيقية.. (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) 1 .

وهذا لا يعنى أنّ الإنسان يترك زاد الدنيا بالمرّة؛ فإنّ هذا أيضاً غير مقبول، كما مرّ عليك فى المحاضرة السابقة، بل يمكن له أن يوظّف زاد الدنيا لزاد الآخرة.

ولذا روى عن العالم عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (1).

وكلمّا كان العمل ممزوجاً بتقوى الله، كان أكثر بركةً وقبولاً من عمل بغير تقوى الله عزّ وجلّ.

فعن المفضل بن عمر، قال: «كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملى. فقال: مه، استغفر الله. ثمّ قال لى: إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى. قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم، مثل الرجل يطعم طعامه، ويرفق جيرانه، ويوطئ رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه» (2).

آثار التقوى

يعتقد بعض الناس أنّ أثر التقوى إنّما يظهر فى الحياة الآخرة فحسب، ولا يشمل الحياة الدنيا، فمن أطاع الله سبحانه وتعالى، وانتهى عن معاصيه فسوف يُثاب فى الآخرة جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومن لم يتق الله، وتجاوز حدوده فى هذه النشأة؛ فإنّه

ص: 34

1- (2) من لا يحضره الفقيه: ج 3، ص 156، ح 3569. وسائل الشيعة: ج 17، ص 76، ح 2.

2- (3) الكافي: ج 2، ص 76، ح 7. وسائل الشيعة: ج 15، ص 241، ح 2، بحار الأنوار: ج 67، ص 104، ح 7، عن الكافي.

سيعاقب فى النشأة الآخرة بنار أحاط بهم سرادقها، ولكن الصحيح أن الأمر ليس كذلك، بل للتقوى آثار دنيوية بالإضافة إلى الآثار الأخروية، ومن هذه الآثار:

أولاً: الحياة الطيبة، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) 1 ، فالحياة الطيبة للمؤمن ليست فى الدار الآخرة فحسب، بل هى كذلك فى الحياة الدنيا؛ لأن الآية الشريفة لم تحدّد الحياة الطيبة، ومقتضى الإطلاق وعدم التحديد الشمول للحياتين معاً.

ثانياً: الفرقان بين الحقّ والباطل، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) 2 ، فيصبح المؤمن المتّقى قادراً على التفريق بين الحقّ والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والطاعة والمعصية، وكلّ ما يرضى الله أو يُسخطه.

ثالثاً: المخرج من العسر والشدة. قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) 3 .

وبخلاف ذلك نجد أن الإنسان غير المتّقى تتوجه نحوه تبعات سلبية؛ لفجوره فى الدنيا، وينتظر عذاباً أعدّه جبارُ السماوات والأرض لمن عصاه. ومن تلك الآثار السلبية:

أولاً: المعيشة الضنكى، قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) 4 ، والضنك: هو الضيق من كلّ شىء (1).

ثانياً: الحشر أعمى، إذ قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) 6 ، والأعمى هنا، أعمى القلب، فلا يفهم ما يُقال له من

ص:35

حقائق، ولا يفقه، ولا يبصر ما أمامه، فهو مصروف عن الذكر، محروم عن الطمأنينة والسكون، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) 1 ، وكم أتعب أمثال هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! وكم عانى منهم المسلمون جميعاً؛ ولذا تراهم لا يسمعون ولا يعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لا يريدون أن يفقهوا حتى أوضح الأحاديث له صلى الله عليه وآله وسلم حتى مثل قوله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» (1) ، فيقرأون الحديث ويحفظونه، ثم يترضون على قاتلي الحسن والحسين عليهما السلام، فأى جهل أكبر من هذا؟!

أقول: ليتك حاضرٌ يا رسول الله، لتنظر ماذا جرى على ولديك؟!

جرى عليهما ما أخبرت به أمّتك يا رسول الله، حيث قلت: «... إلى الله أشكو عدوهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتى، والله ليقتلن ابني، لا أنا لهم الله شفاعتي» (2).

بعض بطيئة مدفونٌ وبعضهم بكر بلاءٍ وبعض الغريين

وأرض طوسٍ وسامرا وقد صمّنت بغدادُ بدرين حلا وسط قبرين (3)

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: 36

1- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 178، ح 7. مسند أحمد: ج 3، ص 3. سنن ابن ماجه: ج 1، ص 44، ح 118. سنن الترمذی: ج 5، ص 321، ح 3856.

2- (3) كامل الزيارات: ص 146، ح 3، عنه بحار الأنوار: ج 44، ص 302، ح 12.

3- (4) الغدير: ج 4، ص 163، والبيتان من قصيدة رائعة لابن حمّاد العبدی رحمه الله من أعلام القرن الرابع الهجرى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الشيطان هائبا ذعرا من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه فألقاه في العظام» (1).

«ال صلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبها تطفأ النيران، وقربان كل تقى، ومعراج كل مؤمن تقى، وتغسل الذنوب كما يغسل النهر الجارى درن الجسد، وتكرارها كل يوم خمسا كتكراره، وأوصى الله بها المسيح ما دام حيا، وغيره من الرسل، بل هى أصل الإسلام، وخير العمل، وخير موضوع، والميزان والمعيار لسائر أعمال الأنام، فمن وفى بها استوفى أجر الجميع، وقُبلت منه كلُّها، فهى حينئذٍ للأعمال، بل للدين كالعمود للفسطاط؛ ولذا كانت أول ما يُحاسِب به العبد ويُنظر فيه من عمله، فإذا قُبلت منه نُظر فى سائر عمله وقُبل منه، وإذا رُدَّت لم ينظر فى باقى عمله ورُدَّ عليه، فلا غرو لو سَمَّى تاركُها من الكافرين، بل هو كذلك لو كان الداعى له الإستخفاف بالدين، وهى التى لم يعرف الصادق عليه السلام شيئا ممَّا يتقرَّب به ويحبّه الله تعالى بعد المعرفة أفضل منها، بل قال عليه السلام: «هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقامهن وحافظ على مواقيتهن، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخل به الجنة، ومن لم يصلهن لمواقيتهن ولم يحافظ عليهن فذلك لله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»، وصلاة فريضة خير من عشرين حجة، كل حجة خير من بيت مملو ذهباً يتصدق منه حتى يفنى، بل صلاة فريضة أفضل من ألف حجة كل حجة أفضل من الدنيا وما فيها، وأن طاعة الله خدمته فى الأرض، وليس شىء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثمة نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلى فى المحراب، وإذا قام المصلى إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض، وحفَّت به الملائكة، وناداه ملك: لو يعلم هذا المصلى ما فى الصلاة ما انتقل إلى غير ذلك ممَّا ورد فيها ممَّا لا يحصى عدده» (2).

ص: 39

1- (1) مستدرک الوسائل: ج 3، ص 27.

2- (2) جواهر الكلام: ج 7، ص 3 - ص 4.

وقد جعل الباري عز وجل الصلاة لتكميل نفوس بنى البشر، وهو العلام الخبير، وهكذا سائر الواجبات والمحرمات، وهى الهداية الى الصراط المستقيم كما نطق به القرآن الكريم، حيث يقول: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) 1 .

وجاء فى الحديث المروى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أيها الناس، والله ما من شىء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وما من شىء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه» (1)، فكل ما جاء به القرآن الكريم، والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، هو لإصلاح النفوس وتكميلها، وكل ما نهى عنه القرآن الكريم، والرسول العظيم إنما هو لتهديب النفوس وتطهيرها، كقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ) 3 .

آثار إقامة الصلاة

الصلاة هى أجمع العبادات؛ إذ قد جمعت ما لا يجمعه غيرها من العبادات، من عبادة اللسان، والجنان بالقرآن، والذكر والاستكانة، والشكر والدعاء، وظهور أثر العبودية للمعبود بالركوع والسجود، وجعل أعلى موضع وأشرفه على أدنى موضع وأخفضه، وهى كفارة (2)، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وهى التى قال الله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (3)».

ص: 40

1- (2) الكافى: ج 2، ص 74، ح 2.

2- (4) انظر: جواهر الكلام: ج 7، ص 4.

3- (5) دعائم الإسلام: ج 1، ص 135، عنه مستدرک الوسائل: ج 3، ص 15، ح 7، وفيه بدل (اجتنبت) كلمة (اجتنبت).

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنما مثل هذه الصلوات الخمس مثل نهر جارٍ بين يدي باب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس اغتسالات، فكما ينقى بدنه من الدرن بتواتر الغسل، فكذا ينقى من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقى من ذنوبه شيء» (1).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «للمصلي ثلاث خصال: إذا قام في صلاته: يتناثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحفّ به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، وملك ينادي: أيها المصلي! لو تعلم من تناجي ما انفتلت» (2)، ويكفي ما نطق به القرآن الكريم، حيث قال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) 3، ولو لم تكن للمصلين إلا هذه الصفة - صفة الفلاح - لكان فيه الفوز في الدنيا والآخرة.

والحديث الذي افتتحنا به الكلام، أكبر دليل على أهمية الصلاة؛ إذ يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الشيطان هائباً ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس»، يعنى الشيطان لا يقرب المصلين الحقيقيين الذين يحافظون على صلاتهم بكلّ شروطها وأجزائها، وبهذا يكون الإنسان المصلي قريباً من العصمة في باقى ما أوجب عليه الباري عزّ وجلّ، وحينئذٍ لا يتردد في صيام شهر رمضان؛ لأنّ الشيطان لا يدنو منه حتّى يمنعه عن الصيام، وهكذا سائر الأعمال الواجبة والمحترمة، قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) 4.

وأما إذا ضيّع الإنسان المسلم صلاته؛ فمعنى هذا أنّه قد ضيّع هويّته، وبقي عارياً، ويقبل بأى لباس يُخاط له، حتّى ولو كان هذا اللباس على خلاف ذوقه ورغبته.

ص: 41

1- (1) أمالي الشيخ المفيد: ص 189، ح 16، عنه بحار الأنوار: ج 79، ص 223، ح 45.

2- (2) ثواب الأعمال: ص 35، عنه بحار الأنوار: ج 79، ص 215، ح 30.

ومن هنا ركّز القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرين عليهم السلام على الاهتمام بالصلاة، والتحذير من تركها.

عقاب تاركى الصلاة

ذكرنا الثواب الذى يهبه الله تبارك وتعالى للمصلين، وأهمية الصلاة بالنسبة إلى باقى العبادات، وكيف أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف الشيطان بالخوف والذعر، ما دام المؤمن محافظاً على صلاته.

والآن ننتقل إلى المقطع الآخر من الحديث الشريف للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذى افتتحنا به الكلام، وهو: «إِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَأَ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْعِظَائِمِ» والظاهر أنّ المقصود من تضييع الصلاة، هو المعنى الواسع، الشامل لعدم أداء الصلاة، وعدم الاهتمام بها وبشرائطها وبأجزائها، فيكون الحديث على غرار حديث الاستخفاف المروى عن صادق العترة الطاهرة عليهم السلام الذى جاء فيه «إِنَّ شِفَاعَتَنَا لَا تَنَالُ مُسْتَخَفًّا بِالصَّلَاةِ»⁽¹⁾، الشامل للشخص التارك للصلاة، و الساهى واللاهى أثناء الصلاة، والمؤخّر لها عن وقتها، ومن لا يعلم مواضع الخلل فيها أو شروطها وأجزائها، وغير ذلك ممّا هو مطلوب فيها، فإذا ضيّع الإنسان الصلوات الخمس، طمع فيه الشيطان وتجراً عليه، فألقاه فى العظام، فترك ما افترض الله عليه، وأتى بما نهاه البارى عنه، وحينئذ يكون قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

عقوبة المتهاون بصلاته

وللتهاون بالصلاة عدّة عقوبات، تجمعها هذه الرواية الشريفة المروية عن سيّدة النساء، فاطمة الزهراء عليها السلام، أنّها سألت أباه رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قالت: «يَا أَبَتَاهُ، مَا لَمَنْ

ص: 42

1- (1) أمالى الشيخ الصدوق: ص 572، ح 10. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج 1، ص 206، ح 618. بحار الأنوار: ج 80، ص 19، ح 31، عن الأمالى.

تهاون بصلاته من الرجال، والنساء؟ قال: يا فاطمة، مَنْ تهاون بصلاته من الرجال والنساء، ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره. فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا:

فالأولى: يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمل لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللواتي تصيبه عند موته:

فأولاهن: أنّه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سقى من أنهار الدنيا لم يرو عطشه. وأما اللواتي تصيبه في قبره:

فأولاهن: يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية: يضيق عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره. وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره:

فأولاهن: أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يحاسبه حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه، ولا يزكّيه، وله عذابٌ أليم» (1).

فهذه هي عقوبة التهاون بالصلاة التي دافع عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودافع عنها أهل بيته عليهم السلام، ومن أبرز تلك المواطن التي دافع فيها أهل البيت عليهم السلام عن الصلاة ما كان يوم عاشوراء، لما أقبل أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقال: «يا أبا عبد الله، نفسى لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. قال: فرجع الحسين رأسه، ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتها. ثم قال: سلوهم أن يكفوا عدا حتى نُصلى، فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل، زعمت الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقبل وتقبل منك يا حمار» (2).

ص: 43

1- (1) مستدرک الوسائل: ج 3، ص 23 - ص 24، ح 1.

2- (2) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص 142 - ص 143.

سَيِّدِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنْتَ صَلَّيْتَ الظَّهْرَ، لَكِنَّ الْقَوْمَ بَعْدَهَا صَلَّوْا عَلَيْكَ بِسُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ خَبْثٍ وَحَقْدٍ دَفِينٍ، وَتَرَاتِ
لَأَبِيكَ أَظْهَرُوه ذَاكَ الْيَوْمَ...

وَرَحِمَ اللَّهُ السَّيِّدَ رِضَا الْهِنْدِي، حَيْثُ يَقُولُ:

صَلَّيْتُ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ سَيُوفُهُمْ فَعَدَا لِسَاجِدَةِ الطُّبَى مُحْرَبَا

وَمَضَى لَهْفًا لَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْقَنَا ظِلًّا وَلَا يَرِ النَّجِيعَ شَرَابَا

ظَمَانٌ ذَابَ فُؤَادُهُ مِنْ غُلَّةٍ لَوْ مَسَّتِ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ لَذَابَا

لَهْفَى لَجَسْمِكَ فِي الصَّعِيدِ مَجْرَدًا عَرِيَانٍ تَكْسُوهُ الدَّمَاءُ ثِيَابَا

تَرَبَّ الْجَبِينُ وَعَيْنُ كُلِّ مُوَحِّدٍ وَدَّتْ لَجَسْمِكَ لَوْ تَكُونُ تَرَابَا

لَهْفَى لِرَأْسِكَ فَوْقَ مَسْلُوبِ الْقَنَا يَكْسُوهُ مِنْ أَنْوَارِهِ جَلْبَابَا

يَتْلُو الْكِتَابَ عَلَى السَّنَانِ وَإِنَّمَا رَفَعُوا بِهِ فَوْقَ السَّنَانِ كِتَابَا

وَلِيَبِكَ دِينُ مُحَمَّدٍ مِنْ أُمَّةٍ عَزَلُوا الرُّؤُوسَ وَأَمَرُوا الْأَذْنَابَا

هَذَا ابْنُ هِنْدٍ وَهُوَ شَرُّ أُمِّيَّةٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ يَسْتَنْدِلُ رِقَابَا

وَيَصُونُ نَسْوَتَهُ وَيَبْدِي زِينَةً مِنْ خَدْرِهَا وَسَكِينَةَ وَرَبَابَا

لَهْفَى عَلَيْهَا حِينَ تَأْسُرُهَا الْعَدَى ذَلًّا وَتَرْكِبُهَا النِّيَاقَ صَعَابَا

سَلَبَتْ مَقَانِعَهَا وَمَا أَبْقَتْ لَهَا حَاشَا الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَ حَجَابَا(1)

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُتَقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: 44

قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) 1 .

إنَّ للسان محاسن كثيرة، وإن كانت مساوؤه ليست بالقليلة.

ومن محاسن اللسان: الصدق، وقراءة القرآن الكريم، والأذكار، والأدعية، والصلوات، وغير ذلك ممّا هو كثير.

ونحن نتناول هنا موضوع الذِّكْر الذى أمرتنا به الآية المباركة.

والذِّكْر معنى يقابل النسيان، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بسائر الجوارح، إذا أطاع الله تبارك وتعالى بها.

الذِّكْر باللسان

أمّا الذِّكْر باللسان، فهو أن يحمّد الإنسان ربّه، ويُسبِّحه ويمجّده، ويقرأ كتابه، فقد ورد فى القرآن العزيز أنَّ القلوب تطمئن بذكر الله تبارك وتعالى، حيث قال عزّ من قائل: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) 2، وذكره جلّ وعلا لا يقتصر على كَيْفِيَّةٍ خاصّةٍ، فقد يكون بالتكبير أو التهليل، أو الحمد أو الحوقلة (1)، أو الصلاة على محمّد وآل محمّد، أو قراءة القرآن الكريم، وفى كلّ هذه الأذكار، لا بدّ من التوجّه والإخلاص، لكن المهم أن يكون المؤمن لسانه رطباً من ذكر الله تبارك وتعالى الذى هو أفضل الأعمال، فقد سئل النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: أىّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: «قراءة القرآن، وأن تموت ولسانك رطباً من ذكر الله تعالى» (2).

ص: 47

1- (3) الحوقلة: قولك (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله).

2- (4) تفسير مجمع البيان: ج 8، ص 30. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 162، ح 62. بحار الأنوار: ج 89، ص 20.

ومن خصائص الذكر لله تبارك وتعالى، أنه ليس له حد ولا زمان، بخلاف بقية الفرائض، وهذا المعنى قد صرح به إمامنا الصادق عليه السلام، حيث قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عز وجل الفرائض، فمن أذاهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر؛ فإن الله عز وجل لم يرص منه بالقليل، ولم يجعل له حداً ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً) فقال: لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه، قال: وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه، وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام، وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم [و] ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر.

والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء، كما يضيء الكوكب الدرّي لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم أرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال: ذكر الله عز وجل كثيراً، ثم قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكراً. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعطى لساناً ذاكراً فقد أعطى خير الدنيا والآخرة. وقال: في قوله تعالى: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال: لا تستكثر ما عملت من خير لله» (1).

والملفت للنظر في أهمية الذكر، أن القرآن يؤكده حتى عند الانتهاء من سائر ما

ص: 48

1- (1) الكافي: ج 2، ص 499، ح 1. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 285، ح 147، عن الكافي.

افترضه على العباد وحده لهم؛ لأجل أن يشتغلوا في طاعته، ويتعدوا عن معصيته التي تلازم - في الأعم الأغلب - الفراغ، وهذا صريح قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) 1.

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ عَلَّمَ وَلَدًا لَهُ الْقُرْآنَ قَلَّدَهُ اللَّهُ الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (1).

وقد حذر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من ترك القرآن في البيت بلا قراءة، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادى قوم لا يُصلى فيه، ومصحف في بيت لا يُقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء» (2).

ومن المناسب أن أذكر هنا، هذه المعجزة التي وقعت في عصرنا الحاضر، كان أحد المشايخ يعاني من ضعف شديد في النظر، وكانت النظارة التي يضعها على عينيه ذات عدسات سميكة، راجع الشيخ طبيب العيون فشخص له درجة نظره، وحذره من أن عينه تتجه نحو المزيد من الضعف، فلا بد من الإنتباه لهذا الأمر قبل فوات الأوان.

وبعد سنة قضاها هذا الشيخ في تدوين وترتيب كتاب تفسير القرآن الكريم، راجع الطبيب مرة أخرى، فلمّا فحص الطبيب عينه وجدها متحسنة عما كانت عليه العام الماضي، فاندesh الطبيب، وسأله: ماذا صنعت خلال العام الماضي؟ هل راجعت طبيباً آخر، أو استعملت أدوية معينة؟

قال الشيخ: نعم، راجعت القرآن الكريم، فقد صرت أقرأ في آيات وكلمات هذا

ص: 49

1- (2) كنز العمال: ج 1، ص 533، ح 2386.

2- (3) الجامع الصغير: ج 2، ص 203، ح 5791.

الكتاب العظيم، وعندنا في الأحاديث الشريفة أنّ النظر إلى كتاب الله الحكيم يوجب جلاء البصر، وقوّة النظر وشفاء العين.

فأخذ الطبيب بيد الشيخ وجاء به إلى غرفة الانتظار، وشرح للحاضرين هذه القصّة، وقال: إنها معجزة القرآن الكريم(1).

ومن أقسام الذكر أيضاً المهمّة (الصلاة على محمّد وآل محمّد).

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) 2.

وفي الروايات الشريفة أنّها تذهب النفاق، فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة على أهل بيتي تذهب بالنفاق. وأنّها أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة»(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ»(3).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «وَأَجْفَى النَّاسِ رَجُلٌ ذُكِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(4).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»(5).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ»(6).

ص: 50

1- (1) انظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص 77 - ص 78.

2- (3) وسائل الشيعة: ج 7، ص 151، ح 2.

3- (4) معارج اليقين في أصول الدين: ص 153، ح 4. مستدرک الوسائل: ج 5، ص 334، ح 13.

4- (5) أدب الإملاء والاستملاء: ص 78، مع اختلاف يسير. منية المريد: ص 347، عنه بحار الأنوار: ج 91، ص 71، ح 65. إعانة الطالبين: ج 1، ص 13.

5- (6) كنز العمال: ج 1، ص 489، ح 2147.

6- (7) بحار الأنوار: ج 19، ص 71.

والخلاصة: إنّ الصلاة على النبي وأهل بيته الطاهرين المعصومين من أعلى مراتب الذكر، ولأنّقل لك هذا الشاهد والمؤيد - بالإضافة إلى ما سمعته من الروايات الشريفة - يقول أحد المؤمنين الموثوقين: كنت متعوّداً على ذكر (اللهم صلّ على محمد وآل محمد)، وهذا الذكر دائماً على لساني، وفي يوم من الأيام كنت في إحدى الحسينيات استمع إلى الخطيب يقول: بأنّه ينادي يوم القيامة منادٍ، يقول: أين قرّاء سورة الإخلاص، فيؤمر بهم إلى الجنة من خلال باب خاصّ بهم، فقررت أن أقرأ سورة الإخلاص بدلاً من ذكر الصلاة على محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وبدأت بسورة الإخلاص، وفي الليل كنت نائماً، وفي عالم الرؤيا شاهدت نفسي في يوم القيامة، وشاهدت طابوراً طويلاً جداً من الناس واقفين بانتظار دورهم للدخول إلى الجنة، فسألت: ما هذا الطابور؟ فقل لي: بأنّ هذا طابور قرّاء سورة الإخلاص، فوقفتم معهم باعتبار إنني صرت من قرّاء سور الإخلاص.

فجاءني ملك، وقال: لست أنت من قرّاء سورة الإخلاص، وإنّما أنت من قرّاء الصلوات على محمد وآل محمد، وأنّ مكانك ليس هنا، بل اذهب إلى ذلك الطابور. فنظرت فوجدت طابوراً قصيراً، فيه قليل من الناس، وهم يدخلون إلى الجنة بسرعة، فذهبت إليهم ووقفت في طابور الصلوات على محمد وآل محمد، فقامت من النوم، وعرفت فضل ومنزلة الصلوات على محمد وآل محمد (1).

ومن أقسام الذكر أيضاً التسبيح، وبالخصوص تسبيح الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أهمية تسبيح الزهراء عليها السلام

هناك روايات عديدة أشارت إلى أهمية هذا التسبيح، وأنّه لولا أهميته وعظمته منزلته

ص: 51

لما وهبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة، ففي الرواية الشريفة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما عبدَ اللهُ بشيءٍ من التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ» (1).

وفي روايةٍ أُخرى: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)» (2).

وفي روايةٍ ثالثةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام في كلِّ يومٍ في دبر كلِّ صلاة، أحبُّ إلَيَّ من صلاة ألف ركعة في كلِّ يوم» (2).

وكيفيَّته: أن يكبر الله أربعاً وثلاثين مرّةً، ويحمده ثلاثاً وثلاثين مرّةً، ويسبِّحه كذلك.

وفي الرواية أنَّ ابن فرقد يروى عن أخيه: «أنَّ شهاب بن عبد ربِّه سألنا أن نسأل أبا عبد الله عليه السلام، وقال: قل له: إنَّ امرأةً تفزعني في المنام بالليل فقال عليه السلام: قل له: «اجعل مسبحاً (أى تسبيحاً) وكبر الله أربعاً وثلاثين وسبح الله ثلاثاً وثلاثين واحمده ثلاثاً وثلاثين» (3).

وما ذكرته هذه الرواية، هو كيفيَّةُ أخرى لهذا التسبيح الشريف؛ إذ قدِّمت التسبيح على التَّحْمِيدِ، وإن كان الأولى الأول، كما أفتى به جملة من الأعلام (4)، ولعلَّه المشهور بينهم.

ص: 52

-
- 1- (1) الكافي: ج 3، ص 343، ح 14. تهذيب الأحكام: ج 2، ص 105، ح 166. بحار الأنوار: ج 43، ص 64، ح 56، عن الكافي.
 - 2- (3) ثواب الأعمال: ص 136. تهذيب الأحكام: ج 2، ص 105، ح 167.
 - 3- (4) الكافي: ج 2، ص 537، ح 7. وسائل الشيعة: ج 6، ص 450، ح 9.
 - 4- (5) انظر: العروة الوثقى: ج 1، ص 548.

وفى بعض الروايات أن تسبيح الزهراء عليها السلام مئة فى اللسان، وألف فى الميزان(1).

ومن جملة الأذكار الاستغفار، وهو لا يقل مرتبة وشأناً عن الأذكار السابقة، بل هو مفتاح كل خير، ويكفى فى فضله قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) 2 .

فقد رتبت الآية عدة نتائج على الاستغفار:

أولها: المغفرة.

وثانيها: تنزيل الأمطار الكثيرة.

وثالثها: الرزق الواسع من الأموال والبنين.

ورابعها: - وهو منى كل متمنى - الجنات والأنهار، وهو النعيم الدائم.

وروى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «تعطروا بالاستغفار؛ لا تفضحكم روائح الذنوب»(2).

وقال عليه السلام: «الاستغفار يزيد فى الرزق»(3)، وهو يؤيد الآية المتقدمة.

وروى بسند معتبر، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقوم من مجلس، وإن خف، حتى يستغفر الله عز وجل خمساً وعشرين مرة»(4).

وروى بسند معتبر أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «من عمل سيئة أجلاً فيها سبع ساعات من

ص:53

1- (1) انظر: ثواب الأعمال: ص 163، عنه بحار الأنوار: ج 82، ص 332، ح 10.

2- (3) أمالى الشيخ الطوسى: ص 372، ح 52. شرح نهج البلاغة: ج 20، ص 281، ح 225، مع اختلاف يسير. بحار الأنوار: ج 6، ص 22، ح 18، عن الأمالى، وج 90، ص 278، ح 7، عنه أيضاً.

3- (4) بحار الأنوار: ج 90، ص 277، ح 4.

4- (5) الكافى: ج 2، ص 504، ح 4. مكارم الأخلاق: ص 313. عدة الداعى: ص 250. بحار الأنوار: ج 16، ص 258، ح 40، عن الكافى، وج 90، ص 281، ح 22، عن مكارم الأخلاق.

النهار، فإن قال: (استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم) ثلاث مرات لم تكتب عليه» (1).

وعنه عليه السلام أنه قال: «مَن قال: (استغفر الله) مائة مرّة فى كلّ يوم، غفر الله عزّ وجلّ له سبعمائة ذنب، ولا خير فى عبدٍ يذنب فى يوم سبعمائة ذنب» (2).

وروى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمنٍ يقارف فى يومه وليلته أربعين كبيرةً، فيقول وهو نادم: استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، وأسأله أن يُصلّى على محمّد وآل محمّد، وأن يتوب علىّ، إلا غفرها الله عزّ وجلّ له، ولا خير فيمن يقارف فى يومٍ أكثر من أربعين كبيرة» (3).

وعنه عليه السلام أنه قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلى الله كلّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب» (4).

وهناك أذكار عديدة، يمكن للإنسان أن يواظب عليها، أمثال التهليل والتسبيحة الكبرى، وهى: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وفضلها كبير، وثوابها جزيل، فعن أبى جعفر عليه السلام، قال: «مَن قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. خلق الله منها أربعة أطيّار تسبّحه وتقدّسه وتهلّله إلى يوم القيامة». وفى رواية

ص: 54

1- (1) المصدر نفسه: ج 2، ص 437، ح 5. كتاب الزهد: ص 71، ح 190، عنه بحار الأنوار: ج 6، ص 38، ح 65، وج 90، ص 282، ح 24، عنه أيضاً.

2- (2) المصدر نفسه: ج 2، ص 439، ح 10. المقنع: ص 295. وسائل الشيعة: ج 16، ص 85، ح 3.

3- (3) المصدر السابق: ج 2، ص 438 - ص 439، ح 7. ثواب الأعمال: ص 540، ح 12. الخصال: ص 169. بحار الأنوار: ج 84، ص 1، ح 2، عن الخصال، مع اختلاف يسير.

4- (4) قرب الإسناد: ص 169، ح 618. الكافي: ج 2، ص 450، ح 1. كتاب الزهد: ص 73، ح 195، عنه حلية الأبرار: ج 1، ص 269، ح 1. بحار الأنوار: ج 16، ص 283، ح 132. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 581، ح 99.

محمد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قال العبد: سبحان الله. فقد أنف لله، وحقّ على الله أن ينصره» (1).

وغيرها من الأذكار الكثيرة التي يمكن للإنسان المؤمن أن يواظب عليها، هذا كلّ بالنسبة إلى ذكر الله تبارك وتعالى باللسان.

وأما ذكره بالقلب: فهو أن يكون الله سبحانه وتعالى حاضراً عنده، في كلّ أفعاله وأقواله وسكناته، وأن يتفكّر في مخلوقاته العجيبة، وصنائه العظيمة، وأسرارها الدقيقة، والتفكّر في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته، والتفكّر في أحكامه - عزّ اسمه - وتكاليفه، وأوامره ونواهيه، والوعد والوعيد، والجنة والنار، والموت والحياة، وكلّ ما يدلّ عليه تبارك وتعالى.

وأما الذكر بالجوارح: فهو الإتيان بجميع ما أمر به عزّ وجلّ، والانتهاز عن جميع ما حرّمه (تقدّست أسماؤه).

ثمرات الذكر

هناك عدّة ثمرات مترتبة على الذكر بأنواعه الثلاث - ذكر اللسان والقلب والجوارح - ويمكن تلخيصها بما يلي:

1 - حياة القلوب، ومفتاح الصلاح، ففي الرواية الشريفة المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «بذكر الله تحيي القلوب» (2)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مداومة الذكر قوت الأرواح، ومفتاح الصلاح» (3)، وغيرها من الروايات الشريفة التي ندبت إلى

ص: 55

1- (1) المحاسن: ج 1، ص 37، ح 36.

2- (2) تنبيه الخواطر: ج 2، ص 120.

3- (3) عيون الحكم والمواعظ: ص 487.

ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى سِرًّا وَعَلَانِيَةً (1).

2 - مطردة الشيطان: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ذِكْرُ اللَّهِ مطردة الشيطان» (2).

3 - حَبَّ اللَّهِ للذاكر والبراءة له من النار والنفاق: فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ» (3).

4 - انشراح الصدر: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذِّكْرُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ» (4).

أماكن ينبغي إكثار الذكر فيها

هناك عدّة أماكن وحالات أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمّة الأطهار عليهم السلام بإكثار الذكر فيها، إمّا لكثرة غفلة الناس فيها، أو لكثرة الشياطين، أو غير ذلك، ومنها:

1 - عند الغضب: فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: ابْنِ آدَمَ، اذْكُرْنِي عِنْدَ غَضَبِكَ، أَذْكُرْكَ عِنْدَ غَضَبِي» (5).

2 - عند دخول الأسواق: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا دَخَلْتُمُ الْأَسْوَاقَ، [و] (6) عِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ، وَزِيَادَةٌ فِي

ص: 56

1- (1) انظر: وسائل الشيعة: ج 7، ص 163، باب استحباب ذكر الله في النفس وفي السرّ، واختياره على الذكر علانية.

2- (2) عيون الحكم والمواعظ: ص 255.

3- (3) تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 286، ح 149.

4- (4) عيون الحكم والمواعظ: ص 32.

5- (5) كنز الفوائد: ص 56. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 184، وص 314. بحار الأنوار: ج 72، ص 321، ح 50، عن الكنز.

6- (6) بعض المصادر الآتية خالية من الواو.

3 - الخلوات وعند اللذات: فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «في التوراة مكتوب... يا موسى... اذكرني في خلواتك، وعند سرور لذاتك، أذكرك عند غفلاتك» (2).

4 - في الحرب: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فاقللوا الكلام، وأكثرُوا ذكر الله عز وجل» (3).

5 - عند المصيبة وعند ما حرّم الله: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذكر ذكران: ذكر عند المصيبة حسن جميل، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم الله؛ فيكون ذلك حاجزاً» (4).

وذكر الله تبارك وتعالى عند المصيبة، لعلك لا تجد أحداً جسّده بأجلى مظهره، كما جسّده أهل البيت عليهم السلام على نحو العموم، والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام على نحو الخصوص، وذلك عندما نزل به منزل، فدعا بدعائه العظيم، وهو آخر دعاء دعا به عليه السلام، يوم تكاثر عليه الأعداء وحاصروه، حيث يقول: «اللهم، متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق

ص: 57

1- (1) الخصال: ص 614، ضمن حديث الأربعمئة ومثله في تحف العقول: ص 104. عيون الحكم والمواعظ: ص 92. بحار الأنوار: ج 10، ص 92، ضمن الحديث الأربعمئة.

2- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 327، ح 7. أمالي الشيخ المفيد: ص 210، ح 46. قصص الأنبياء (الراوندي): ص 167. بحار الأنوار: ج 13، ص 328، ح 6، عن أمالي الشيخ الصدوق.

3- (3) الكافي: ج 5، ص 42، ح 5، الخصال: ص 617، ضمن حديث الأربعمئة، ومثله في تحف العقول: ص 107. مكارم الأخلاق: ص 148. عيون الحكم والمواعظ: ص 138. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 138، ح 35. بحار الأنوار: ج 10، ص 95، ضمن حديث الأربعمئة عن الخصال.

4- (4) تحف العقول: ص 216. الإختصاص: ص 218، عنه بحار الأنوار: ج 68، ص 93، ح 48، وج 75، ص 55، ح 110.

الوعدِ، سابِغِ النعمة، حَسَنُ البلاء...» (1).

وهكذا كان أبو عبد الله، يلهج بذكر الله تعالى إلى آخر أنفاسه الشريفة. الله أكبر! ومع هذا كله يقتله القوم وهم يكبرون الله!!

جاؤوا برأسك يا بنّ بنتِ محمّدٍ مترملاً بدمائه ترميلاً

قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا في قتلِكَ التنزيل والتأويل

ويكبرون بأن قُتلت وإنّما قتلوا بك التكبير والتهليل (2)

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أيّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتّقين.

ص: 58

1- (1) مصباح المتهجد: ص 827. إقبال الأعمال: ج 3، ص 304. المصباح: ص 544. بحار الأنوار: ج 82، ص 272.

2- (2) الأبيات لـخالد بن معدان الطائي، كما في أعيان الشيعة: ج 1، ص 623، وج 6، ص 296، وجاء في المصدر: «خالد بن معدان الطائي، من فضلاء التابعين، لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد إذ فقدوه، سألوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا. ثم أنشأ [هذه الأبيات]...».

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعملٍ بعد الفرائض، أحبُّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه» (1).

حُسْنُ الْخُلُقِ

حالة نفسية، تبعث على حسن معاشرته الناس، ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام، حينما سئل عن حدّه، فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن» (2).

والمقصود بتلين الجناح: ال «كناية عن عدم تأذى مَنْ يجاوره ويجالسه ويحاوره من خشونته، بأن يكون سلس الانقياد لهم، ويكفُّ أذاه عنهم، أو كناية عن شفقتهم عليهم، كما أنّ الطائر ييسط جناحه على أولاده؛ ليحفظهم ويكنفهم كقوله تعالى: (وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ)» 3.

وحسن الخلق من الأمنى والآمال، التى يطمح إليها كلّ عاقل، ويسعى لكسبها وتحقيقها كلّ مؤمن مجاهد.

ومن الملفت للنظر، أنّ جميع المواهب والإمكانات، والقيم والفضائل، لا تكون مدعاةً للإعجاب والإكبار، وسمو المنزلة ورفعة الشأن إلاّ إذا اقترنت بحسن الخلق، وازدانت بجماله الزاهر، ونوره الوضاء.

ومن هنا اهتمّت الشريعة الحنيفية بحسن الخلق؛ لأنّه نظام عقد الفضائل وملاكها؛ ولذا مجده أهل البيت عليهم السلام، وأكّدوا على التمسك به بمختلف الأساليب التوجيهية

ص: 61

1- (1) الكافي: ج 2، ص 100، ح 4، عنه بحار الأنوار: ج 68، ص 375، ح 4.

2- (2) المصدر نفسه: ص 103، ح 4، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 171، ح 39

المشوّقة (1)، كما تصوّره النصوص التالية:

النصوص الدالة على أهمية حُسن الخلق

هناك جملة من النصوص دلّت على أهمية حُسن الخلق، منها ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما ورد عن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أكثر ما يَدْخُلُ الناس الجنة: تقوى الله وحُسن الخلق» (2)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (3).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما يَوْضَعُ في ميزانِ امرئٍ يومَ القيامةِ أَفْضَلُ من حُسن الخُلُق» (4).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الخُلُقَ الحَسَنَ يَمِثُّ الخَطِيئَةَ، كما تَمِثُّ الشَّمْسُ الجَلِيدَ» (5).

وقال عليه السلام: «الْبِرُّ وَحُسْنُ الخُلُقِ يُعَمِّرَانِ الدِّيارَ، وَيَزِيدَانِ في الأَعْمَارِ» (6).

وكفى بحُسن الخلق شرفاً وفضلاً، إِنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث رسله وأنبياءه إلى الناس إلّا بعد أن حلّاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، ففيه رمز فضائلهم، وعنوان

ص: 62

1- (1) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 11 - ص 12.

2- (2) سبل السلام: ج 4، ص 211. الخصال: ص 78، ح 126. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 41، ح 107. بحار الأنوار: ج 67، ص 288، ح 20، عن الخصال.

3- (3) المجموع: ج 16، ص 415. مغنى المحتاج: ج 3، ص 260. إغاثة الطالبين: ج 3، ص 429. تحف العقول: ص 47. أمالي الشيخ الطوسي: ص 140، ح 40، عنه بحار الأنوار: ج 68، ص 389، ح 44.

4- (4) الكافي: ج 2، ص 99، ح 2، عنه وسائل الشيعة: ج 12، ص 151، ح 13. وبحار الأنوار: ج 7، ص 249، ح 7، وج 68، ص 374، ح 2.

5- (5) المصدر نفسه: ج 2، ص 100، ح 7. الجواهر السنية: ص 334، عنه وسائل الشيعة: ج 12، ص 149، ح 6. بحار الأنوار: ج 4، ص 464، ح 35، وج 68، ص 375، ح 7.

6- (6) المصدر السابق: ج 2، ص 100، ح 8، عنه وسائل الشيعة: ج 12، ص 149، ح 5.

ولقد كان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في حُسن الخلق وغيره من كرائم الفضائل والخلال، واستطاع بأخلاقه الرفيعة أن يملك القلوب والعقول، واستحقَّ بذلك ثناء الله تعالى عليه، بقوله عزَّ من قائل: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) 1 .

وهو العامل بما قال، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ» (1).

وعبر عن ذلك القرآن الكريم، حيث قال عز وجل: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) 3 ، ولكنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن غليظ القلب؛ ولذا لم ينفضوا من حوله، بل اجتمعت إليه العرب من كلِّ حذب وصوب، وفيهم من جند الجيوش ضده، وحزب الأحزاب، وأخشن الكلام وأفحشه فيه، ومنهم من هجاه، وهو مع كلِّ ذلك، لئن العريكة، سخى اليد، منشرح الصدر، وفى الدمة، كريم العشرة.

وإليك وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال عليه السلام: «كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرًا النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (2).

والشواهد على حُسن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام كثيرة، نتبرك

ص: 63

-
- 1- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 62، ح 9. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 58، ح 204. من لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 394، ح 5839. روضة الواعظين: ص 376. الاختصاص: ص 225. مشكاة الأنوار: ص 369. العهود المحمدية: ص 465. الدرة الباهرة: ص 2، ح 2. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 294، بحار الأنوار: ج 68، ص 383، ح 19، عن الأمامي.
 - 2- (4) مكارم الأخلاق: ص 18. بحار الأنوار: ج 16، ص 231. نظم درر السمطين: ص 56.

بذكر بعضها.

من أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

قد طفحت الكتب والتواريخ والسير، من المؤلف والمخالف، ومن المسلمين وغيرهم بالأخلاق العظيمة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

ويكفيك أن تضع يدك على بعضها؛ لتلمس الحقيقة بيدك.

منها: ما رواه أنس قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبدةً شديدةً، حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لي على بعيرٍ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده. ثم قال: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر» (1).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنَّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك. فقال: فإني لا أفارقك يا محمد، حتى تقضييني. فقال: إذن أجلس معك. فجلس معه حتى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله، يهودي يحبسك! فقال: لم يبعثنى ربي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره. فلما علا النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله، ما فعلت

ص: 64

بك الذى فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك فى التوراة، فإننى قرأت نعتك فى التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب، ولا متزّين بالفحش، ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وهذا مالى فاحكم فيه بما أنزل الله. وكان اليهودى كثير المال» (1).

وهكذا كان الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام فى مكارم أخلاقهم، وسمو آدابهم، وقد حمل الرواة إلينا صوراً رائعة، ودروساً خالدة من سيرتهم العطرة، وأخلاقهم الفذة.

ومن ذلك ما رواه الرواة عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، من أنّه قال: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة على بن أبى طالب عليه السلام حقًا، ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان، أب وابن، فقام إليهما، وأكرمهما، وأجلسهما فى صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قبر بطست، وإبريق خشب، ومنديل ليس (2)، وجاء ليصب على يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرّغ الرجل فى التراب وقال: يا أمير المؤمنين، الله يرانى وأنت تصب على يدي؟! قال: أقعد واغسل يدك، فإن الله عزّ وجلّ يراك وأخوك الذى لا يتميز منك، ولا يتفصّل عليك يخدمك، يريد بذلك فى خدمه فى الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك فى ممالكه فيها. فقعد الرجل، فقال له على عليه السلام: أقسمت

ص: 65

1- (1) أمالى الشيخ الصدوق: ص 552، ح 7. حلية الأبرار: ج 1، ص 203، ح 5. بحار الأنوار: ج 16، ص 216 - ص 217، ح 5، عن الأمالى. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج 2، ص 622. كنز العمال: ج 12، ص 407 - ص 408، ح 35443. تاريخ مدينة دمشق: ج 1، ص 184.

2- (2) (لبس) فى نسخة، ولبس: خَلَقَ بالٍ من كثرة الاستعمال، وفى نسخة: (لبس).

عليك بعظيم حَقِّي الذي عرفته وبجَلَّتْه، وتواضعك لله بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً، ففعل الرجل. فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية، وقال: يا بني، لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبَّ الأب على الأب، فليصبَّ الابن على الابن، فصبَّ محمد بن الحنفية على الابن. ثم قال الحسن العسكري عليه السلام: فَمَنْ اتَّبَعَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الشَّيْعِيُّ حَقّاً» (1).

وروى أيضاً فى أخلاقهم عليهم السلام: «وقف على على بن الحسين عليهما السلام رجلٌ من أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معى إليه حتى تسمعوا ردّى عليه. قال: فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبُّ أن تقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: (وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) 2، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً، قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: قولوا له: هذا على بن الحسين. قال: فخرج إلينا متوتّباً للشرّ، وهو لا يشك أنّه إنّما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له على بن الحسين عليهما السلام: يا أخى، إنّك كنت قد وقفت على أنّك فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فىّ، فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فىّ، فغفر الله لك. قال: فقَبَّلَ الرجلُ ما بين عينيه، وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به. قال الراوى للحديث: والرجل هو الحسن بن الحسن» (2).

ص: 66

-
- 1- (1) الاحتجاج: ج 2، ص 268، عنه بحار الأنوار: ج 41، ص 55 - ص 56، ح 5.
 - 2- (3) الإرشاد: ج 2، ص 145، وجاء فى الهامش: «ذكره مختصراً ابنُ شهر آشوب فى المناقب 4: 157، والذهبي فى سير أعلام النبلاء 4: 397، وفى هامشه عن ابن عساكر 12: 24، وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق 17: 240، ونقله العلامة المجلسي فى البحار 46: 54، ح 1».

وإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى أهمية حُسن الخلق عند الله تبارك وتعالى، فلينظر للحديث التالى المروى عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «ثلاثة نفر آلوا (أقسموا) باللات والعزّى؛ ليقتلوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب أمير المؤمنين وحده إليهم، وقتل واحداً منهم، وجاء بآخرين، فقال النبيُّ: قدّم إليّ أحدَ الرجلين، فقدّمه فقال: قل: لا إله إلاّ الله، واشهد أنّي رسول الله. فقال: لنقلِ جبل أبى قبيس أحبّ إليّ من أن أقول هذه الكلمة. قال: يا على، أخره واضرب عنقه. ثمّ قال: قدّم الآخر، فقال: قل: لا إله إلاّ الله، واشهد أنّي رسول الله. قال: ألحقني بصاحبي. قال: يا على، أخره واضرب عنقه. فأخره وقام أمير المؤمنين ليضرب عنقه. فنزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول: لا تقتله؛ فإنّه حسن الخلق، سخيٌّ في قومه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا على، أمسك، فإنّ هذا رسول ربّي يخبرني أنّه حسن الخلق، سخيٌّ في قومه. فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟ قال: نعم. قال: والله، ما ملكت درهماً مع أخٍ لي قط، ولا قطّبت وجهي في الحرب، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله. فقال رسول الله: هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخائه إلى جنات النعيم» (1).

وهكذا كانت أخلاق سيد الشهداء عليه السلام حتى مع الدّ أعدائه في يوم عاشوراء، فقد كانت سيرته الشّريفة الطّيبة تشهد برحمته التي طبقت الآفاق، وشملت الناس جميعاً، «ينظر إلى القوم الذين احتوشوه استعداداً لقتله ويبكى! سألته أخته زينب لماذا البكاء؟ قال: أبكى لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببي، هل رأيتم إنساناً يبكى على عدوه الذي يظلمه؟!.. لم يكن هذا إلاّ من الأنبياء» (2).

ص: 67

-
- 1- (1) انظر أُمالي الشيخ الصدوق: ص 167، ح 164. الخصال: ص 94. حلية الأبرار: ج 2، ص 90، ح 2. بحار الأنوار: ج 41، ص 75، ح 4، عن الخصال، وج 68، ص 390، ح 49، عن الخصال والأُمالي.
- 2- (2) بنور فاطمة اهتديت: ص 201.

فأنظر إلى رحمته عليه السلام، ولكن في نفس الوقت انظر إلى قساوة أعدائه عليه السلام... الله أكبر!!

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتّقين.

ص:68

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (1).

«الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم؛ لجعله موضع التوحيد عند المشركين. وعرفاً هو: بخس الحق والاعتداء على الغير، قولاً أو عملاً، كالسباب والاعتياب، ومصادرة المال وغيرها.

والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسى والأهوال» (2).

الآيات والروايات التي تذمّ الظلم وتحذّر منه

لا توجد شريعة سماوية لم تذمّ الظلم وتحذّر منه، بل كلّ الشرائع السماوية السابقة ناضلت ضدّ الظلم وحذّرت منه، وذمّته أشدّ الذمّ، ثمّ جاءت الشريعة الخاتمة، فحذّرت من الظلم، ونهت عنه، وآيات القرآن الكريم طافحة بذلك.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) 3 .

وقال تعالى: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) 4 .

وقال تعالى: (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 5 ، وغيرها من الآيات المباركة.

ص: 71

-
- 1- (1) () الخصال: ص 176، ح 235، عنه بحار الأنوار: ج 70، ص 303، ح 16، وج 72، ص 309، ح 7. وسائل الشيعة: ج 9، ص 42، ح 21. وأنظره في مصادر العامة: المستدرک علی الصحیحین: ج 1، ص 12. مسند الحمیدی: ج 2، ص 490. الآحاد والمثاني: ج 5، ص 210، ح 2739. كنز العمال: ج 16، ص 53، ح 43901. الدر المنثور: ج 1، ص 352.
- 2- (2) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 116.

والروايات كذلك قد نهت عن الظلم، وحذرت منه، ومنها هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد وصفه فيه بأنه الظلمات عند الله عز وجل يوم القيامة.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصى الله في نملة، أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلني ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى» (1)، والأحاديث في المقام كثيرة.

ثم إن من يظلم يسلط الله عليه من يظلمه، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «من ظلم سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقب عقبه» (2).

أنواع الظلم

إن الظلم يتنوع بحسب الجهة التي يقع عليها، أو قل: الجهة المظلومة، ومن هذه الأنواع ما نشير إليه على نحو الاختصار:

1 - ظلم الإنسان نفسه: وذلك بإهمال توجيهها إلى طاعة الله عز وجل، وتقويمها بالخلق الكريم، والسلوك الرضي، مما يزجها في متاهات الغواية والضلال، فتبوء آنذاك بالخيبة والهوان.

2 - ظلم الإنسان عائلته: وذلك بإهمال تربيتهم تربية إسلامية صادقة، وإغفال توجيههم وجهة الخير والصلاح، وسياستهم بالقسوة والعنف، والتقتير عليهم بضرورات الحياة، ولوازم العيش الكريم، مما يوجب تسيبهم وبلبلة حياتهم، مادياً ومعنوياً وأدبياً.

ص: 72

1- (1) نهج البلاغة: ج 2، ص 218، رقم 224، الصراط المستقيم: ج 1، ص 163. بحار الأنوار: ج 41، ص 162، ح 57، وج 72، ص 360، ح 76، عن النهج.

2- (2) الكافي: ج 2، ص 332، ح 13. وأنظر: تفسير العياشي: ج 1، ص 223، ح 37. التفسير الأصفى: ج 1، ص 196. التفسير الصافي: ج 1، ص 425. ثواب الأعمال: ص 234. بحار الأنوار: ج 72، ص 315، ح 35 عن تفسير العياشي، وص 325، ح 56 عن الكافي، وص 332، ح 68 عنه أيضاً.

3 - ظلم الإنسان ذوى قرياه: وذلك بجفائهم وخذلانهم فى الشدائد والأزمات، وحرمانهم من مشاعر العطف والبرّ، ممّا يبعث على تناكرهم وتقاطعهم.

4 - ظلم الإنسان للمجتمع: وذلك بالاستعلاء على أفراد، وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعى تحلّل أواصر المجتمع وضعف طاقاته.

وأشيع المظالم الاجتماعية، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صدّ العدوان عنهم، ولا يملكون إلاّ الشكاة والضراعة إلى العدل الرحيم فى ظلاماتهم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لَمَّا حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة، ضمّنى إلى صدره، ثمّ قال: يا بنى، أوصيك بما أوصانى به أبى حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به. قال: يا بنى، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلاّ الله تعالى» (1).

5 - ظلم الحكّام والمتسلّطين: وذلك باستبدادهم، وخنقهم حرية الشعوب، وامتهان كرامتها، وابتزاز أموالها، وتسخيرها لمصالحهم الخاصّة، من أجل ذلك كان ظلم الحكّام أسوأ أنواع الظلم، وأشدّها نكرًا وأبلغها ضررًا فى كيان الأُمّة ومقدراتها.

ولذا شدّد الأئمّة عليهم السلام على حرمة إعانة الظالمين؛ لأنّ الظالم إنّما يتقوّى بأعوانه، ولولا هم لما دبّ له دابّ، ولا رجل له راجل، فقد روى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به، شركاء ثلاثتهم» (2). ولا كفّارة لعمل السلطان إلاّ قضاء حوائج الإخوان، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفّارة عمل السلطان

ص:73

1- (1) الكافى: ج 2، ص 331، ح 5. أمالى الشيخ الصدوق: ص 249، ح 10. الخصال: ص 16، ح 59. روضة الواعظين: ص 465. بحار الأنوار: ج 46، ص 153، ح 16، عن الأمالى.

2- (2) المصدر نفسه: ج 2، ص 333، ح 16، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 333، ح 67. وأنظر: الخصال: ص 107، ح 72، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 312، ح 16.

وخامة الظلم

إن استنكار بنى البشر للظلم واستبشاعه فطري، تأباه النفوس الحرة الكريمة، ولكن هذا فيما لو استمرت الفطرة بسلامتها، ولم تلوثها الأجواء، وإلا سوف يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ومال الله دولةً بين الأغنياء، ويُقدّم الرجل الدنيء على المؤمن الصادق (2). ويزداد ظلم الظالمين ظلماً فوق ظلم، حتى يكون الظلم يوم القيامة، كما عبّر عنه الحديث الذي افتتحنا به الكلام، ويصير فرعون الأمس عشرات من الفراعنة، ولم يهابوا حينئذٍ ما أعدّه الله تبارك وتعالى؛ إذ قال عز وجل: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (3)، ومن هنا جاء في الأثر أنه «لَمَّا سَجَدَ السَّحَرَةُ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ هَامَانَ لِفِرْعَوْنَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ آمَنُوا بِمُوسَى، فَانْظُرْ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِ، فَاحْبِسْهُ. فَحَبَسَ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: خَلِّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ الطُّوفَانَ، فَخَرَّبَ دَوْرَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ، حَتَّى خَرَجُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَضَرَبُوا الْخِيَامَ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: ادْعُ رَبِّكَ حَتَّى يَكْفَ عَنَّا الطُّوفَانُ، حَتَّى أَخْلِيَ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَصْحَابِكَ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُمْ الطُّوفَانُ، وَهُمْ فِرْعَوْنُ أَنْ يَخْلِيَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ هَامَانُ: إِنَّ خَلِيَّتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَلَبَكَ مُوسَى، وَأَزَالَ مَلِكَكَ. فَقَبِلَ مِنْهُ، وَلَمْ يَخْلُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْجَرَادَ، فَجَرَدَتْ كُلُّ شَيْءٍ

ص: 74

-
- 1- (1) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج 3، ص 176، ح 3666. وسائل الشيعة: ج 17، ص 192، ح 3. وروى بلفظ آخر، انظر: تحف العقول: ص 410. مشكاة الأنوار: ص 546.
- 2- (2) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 118 - ص 123.
- 3- (3) إبراهيم: آية 42.

كان لهم من النبت والشجر، حتى كانت تجرد شعرهم ولحيتهم، فجزع من ذلك جزعاً شديداً، وقال يا موسى: ادع ربك أن يكف عنا الجراد، حتى أخلّى عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربه، فكف عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلّى عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن دفعت عنا القمل كففت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل، وقال: أول ما خلق الله القمل في ذلك الزمان، فلم يخل عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنها كانت تخرج من أديارهم وآذانهم وأنفهم. فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى، فقالوا: ادع الله أن يذهب عنا الضفادع، فإننا نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه، فرفع الله عنهم ذلك، فلما أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل، حوّل الله ماء النيل دماً، فكان القبطى يراه دماً والإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطى كان دماً، فكان القبطى يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبه في فمي! فإذا صبه في فم القبطى تحوّل دماً، فجزعوا جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لأن رفع الله عنا الدم لنرسلنّ معك بني إسرائيل. فلما رفع الله عنهم الدم، غدروا، ولم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرجز، وهو الثلج، ولم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه، وجزعوا جزعاً شديداً، وأصابهم ما لم يعهدوا قبله، فقالوا:

(يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل)، فدعا ربه فكشف عنهم الثلج، فخلّى عن بني إسرائيل، فلما خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام، وخرج موسى من مصر، واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّى عن بني إسرائيل؛ فقد

اجتمعوا إليه، فجزع فرعون، وبعث في المداين حاشرين، وخرج في طلب موسى»(1).

نتيجة الظلم ونهاية الظالمين

لو تتبعنا أحوال وسير الظالمين على مرّ العصور، لوجدناهم مساكين بمعنى الكلمة، ولو التفت الظالم لنفسه، لعلم أنّه أعدى مخلوق لها؛ إذ نتائج الظلم معلومة، ونهاية الظالمين واضحة جلية، ولكن نؤكد ذلك ببيان بعض الآثار والنتائج المترتبة على الظلم:

الأولى: ذهاب الحسنات وزيادة السيئات

فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه قال: «إنّه ليأتى العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا ربّ، ظلمنى هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل فى حسنات الذى سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته، فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار»(2).

الثانية: زوال نعمة الظالم

فقد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»(3).

الثالثة: تعجيل العقوبة

فقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: «أىّ ذنب أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال: من ظلم من لا

ص: 76

1- (1) تفسير القمى: ج 1، ص 238، عنه بحار الأنوار: ج 13، ص 110 - ص 111، ح 15.

2- (2) ميزان الحكمة: ج 2، ص 1771. والنهاية: ج 2، ص 55، ولم أعثر عليه فى غيره، ولا على الكتاب الذى نقل منه.

3- (3) نهج البلاغة: ج 3، ص 85.

ناصر له إلاّ الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغى على الفقير» (1)، ولذا نرى كيف عجل الله العقوبة بمن ظلم من كان ينادى: «هل من ذابّ يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟! فارتفعت أصوات النساء بالعويل» (2)، وكيف عجل الله العقوبة بمن قال له: «والله، لا تذوقه [الماء] حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها! فقال: بل أرد على جدّي رسول الله، وأسكن معه في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتُم مني، وفعلتم بي. فغضبوا بأجمعهم حتى كأنّ الرحمة سلبت من قلوبهم» (3).

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلُ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: 77

1- (1) الاختصاص: ص 234، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 320، ح 43.

2- (2) اللهوف: ص 69.

3- (3) مشير الأحزان: ص 57. اللهوف: ص 75. بحار الأنوار: ج 45، ص 57.

قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 1 .

تستعرض هاتان الآيتان جزاء الخائف من مقام الله تبارك وتعالى، والاستكثار على مَنْ كَذَّبَ هذا الجزاء وأنكر هذه النعمة، وقبل الولوج في صلب الموضوع، لا بدّ من بعض الإيضاحات:

ما هو الخوف؟

الخوف هو تألم النفس خشيةً من حدوث شيء ووقوعه.

وأما الخوف من الله تبارك وتعالى فهو تألم النفس خشيةً من عقابه، وحياءً من عتابه.

والخوف من الله تبارك وتعالى من خصائص الأولياء، وسمات المتّقين، والباعث المحفّز على الاستقامة والصّلاح، والوازع القوي من الشرور والآثام.

لذلك أولته الشريعة عنايةً فائقةً، وأثنت على ذويه ثناءً عاطراً مشرفاً (1)؛ إذ قال عزّ وجلّ: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) 3 .

وعن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك، ثمّ برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك» (2).

وقال عليه السلام أيضاً: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً

ص: 81

1- (2) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 175 - ص 176.

2- (4) الكافي: ج 2، ص 68، ح 2، عنه بحار الأنوار: ج 67، ص 355، ح 2.

راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو» (1).

ويروى أنّه: «دخل حكيمٌ على المهتدى العباسي، فقال الأخير له: عظمي، فقال الحكيم: أليس هذا المجلس قد جلس فيه أبوك وعمّك قبلك؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ ترجو لهم النجاة بها؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ تخاف عليهم الهلكة منها؟ قال: نعم. قال: فأنظر ما رجوت لهم فيه فآته، وما خفت عليهم منه فاجتنبه» (2).

محاسن الخوف

إنّ للخوف محاسناً عديدة، وكيف لا يكون كذلك، وهو من الصفات الحميدة والخلال الحسنة المجيدة، وقد مدحه الكتاب والسنة والعقلاء والحكماء.

إذا لا يحصل الإنسان على السعادة الدنيوية والأخروية إلاّ بالخوف من الله تبارك وتعالى؛ ولذا أعدّ الباري عزّ وجلّ في هذه الآية وغيرها الثواب الجزيل للخائفين منه جلّ وعلا.

ولذا نرى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشدّر الخائفين من الله تبارك وتعالى، والكابحين لشهواتهم، والغالبة عقولهم عليها، بأنّهم خير من الملائكة؛ إذ قال عليه السلام: «إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم» (3).

فصار الإنسان المسيطر على شهوته والمتحكّم بها سعيداً، ويعيش حياةً طيبةً، وما ذاك

ص: 82

1- (1) المصدر نفسه: ج 2، ص 71، ح 11. تحف العقول: ص 395. أمالي الشيخ المفيد: ص 195، ح 27. عدّة الداعي: ص 137. بحار الأنوار: ج 67، ص 365، ح 9، عن الكافي.

2- (2) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 177.

3- (3) علل الشرائع: ج 1، ص 4، ح 1. وسائل الشيعة: ج 15، ص 209، ح 2. التفسير الأصفي: ج 1، ص 414. التفسير الصافي: ج 2، ص 254. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 103، ح 371، عن العلل. بحار الأنوار: ج 57، ص 299، ح 5، عن العلل أيضاً.

إِلَّا لَخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ، وَخُضُوعِهِ لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ، قَالَ تَعَالَى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (1).

وما نراه اليوم من مآسى وآلام تحيط بالشعوب والأفراد، ما هو إلا تبعات ترك الحكام والسلاطين، بل الناس أنفسهم، لخشية الله والخوف منه، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (2).

ما هو المقصود من المقام؟

ولو تأملنا فى الآية، نجد أنها قالت: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ)، فما هو المقام الذى رتبته الآية عليه ذلك الجزاء الكبير وهو (الجنة).

لقد فسر الإمام الصادق عليه السلام المقام عند تفسيره لهذه الآية، حيث قال عليه السلام: «وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجِزُهُ ذَلِكَ عَنِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» (3).

فالخوف من مقام الله، هو الخوف الذى يحجب الإنسان عن معاصى الله، ويحذره من مواقف يوم القيامة، والحضور أمام الله سبحانه وتعالى للحساب.

ولذا قالت الآية المباركة من سورة فاطر: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) 4،

ص: 83

1- (1) النحل: آية 97.

2- (2) الأعراف: آية 96.

3- (3) الكافي: ج 2، ص 71، ح 10. التفسير الأصفى: ج 2، ص 1246. التفسير الصافى: ج 5، ص 113. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 196، ح 48. وسائل الشيعة: ج 15، ص 219، ح 3، عن الكافى.

فالذى يخشى الله تبارك وتعالى ويخافه هو مَنْ يعلم بمقامه ومنزلته، ووعدته ووعيدته وعدله، فالخوف والخشية يتناسبان تناسباً طردياً مع العلم؛ فكلّما ازداد علم الإنسان، فالمفترض أن يزداد خوفه وخشيته من الباري عزّ وجلّ.

ومن هنا روى عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «خرجت امرأةً بغى على شباب من بنى إسرائيل، فأفتنتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً لو رآها أفتنته، وسمعت مقاتلتهم، فقالت: والله، لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتته، فمضت نحوه في الليل، فدقّت عليه، فقالت: أوى عندك، فأبى عليها، فقالت: إنّ بعض شباب بنى إسرائيل راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني وإلاّ لحقوني وفضحوني، فلما سمع مقاتلتها فتح لها، فلما دخلت عليه، رمت بثيابها، فلما رأى جمالها وهيأتها، وقعت في نفسه، فضرب يده عليها، ثمّ رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فاقبل حتى وضع يده على النار، فقالت: أى شيء تصنع؟ فقال: أحرقتها؛ لأنّها عملت العمل فخرجت حتى أتت جماعة بنى إسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً، فقد وضع يده على النار. فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده» (1).

فانظر إلى هذا العابد، لولا أنّه يعلم مقام الله سبحانه وتعالى لما نجى من هذه الموبقة العظيمة، والجريمة الفظيعة، والكبيرة الموبقة وهي الزنا، أعاذنا الله من كلّ قبيح وحرام.

ما هما الجنتان؟

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو: ما الجنتان اللتان وعد الرحمان بهما لمن خاف مقامه عزّ وجلّ؟

اختلفت آراء علماء المسلمين من المفسّرين في هاتين الجنتين، ف قيل: «أحدهما للإنس، والأخرى للجان، أو جنة عدن وجنة النعيم، أو بستانان من بساتين الجنة، أو إحداهما

ص: 84

1- (1) قصص الأنبياء (الراوندى): ص 187، ح 223. قصص الأنبياء (الجزائري): ص 520، ولكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام، عنه بحار الأنوار: ج 14، ص 492، ح 11، وج 67، ص 387، ح 52.

منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدمه، كعادة رؤساء الدنيا»(1).

وقيل: «جَنَّةُ لِفْعَلِ الطَّاعَةِ، وأُخْرَى لترك المعصية. وقيل: جَنَّةٌ للعقيدة التي يعتقدها، وأُخْرَى للعمل الذي يعملُه. وقيل: جَنَّةٌ بالعمل، وجَنَّةٌ بالتفضيل. وقيل: جَنَّةٌ روحانية، وجَنَّةٌ جسمانية. وقيل: جَنَّةٌ لخوفه من ربِّه، وجَنَّةٌ لتركه شهوته. وقال الفراء: إنما هي جَنَّةٌ واحدة، والتثنية لأجل موافقة رؤوس الآي. قال النحاس: وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله؛ فإنَّ الله يقول (جَنَّتَانِ) ويصفهما بقوله فيهما»(2).

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: «وهذه الأقوال - كما ترى - لا دليل على شيء منها. ثمَّ قال: وقيل: جَنَّةٌ يُثَابُ بها وجَنَّةٌ يُنْفَضَّلُ بها عليه، ويمكن أن يُستشعر ذلك من قوله تعالى: (لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)»(3).

كيف نستشعر الخوف من الله تبارك وتعالى

الخوف - كما قلنا - هو تألُّم النفس خشية من عذاب الله وعقابه، وهذا التألُّم في كثير من الأحيان يضعف عن المستوى المطلوب، وحينئذٍ لا بدَّ من استشعاره مرةً أخرى حتَّى يصل إلى الحدِّ الذي يكون فيه خوفاً من مقام الله تبارك وتعالى، ولأجل ذلك لا بدَّ من اتِّباع النصائح التالية:

1 - تركيز العقيدة، وتقوية الإيمان بالله تعالى، ومفاهيم المعاد والثواب والعقاب، والجَنَّة والنار؛ إذ الخوف من ثمرات الإيمان وانعكاساته على النفس، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) 4.

ص: 85

1- (1) تفسير العزّ بن عبد السلام: ج 3، ص 268.

2- (2) فتح القدير: ج 5، ص 140.

3- (3) تفسير الميزان: ج 19، ص 109.

2 - دراسة حالات الخائفين، وضراعتهم وتبتلهم إلى الله عز وجل، خوفاً من سطوته، وخشية من عقابه.

ولذا ترى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو زين العابدين، وسيد الساجدين، كيف يناجي ربّه يقول في بعض أدعيته: «وما لي لا أبكي؟! ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني، وأيامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسى أجنحة الموت، فما لي لا أبكي؟! أبكى لخروج نفسي، أبكى لحلول رمسى، أبكى لظلمة قبري، أبكى لضيق لحدى، أبكى لسؤال منكر ونكير إياي، أبكى لخروجه من قبري عُرياناً ذليلاً حاملاً ثقل على ظهري، أنظر مرّة عن يميني، ومرّة عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني: (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) 1.

2 - استماع المواعظ البليغة والحكم الناجعة، الموجبة للخوف والرهبة (1). وأعظم مواعظ يجب استماعها هي مواعظ أهل البيت عليه السلام؛ لأنّها مواعظ خرجت من قلوب صادقة، وأفواه طيبة، وهي مواعظ بليغة، بالغة الأهميّة، تذيب الصخر الأصم.

ومن تلك المواعظ مواعظ سيّد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء التي كانت من السمو والرفعة أن نصح أعدائه من قتله ووعظهم، ففي يوم عاشوراء وبعد أن صفّ ابنُ سعد أصحابه للحرب دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا

ص: 86

رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم افضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصّالحين. ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلم قطّ قبله ولا بعده أبلغ فى منطق منه، ثمّ قال: «أما بعد: فانسبونى فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتى؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّى؟ أو ليس جعفر الطيار فى الجذّة بجناحين عمّى؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لى ولأخى: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟ فإن صدّقتمونى بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتمونى فإنّ فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى وأبا سعيد الخدرى وسهل بن سعد الساعدى وزيد بن أرقم وأنس بن بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟! فقال له شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى (ما تقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع الله على قلبك. ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام: «فإن كنتم فى شكّ من هذا، أفتشكّون أنّى ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبىّ غيرى فيكم ولا- فى غيركم، ويحكّم، أطلبونى بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلمونه، فنادى: «يا شبت بن ربعى، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجنب، وإنا تقدم على جند لك مجندة؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى ما تقول، ولكن انزل على حكم بنى عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ. فقال له الحسين: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. ثمّ

نادى: «يا عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»(1).

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً فإذا هم لا يملكون خطاباً

يدعو ألت أنا ابن بنت نبيكم وملاذكم إن صرف دهر نابا

هل جئت في دين النبي ببدعة أم كنت في أحكامه مرتابا

أم لم يوص بنا النبي وأودع الثقلين فيكم عترة وكتابا

إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا أحسابكم إن كنتم أعرابا

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلا الأسنة والسهام جوابا(2)

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص:88

1- (1) الإرشاد: ج 2، ص 97 - ص 98. إعلام الوري: ج 1، ص 458. الدر النظيم: ص 552. بحار الأنوار: ج 45، ص 6، عن الإرشاد.

2- (2) ديوان السيد رضا الهندي: ص 42.

عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليها السلام، وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول» (1).

وقبل البدء في تسليط الضوء على فقرات هذه الرواية الشريفة، ينبغي أن يُعلم أنَّ كلام الإمام عليه السلام ليس مقتصرًا على الشيعة، بل هو لجميع الأمة وإن كان المخاطب به الخاص؛ لأنَّ الإمام يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هداية الأمة وإرشادها، كما هو واضح.

يخاطب الإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث الشيعة، بل جميع الأمة، ويأمرهم بأن يكونوا له، ولجميع الأمة عليهم السلام زيناً، وأن لا يكونوا شيناً كذلك.

ثمَّ قال الإمام عليه السلام: «قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول، وقبيح القول».

من أخطر وأوضح مصاديق الفضول، وقبيح القول هو الكلام الفاحش، والسباب، والقذف الذي ابتليت به هذه الأمة، ونحن - إن شاء الله تعالى - سنذكر هذه القبائح الثلاثة على نحو الاختصار.

1 - الفحش: هو التعبير عمّا يقبح التصريح به (2)، كألفاظ الوقاع، وآلاته ممّا يتلفّظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعبّرون عنها بالكناية والرمز، كاللمس والمسّ، كناية عن الجماع.

ص: 91

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 484، ح 17. أمالي الشيخ الطوسي: ص 440، ح 44. وسائل الشيعة: ج 12، ص 148 - ص 149، ح 18. بحار الأنوار: ج 65، ص 151، ح 6، عن أمالي الشيخ الطوسي، وج 6، ص 310، ح 3، عن أمالي الشيخ الصدوق.

2- (2) انظر: النهاية في غريب الحديث: ج 3، ص 415.

وهكذا يُكَنَّى الأدباء عن ألفاظ ومفاهيم يتفادون التصريح بها؛ لياقة وأدباً، كالكناية عن الزوجة بالعائلة، وأمّ الأولاد، وعن التبول والتغوط بقضاء الحاجة، والرمز إلى البرص والقرع بالعارض مثلاً؛ إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مُستَهْجَن عند العقلاء والعارفين.

2 - وأما السبّ: فهو الشتم⁽¹⁾، نحو (يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن)، وأمثاله من مصاديق الإهانة والتحقير.

3 - وأما القذف: نحو يا ابن الزانية، أو يا زوج الزانية، أو يا أخ الزانية. وغيرها من الألفاظ المماثلة ممّا اعتاد عليه البعض من غير المتدينين، بل البعض منهم يمازح رفيقه بها، ولا يقولها إلاّ مدحاً له.

وهذه الخصال الثلاث من أشنع مساوئ اللسان، وغوائله الخطيرة التي استنكرها الشرع والعقل، وحذرت منها الآثار والنصوص.

الفحش والسبّ والقذف في نظر الشارع المقدّس

لقد حذرت الشريعة المقدّسة عن الكلام الفاحش والسباب والقذف أشدّ التحذير، والآيات والروايات الواردة في المقام عديدة.

أما الفحش: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذمّه: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَذَىءٍ، قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يَبَالِي مَا قَالَ، وَلَا مَا قِيلَ لَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ إِلَّا لَغِيَةً أَوْ شِرْكَ شَيْطَانٍ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي النَّاسِ شِرْكَ شَيْطَانٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)»².

ص: 92

1- (1) انظر: الصحاح: ج 1، ص 144.

فالمراد بمشاركة الشيطان للناس فى الأموال، دفعهم على كسبها بالوسائل المحرّمة، وإنفاقها فى مجالات الغواية والآثام.

وأما مشاركته فى الأولاد: فبمشاركته الآباء فى حال الوقاع، إذا لم يسمّوا الله تعالى عنده، فعن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام جالسا فذكر شرك الشيطان، فعظّمه حتى أفرغنى، قلت: جعلتُ فداك فما المخرج من ذلك؟ قال: «إذا أردت الجماعة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، الذى لا إله إلا هو، بديع السماوات والأرض، اللهم إن قضيت منى فى هذه الليلة خليفة فلا تجعل للشيطان فيه شركا، ولا نصيبا، ولا حظا، واجعله مؤمنا مخلصا مصفى من الشيطان ورجزه، جلّ ثناؤك» (1).

ومما يؤكّد نهى الشارع عن الفحش أيضا، ما روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ خافَ الناسُ لسانَه فهو فى النار» (2).

وأما السبّ: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحَرْمَةِ دَمِهِ» (3).

وأما القذف: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «ما من إنسانٍ يطعن فى عين مؤمن، إلّا مات بشرّ ميتة» (4).

ص: 93

-
- 1- (1) المصدر نفسه: ج 5، ص 503، ح 4.
 - 2- (2) المصدر السابق: ج 2، ص 327، ح 3. وسائل الشيعة: ج 16، ص 31، ح 9. بحار الأنوار: ج 72، ص 283، ح 11 عن الكافى، وروى أيضا بعينه فى وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأُمير المؤمنين عليه السلام، انظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 352، ح 5762.
 - 3- (3) المصدر نفسه: ج 2، ص 360، ح 2. الاختصاص: ص 343. مشكاة الأنوار: ص 179. وسائل الشيعة: ج 12، ص 282، ح 2. بحار الأنوار: ج 72، ص 160، ح 33، عن الكافى.
 - 4- (4) المحاسن: ج 1، ص 100، ح 70. الكافى: ج 2، ص 361، ح 9. ثواب الأعمال: ص 239. وسائل الشيعة: ج 12، ص 299، ح 3. بحار الأنوار: ج 72، ص 145، ح 14 عن ثواب الأعمال، وص 167، ح 39 عن الكافى.

وعن عمرو بن نعمان الجعفي قال: «كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشى معه في الحدائق، ومعه غلام له سندی يمشى خلفهما، إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة، قال: يا ابن الفاعلة، أين كنت؟ قال: فرّعت أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه، ثمّ قال: سبحان الله! تقذف أمّه، قد كنت أرى أنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك، إنّ أمّه سندية مشرّكة، فقال: أما علمت أنّ لكلّ أمة نكاحاً، تنحّ عني. قال: فما رأيته يمشى معه حتى فرّق الموت بينهما. وفي رواية أخرى: إنّ لكلّ أمة نكاحاً تحتجزون به من الزنا» (1).

وقد عزى بعض العلماء (2) السبب في الفحش والسبّ والقذف إلى أسباب: منها، العداوة والحسد، أو الغضب وسوء الخلق، وكثيراً ما تنشأ من فساد التربية، وسوء الأدب والصحبة، فنحن نرى في العالم الخارجي أنّ الشخص الذي يعيش في وسط لا يبالي بقول الفحش ولا السبّ والبذاء والقذف، نراه يتلفّظ تلك الألفاظ بسهولة، وتصبح عنده أحلى من العسل، سواء سمعها قيلت فيه، أو قالها هو لآخر.

مساوئ آثار هذه الخصال

إنّ لقول الفحش والسبّ والقذف مساوئاً وآثاراً سيئة كثيرة، وأضراراً خطيرة، وآثاماً فادحة.

فمن مساوئها: أنّها تجرّد الإنسان من خصائص الإنسانية المهدّبة، وأخلاقها الكريمة، وتسمّه بالسفالة والوحشية.

ومنها: أنّها داعية للعداء والبغضاء، وإفساد العلاقات الاجتماعية، وإيجابها المقت والمجافاة بين أفراد المجتمع.

ص: 94

1- (1) الكافي: ج 2، ص 324، ح 5. وسائل الشيعة: ج 11، ص 331، ح 1، وح 2.

2- (2) انظر: كلام السيد مهدي الصدر رحمه الله في كتابه القيم أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 238.

ومنها: أنَّها تعرّض ذويها لسخط الله تعالى وعقابه الأليم، كما ذكرته النصوص الآنفة الذكر.

لذلك جاء التحريض على رعاية اللسان، وصونه عن قوارص البذاء(1).

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتّقين.

ص:95

1- (1) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 236 - ص 238.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصَدِّ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) 1.

من أهم الأسباب التي تولّد المشاكل بين الأفراد، بل المجتمعات بصورةٍ عامّةٍ، هي مشكلة سوء الإستفادة من عضلة اللسان، هذه العضلة التي وهبها الله عزّ وجلّ لتكون نعمة للبشر، لا أن تكون نقمة عليهم، ومن هنا قال الشاعر:

احفظ لسانك أيُّها الإنسانُ لا يلدغُكَ إنّه ثعبانٌ (1)

وهذا هو الواقع؛ فإنّ اللسان أشدّ من الثعبان، فإنّه سيّجّ ضارّ، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللسان سيّج، إن خلى عنه عقر» (2).

فمن أجل ذلك كان صون اللسان مهمّة كلّ إنسان عاقل، يدين بدين الله تبارك وتعالى، وتعيده على الكلم الطيب دون الخبيث منه؛ فإنّ الكلمة الطيبة هي الباقية، والخبيثة مجتثّة من فوق الأرض مالها من قرار.

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ

ص: 99

1- (2) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص 148. الأذكار النووية: ص 335، والمصدران لم ينسبا لأحد. العهود المحمّدية: ص 486، وص 761 وقال: «وقد أنشدني شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري نفعا الله ببركاته». وفي نخبة اللاّلي: ص 32، نسبه للشافعي.

2- (3) نهج البلاغة: ج 4، ص 15، رقم 60، عنه بحار الأنوار: ج 68، ص 290، ح 62.

قَرَارٍ * يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ¹ .

فطيب الكلام، وحسن الحديث والمقال من صفات النبلاء والكرام، بخلاف الكلام الخبيث.

تأكيد القرآن والسنة على صون اللسان

لقد أُكِّدَت الآيات والروايات على صون اللسان عن كل ما لا يرضى الله تبارك وتعالى، وهكذا السنة الشريفة.

أما الآيات الدالة على ذلك فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)²، وقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)³ .

ومن الآيات الآية التي افتتحنا بها المحاضرة، وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى، وأيضاً الآية المتقدمة، وهي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا...) .

وأما الروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

1 - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله، أوصني». قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك، ويحك! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»⁽¹⁾

ص:100

1- (4) الكافي: ج 2، ص 115، ح 14. تحف العقول: ص 56. وسائل الشيعة: ج 12، ص 191، ح 8. بحار الأنوار: ج 68، ص 303، ح 78، عن الكافي.

2 - وقال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسي في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة» (1).

فأنظر إلى أهمية صون اللسان عن غير الكلام الحسن، وأهمية الكلام الحسن، الذي فيه آثار عديدة، منها: أنه يثري المال، وينمي الرزق، ويؤخر الأجل، ويحبب إلى الأهل، وأهمها: الدخول إلى الجنة، الذي هو أمنية كل مؤمن.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله عبداً قال خيراً فغَنِمَ، أو سكت عن سوء فسَلِمَ» (2).

ومرَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برجلٍ يتكلّم بفضول الكلام، فوقف عليه، وقال: «يا هذا، إنك تملئ على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلّم بما يعينك، ودع ما لا يعينك» (3).

التأمل في الآيتين

بعد هذه المقدمات في الموضوع، فلنرجع إلى الآيتين المباركتين، حيث قال الباري عزّ وجلّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) .

فقد أمرنا الله تبارك وتعالى بتقواه، وأن يكون قولنا قولاً سديداً، ورتّب على ذلك

ص: 101

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 49، ح 1. الخصال: ص 317، ح 100. روضة الواعظين: ص 370. وسائل الشيعة: ج 12، ص 186، ح 16. بحار الأنوار: ج 68، ص 310، ح 1، عن الخصال والأمال.

2- (2) () الإمامة والتبصرة: ص 37. تحف العقول: ص 43. مشكاة الأنوار: ص 306. بحار الأنوار: ج 68، ص 293، ح 64، عن الإمامة والتبصرة، والحديث مشهور، وروى بالفاظ متعددة، وتغيير يسير في بعض المصادر، انظر - مثلاً -: المحاسن: ج 1، ص 15، ح 43. علل الشرائع: ج 2، ص 606. وسائل الشيعة: ج 16، ص 123، ح 17.

3- (3) أمالي الشيخ الصدوق: ص 85، ح 4، من لا يحضره الفقيه: ص 4، ص 396، ح 5841. روضة الواعظين: ص 370. وسائل الشيعة: ج 12، ص 197، ح 5. بحار الأنوار: ج 68، ص 276، ح 4.

أثرين، وهما: (إصلاح الأعمال، وغفران الذنوب)، وهما مقدّمتان للفوز بالنعيم الخالد، وهو الجنّة.

ما هو القول السديد؟

إنّ الآية الكريمة أمرت المؤمنين بالتقوى والقول السديد، أمّا التقوى فقد تقدّم الكلام عنها سابقاً بشيءٍ من التفصيل، وإجماله أن لا يراكم الله حيث نهاكم، ولا يفقدكم حيث أمركم، كما عبّرت عنه الرواية الشريفة(1).

وأما القول السديد، فقد جاء في روايات أهل البيت عليه السلام أنّه القول العدل، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لعباد بن كثير البصري الصوفي: «ويحك يا عبّاد، غرّك أن عَفَّ بطنك وفرجك؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)، اعلم إنّ لا يتقبّل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً»(2).

فالقول السديد مأخوذ من مادة (سدّ) أى: المحكم المنيع، الذى لا يعتريه الخلل، والموافق للحقّ والواقع، يعنى: القول الذى يقف كالسدّ المنيع أمام أمواج الفساد والباطل(3).

ثمّ بيّنت الآية التالية نتيجة التقوى والقول السديد، حيث قالت: (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)، فإنّ التقوى - فى الواقع - هى الدعامة العظيمة لإصلاح الإنسان أعماله وأقواله، ومنها إصلاح اللسان؛ فإنّ الإنسان المتّقى لا يقول إلّا القول

ص: 102

1- (1) قال ابن فهد الحلبي رحمه الله فى عدّة الداعى: ص 285: «واعلم أنّ الصادق عليه السلام سئل عن تفسير التقوى، فقال عليه السلام: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراكم حيث نهاك».

2- (2) الكافي: ج 8، ص 107، ح 81. التفسير الصافي: ج 4، ص 206، وج 6، ص 72. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 309، ح 256، عن الكافي، بحار الأنوار: ج 47، ص 359، ح 68، عن الكافي أيضاً.

3- (3) انظر: كتاب العين: ج 7، ص 184، معجم مقاييس اللغة: ج 3، ص 66.

السديد، ولا يتلفظ إلا به.

ولذا ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (1).

فهذا معناه أن أكثر المشاكل منشأوها اللسان، الذي يحصد الأخضر واليابس، ويقطع المسافات التي لا تقطعها غيره من الجوارح.

فالإذن مثلاً: لا تسمع إلا ضمن حدٍّ محدود، وهكذا العين لا تبصر إلا بقدرٍ مخصوص، ومثلها سائر الجوارح، ما عدا اللسان فإنه يتجاوز البيان، فإنه لا تحدّه الحدود، فهو قادر على إيقاع الفتنة في أقصى البلاد، وقادر على النميمة والغيبة في نهاية العالم، خصوصاً في زماننا هذا، الذي يسمى بزمان القرية الواحدة، بل البيت الواحد، وإلى هذا أشارت كلمة الإمام السجاد عليه السلام التي يقوله فيها: «إنّ لسان ابن آدم يشرف كلّ يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه، ويقولون: إنّما نثاب بك، ونعاقب بك» (2).

فانظر إلى خوف كلّ الأعضاء والجوارح من اللسان! وكيف يتوسّلون إليه، ويطلبون منه أن يتركهم وشأنهم.

وهناك روايات كثيرة في هذا الباب، تحكي جميعاً عن الأهميّة الفائقة للسان، ودوره في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

ص: 103

1- (1) نهج البلاغة: ج 2، ص 94، واستشهد بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ناسباً إياها للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. مسند أحمد: ج 3، ص 198. مجمع الزوائد: ج 1، ص 53. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص 38، ح 9. المعجم الكبير: ج 10، ص 227، ح 10553. معارج اليقين في أصول الدين: ص 249، ح 19. بحار الأنوار: ج 68، ص 287، وص 292، وج 72، ص 262، ح 67، عن النهج.

2- (2) الخصال: ص 6، ح 15. ثواب الأعمال: ص 237. الاختصاص: ص 230. بحار الأنوار: ج 68، ص 278، ح 14، عن ثواب الأعمال.

ذكرنا إنّ اللسان من الجوارح المهمّة والخطيرة في الإنسان، ولا بدّ من معرفة مواطن خطورتها، ومواطن أهميتها.

وهذا اللسان لو سخر ورّوض في مرضاة الله تبارك وتعالى، لأثمر أى ثمرات، ثمرات لا مثيل لها، من إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس، وبالتالي الارتقاء بهم إلى الجنّة، وذلك هو الفوز العظيم، ومن هنا نرى أنّ الأئمّة عليه السلام كيف هدوا أُمَّةً من الناس عن طريق القول السديد، والكلام الطيب الرشيد، فقد روى أنّ الإمام الكاظم عليه السلام: «اجتاز على داره - أى: بشر - ببغداد، فسمع الملاهى وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة البقل، فرمت بها في الدرب: فقال لها: يا جارية، صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبدٌ؟ فقالت: بل حرٌّ. فقال: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه! فلمّا دخلت، قال مولاه وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثنى رجلٌ بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام، فتاب على يده» (1).

وقد وفق هذا الرجل للتوبة، وأصبح من العباد والزّهاد إلى آخر عمره، وتوفى في بغداد، قال الشيخ القمى: «... وللصوفية اعتقادٌ تامٌّ به، وقيل له: الحافى؛ لأنّه كان حافياً دائماً، والظاهر إنّ سبب ذلك أنّه هرول خلف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حافياً، ونال السعادة العظمى» (2).

فأنظر إلى تأثير هذا القول السديد، والكلام الطيب، ومن هنا روى أنّ «الكلمة الطيبة صدقة» (3)، وأى صدقةٍ التي يدخل الإنسان بها الجنّة!

ص: 104

1- (1) منهاج الكرامة: ص 59، عنه منتهى الآمال: ج 2، ص 299.

2- (2) منتهى الآمال: ج 2، ص 299.

3- (3) مكارم الأخلاق: ص 467. صحيح البخارى: ج 7، ص 79. مسند أحمد: ج 2، ص 316. بحار الأنوار: ج 74، ص 85، وج 80، ص 369.

ثمَّ إنَّه ينبغي أن يعلم الإنسان بأن لا ينظر الى قائل الكلمة الطيبة والهداية النافعة ممَّن خرجت، ففي المروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه وعظ شيعة ومواليه، قائلاً لهم: «... ألا تأخذون الذهب من الحجر، ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر. خذوا الكلمة الطيبة ممَّن قالها، وإن لم يعمل بها، فإنَّ الله يقول: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ)» (1).

ثمَّ قالت الآية الثانية: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

ما هو الفوز العظيم؟

إنَّ طاعة الله طاعة الرسول، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طاعة أهل بيته الطيبين الطاهرين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) 2، والتي فسرها جملة من المفسرين في أهل البيت عليهم السلام، وأنَّهم أولى الأمر (2).

والمهم في المقام بيان الفوز العظيم المترتب على طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ السبب في كون الفوز عظيماً من وجهين:

الأول: أنَّه من عذاب عظيم، والنجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب.

الثاني: أنَّه وصل إلى ثواب كثير، وهو الثواب الدائم الأبدى (3)؛ ولذا كان عظيماً، ولكن ليس بدون عمل، بل لأنَّ صاحب العمل أطاع الله وأطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذا عندما نذكر سيّد الشهداء عليه السلام نقول: «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً»، ويا ليت القوم أطاعوا

ص: 105

1- (1) تحف العقول: ص 291، عنه بحار الأنوار: ج 75، ص 170، ح 4.

2- (3) انظر: تفسير العياشي: ج 1، ص 247. تفسير القمي: ج 1، ص 141. تفسير فرائد الكوفي: ص 108. تفسير مجمع البيان: ج 3، ص 114.

3- (4) انظر: تفسير الرازي: ج 25، ص 234.

الله وأطاعوا الرسول في ذريته التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم»⁽¹⁾؛ حتى يفوزوا بالفوز العظيم، لكن القوم ما انصفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لو كان صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يقتلوا أهل بيته عليهم السلام لما زادوا، كما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام؟! أيها الناس، أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين، كائنًا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، والله، لو أن النبي تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصاة بنا لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون»⁽²⁾.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحمّد أيّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتّقين.

ص: 106

1- (1) بناء المقالة الفاطمية: ص 180. شرح إحقاق الحقّ: ج 33، ص 88.

2- (2) مشير الأحرار: ص 91.

عن داود بن كثير الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام، يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَخَفَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَلْيَكُنْ لِقَرَابَتِهِ وَصُولاً، وبوالديه بَارًّا، فإذا كان كذلك هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، ولم يصبه في حياته فَقْرٌ أَبَداً» (1).

نتناول في هذه المحاضرة موضوعين مهمين، ألا وهما: صلة الرحم وبرّ الوالدين، وقد ذكر هذا الحديث المبارك هذين الموضوعين، وذكر أيضاً ما يترتب عليهما من أثر، والأثر المترتب عليهما هو: تخفيف الله عزّ وجلّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وتهوينها، وعدم الإصابة بالفقر أبداً.

ولنرجع إلى أصل الموضوعين، ونتناول كلّ واحدٍ منهما على حدة، وبشيء من التفصيل.

1 - صلة الأرحام والقربة

الأقرباء هم الأسرة التي ينتمي إليها الإنسان، والدوحة التي تفرّع منها، وهم ألصق الناس نسباً به، وأشدّهم عطفاً عليه، وأسرعهم إلى نجدة ومواساته.

وأفضل الأقرباء والأرحام وأجدرهم بالإعجاب والثناء هم: المتحابّون، المتعاطفون، المتآزرون على تحقيق أهدافهم ومصالحهم.

وكلّما استشعر الأرحام وتبادلوا أحاسيس التضامن والتعاطف، كانوا أعزّ قدراً، وأمنع جانباً، وأشدّ قوةً على مجابهة الأعداء، والشدائد والأزمات.

ص: 109

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 473، ح 14. أمالي الشيخ الطوسي: ص 432، ح 24. روضة الواعظين: ص 367. بحار الأنوار: ج 71، ص 66، ح 33، عن أمالي الشيخ الصدوق.

والمقصود من الأرحام هم المتحدون في النسب، وإن تباعدت أواصر القربى بينهم، والمراد من صلتهم التودّد إليهم، والعطف عليهم، وإسداء العون المادى لهم، ودفع المكاره والشرور عنهم، ومواساتهم في الأفراح والأحزان(1).

الروايات الحاثّة على صلة الأرحام

هناك عدّة روايات حثّت على صلة الأرحام والقرباة، وإليك طرفاً منها:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصى الشاهد من أمتي والغائب منهم، ومَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم، وإن كان منه على مسيرة سنة؛ فإنّ ذلك من الدين»(2).

وعلق بعض الأكابر على قوله عليه السلام: «وإن كان منه على مسيرة سنة» بقوله: «فينبغي الإرتحال لزيارتهم، أو إرسال الكتاب والهدايا إليهم»(3).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين»(4).

وهذا الحديث واضح الدلالة على أنّ صلة الرحم وحدها سببٌ لزيادة العمر، ولعلّ المراد أنّها أكمل أفراد ما يوجب زيادة العمر، مثل الصدقة وحسن الجوار وغيرهما،

ص: 110

1- (1) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 430 - ص 432.

2- (2) الكافي: ج 2، ص 151، ح 5. مشكاة الأنوار: ص 287. عدة الداعي: ص 80، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 105، ح 68، وص 114، ح 73 عن الكافي.

3- (3) شرح أصول الكافي: ج 9، ص 9.

4- (4) الكافي: ج 2، ص 152، ح 17، عنه تفسير الصافي: ج 4، ص 234، وج 6، ص 122. وتفسير نور الثقلين: ج 4، ص 354، ح 45. بحار الأنوار: ج 71، ص 121، ح 85، عن الكافي أيضاً.

ويمكن إدراج غيرها فيها بوجه.

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كَفَّ الأذى عنها...» (1). وعنه عليه السلام أنه قال: «إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلاّ توثباً عليّ، وقطيعة لي وشتيمة فأرفضهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا يرفضكم الله جميعاً. قال: فكيف أصنع؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير» (2).

وكلّما كان الأرحام والأقرباء متماسكون أكثر، كانوا أقدر على مجابهة المشاكل والصعاب، ولا يستطيع الأعداء والحساد زعزعتهم.

ومن هنا حكى أن رجلاً يدعى (أكثم بن صيفي)، دعى أبناءه عند موته، فاستدعى إضمامة (3) من السهام، فتقدّم إلى كلّ واحد منهم أن اكسرها فلم يقدر أحد على كسرها.

ثمّ بددها فتقدّم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين؛ ليعجز من ناواكم عن كسرکم، كعجزكم عن كسرها مجتمعةً، فإنكم إن تفرقتم سهل كسرکم (4).

آثار قطيعة الرحم

قطيعة الرحم، هي فعل ما يسخط الرحم ويؤذيه، قولاً وفعلاً، كسبه واغتيابه وهجره، وقطع الصلات المادية عنه، وحرمانه من مشاعر العطف والحنان.

وتعتبر الشريعة الإسلامية قطيعة الرحم جرماً كبيراً، وإثماً ماحقاً، توعدّ عليها

ص: 111

-
- 1- (1) قرب الإسناد: ص 355، ح 1272. الكافي: ج 2، ص 151، ح 9. تحف العقول: ص 445. مشكاة الأنوار: ص 288. منتقى الجمان: ج 2، ص 457. بحار الأنوار: ج 71، ص 88، ح 1 عن قرب الإسناد وص 117، ح 78 عن الكافي.
 - 2- (2) الكافي: ج 2، ص 150، ح 2. وسائل الشيعة: ج 21، ص 538، ح 1. بحار الأنوار: ج 71، ص 113، ح 72.
 - 3- (3) الإضمامة: المضموم بعضها إلى بعض، كما في كتاب العين: ج 7، ص 17.
 - 4- (4) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 435.

الكتاب والسنة، قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) 1 .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة أسرع شىء عقوبة: رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إساءةً، ورجل لا تبغى عليه، وهو يبغى عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه» (1).

ومن هنا روى عن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قلت له: «إن إخوتي وبنى عمى قد ضيقوا على الدار، وألجأوني منها إلى بيت، ولو تكلمت أخذت ما فى أيديهم، قال: فقال لى: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً. قال: فانصرفت، ووقع الوباء فى سنة إحدى وثلاثين [ومائة]، فماتوا والله كلهم، فما بقى منهم أحد، قال: فخرجت فلما دخلت عليه، قال: ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له: قد ماتوا والله كلهم، فما بقى منهم أحد، فقال: هو بما صنعوا بك، وبعقوقهم إياك، وقطع رحمهم بتروا، أتحب أنهم بقوا، وأنهم ضيقوا عليك؟ قال: قلت: إى والله» (2).

وفى خبر شعيب العرقوفى فى دخول يعقوب المغزلى على موسى بن جعفر عليه السلام، وقوله عليه السلام له: «يا يعقوب، قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرٌّ فى موضع كذا وكذا، حتى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا من دينى ولا دين آبائى، ولا نأمر بهذا أحداً، فاتق الله وحده، فإنكما ستعاقبان بموت، أما أخوك فيموت فى سفره قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان؛ ذلك أنكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما. قال الرجل: جعلت فداك،

ص: 112

-
- 1- (2) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج 4، ص 355، ضمن حديث 5762. مكارم الأخلاق: ص 434. الخصال: ص 230، ح 72. وسائل الشيعة: ج 16، ص 40، ح 7. بحار الأنوار: ج 72، ص 274، ح 3، وج 74، ص 44 ضمن ح 1 وكلاهما عن الخصال.
- 2- (3) الكافي: ج 2، ص 347، ح 3، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 133، ح 103.

فأنا متى أجلى؟ قال: كان حضر أجلك، فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزلك كذا وكذا، فأنسأ الله به أجلك عشرين سنة. قال: فلقيت الرجل قابل بمكة، فأخبرني أن أخاه توفي في ذلك الوجه، ودفنه قبل أن يصل إلى أهله» (1).

ودلالة الحديث واضحة أيضاً على أن المراد بالنساء في الأجل زيادة العمر، لا ما ذهب إليه بعض العامة من بقاء الذكر الجميل بعد موته، ولا ما ذهب إليه بعضهم أيضاً من البركة في العمر بمعنى توفيقه للطاعة والعبادة، وما ذهبوا إليه وإن كان صحيحاً يوجب الصلة، لكنه غير مراد من النساء في الأجل (2).

إذن، فقطعية الرحم من الذنوب التي تعجل العقوبة، وتعجل بالفناء، وتمحق الديار، والخسران في الدنيا والآخرة، هذا كله في الموضوع الأول، وقد تكلمنا فيه على نحو الاختصار، وهناك شواهد كثيرة في الموضوع، ولكن تركناها لطولها.

2 - حقوق الوالدين

من الحقوق الإلهية المهمة على الإنسان حق الوالدين؛ فقد قرنهما البارى عز وجل بعد التوحيد في أكثر من آية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم هذا الحق وجلالته.

قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) 3 .

وقال عز وجل: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) 4 .

ص: 113

1- (1) دلائل الإمامة: ص 334، ح 34. مدينة المعاجز: ج 6، ص 242 - ص 243، ح 52. اختيار معرفة الرجال: ج 2، ص 741، ح 831.

2- (2) انظر: شرح أصول الكافي: ج 9، ص 12.

فقد بينت هاتان الآيتان منزلة برِّ الوالدين، وعدم عقوقهما بعد التوحيد، وعدم الشرك بالله، وأمّا الروايات في المقام فهي كثيرة جداً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ثلاث لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرِّ الوالدين برِّين كانا أو فاجرين» (1).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً، وإن حُرقت بالنار وعُذبت إلاّ وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرَّهما، حين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل؛ فإنّ ذلك من الإيمان» (2).

وعن عمّار بن حيّان قال: خبرت أبا عبد الله عليه السلام ببرِّ إسماعيل ابنى بى، فقال: «لقد كنت أحبه، وقد ازددت له حبّاً، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتته أخت له من الرضاعة، فلمّا نظر إليها سرّ بها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثمّ أقبل يُحدّثها ويضحك في وجهها، ثمّ قامت وذهبت، وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقبل له: يا رسول الله، صنعت بأختي ما لم تصنع به، وهو رجل؟! فقال: لأنّها كانت أبرّ بوالديها منه» (3).

ص: 114

-
- 1- (1) الكافي: ج 2، ص 162، ح 15، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 56، ح 15. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 151، ح 141، لكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام. وسائل الشيعة: ج 21، ص 490، ح 3.
- 2- (2) المصدر نفسه: ج 2، ص 158، ح 2، تحف العقول: ص 41. مشكاة الأنوار: ص 278. التفسير الصافي: ج 4، ص 144. التفسير الأصفي: ج 2، ص 969. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 201، ح 28. وسائل الشيعة: ج 21، ص 489، ح 4. بحار الأنوار: ج 71، ص 34، ح 2 عن الكافي، وج 74، ص 145، ح 44.
- 3- (3) المصدر السابق: ج 2، ص 161، ح 12. كتاب الزهد: ص 34، ح 88. مشكاة الأنوار: ص 280، حلية الأبرار: ج 1، ص 203 - ص 204، ح 6 عن الكافي. وسائل الشيعة: ج 21، ص 489، ح 3. بحار الأنوار: ج 16، ص 281، ح 126 عن كتاب الزهد، وج 22، ص 266 - ص 267، ح 11 عن الكافي، وج 71، ص 55، ح 12 عن الكافي أيضاً.

عرفنا أهمية البرّ بالوالدين من خلال الآيات والروايات الشريفة، ومع هذا فقد أولى الشارع المقدّس الأم بأهمية زائدة على الأب، وأعطاهما الحظّ الأوفر من البرّ والرعاية؛ لكونها قد قدّمت الحظّ الأوفر من الجهد والعناية، فقد تحمّلت الأم متاعب الحمل ومشاقّه التي يعبر عنها القرآن الكريم بالوهن تارةً وبالكُره أخرى.

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) 1 .

وقال عزّ وجلّ: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) 2 .

وأما الروايات فهي عديدة:

منها: ما روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أبأك» (1).

وعن إبراهيم بن مهزم قال: «خرجت من عند أبي عبد الله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منزلي بالمدينة، وكانت أمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظت لها، فلمّا إن كان من الغد صليت الغداة، وأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فلمّا دخلت عليه، فقال لي مبتدئاً: يا أبا مهزم، ما لك وللوالدة، أغلظت في كلامها البارحة! أما علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته، وأنّ حجرها مهداً قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟! قال: قلت بلى . قال: فلا تغلظ لها» (2).

ص: 115

1- (3) الكافي: ج 2، ص 160، ح 9، عنه التفسير الصافي: ج 4، ص 144. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 152، ح 148، وج 4، ص 200، ح 26. بحار الأنوار: ج 71، ص 49، ح 9 عن الكافي.

2- (4) بصائر الدرجات: ص 263، ح 3. الخرائج والجرائح: ج 2، ص 729، ح 34. مناقب آل أبي طالب: ج 3، ص 348. مدينة المعاجز: ج 5، ص 314، ح 73. الدر النظيم: ص 633. بحار الأنوار: ج 47، ص 72، ح 32 عن البصائر.

بِرّ الوالدين وإن كان له شأنه الخاص، ووقعه الجميل في نفس الوالدين، إلا أنه تزداد أهميته وحسنه وجماله عند عجزهما وكبرهما؛ حيث تزداد الحاجة فيهما إلى الرعاية، مثل حالات المرض والشيخوخة.

قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَّبِعَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) 1 .

روى أن رجلاً جاء إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إِنَّ أَبَوَيَّ بُلُغَا مِنَ الْكِبَرِ أَنِّي أَوَّلِيهِمَا مَا وَلِيَا مِنِّي فِي الصَّغَرِ، فَهَلْ قَضَيْتُهُمَا؟ قَالَ: لَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ لَكَ وَهُمَا يَحْبَانِ بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا» (1).

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ أَبِي قَدْ كَبُرَ جَدًّا وَضَعُفًا، فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ. فَقَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَافْعَلْ، وَلَقِّمَهُ بِيَدِكَ، فَإِنَّهُ جَنَّةٌ لَكَ غَدًا» (2) .

بِرّ الوالدين بعد موتهما

قد لا يُوفَّق الإنسان لبِرّ والديه في حال حياتهما، وعندما يتوفيان يبقى متأذياً طوال حياته، ولائماً لنفسه، وملقياً ذلك على سوء حظّه، أو غير ذلك، وقد لا يكون ذلك ناشئاً

ص: 116

-
- 1- (2) تفسير الثعلبي: ج 6، ص 93. تفسير البيضاوي: ج 3، ص 441. تفسير أبي السعود: ج 5، ص 167. تفسير الكشاف: ج 2، ص 445. تخريج الأحاديث والآثار: ج 2، ص 265، ح 10. رياض السالكين: ج 4، ص 65. تنزيل الآيات: ص 410.
- 2- (3) الكافي: ج 2، ص 162، ح 13. كتاب الزهد: ص 35، ح 91. وسائل الشيعة: ج 21، ص 505 - ص 506، ح 3. بحار الأنوار: ج 71، ص 56، ح 13 عن الكافي.

عن تقصيره، بل يمكن أن تكون هناك ظروف ساخطة عليه أبعدته عنهما، أو ماتا حال صغره مثلاً، أو غير ذلك.

وكيف كانت الظروف والمناسبات، فقد فتح الله تبارك وتعالى باباً واسعاً، تسهلاً لعباده لأن يبرّوا آبائهم وأمهاتهم حتى ولو كانوا أمواتاً.

وأكدت الروايات على برّهما بعد وفاتهما؛ لشدة إحتياجهما لذلك، لانقطاع عملهما بالموت، كما ورد في الخبر: «وإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» (1).

فقد روى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته، فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنّها، فهي يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له» (2).

ومن مصاديق الدعوة لهما، أن يعمل بعض الأعمال الخيرة، ويهديها لهما، وأن يقضى - بحسب الاستطاعة - عنهما دينهما، أو ما فاتهما من صلاة أو صيام أو غير ذلك، قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضى عنهما الدين، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وأنّه ليكون في حياتهما غير بارٍ لهما، فإذا ماتا قضى عنهما الدين،

ص: 117

1- (1) نهج البلاغة: ج 1، ص 93. وأنظر: الكافي: ج 8، ص 58، ح 21. خصائص الأنمة: ص 96. الإرشاد: ج 1، ص 236. أمالي الشيخ المفيد: ص 93، ح 1، وص 208، ح 41، وص 345، ح 1. أمالي الشيخ الطوسي: ص 117، ح 37، وص 231، ح 1. عيون الحكم والمواعظ: ص 142. بحار الأنوار: ج 34، ص 172، ح 978 عن الكافي، وج 67، ص 77، ح 7 عن أمالي الشيخ الطوسي، وج 70، ص 96، ح 80 عن أمالي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وذكرها أيضاً في مواطن أخرى عن مصادر أخرى.

2- (2) الكافي: ج 7، ص 56، ح 1. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص 87، ح 7. الخصال: ص 151، ح 184. روضة الواعظين: ص 487. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 170، ح 95 عن الخصال. وسائل الشيعة: ج 16، ص 174، ح 6. بحار الأنوار: ج 6، ص 293، ح 1 عن الخصال، وص 294، ح 4 عن أمالي الشيخ الصدوق، ومثله في ج 68، ص 257، ح 1، ومواضع أخرى.

واستغفر لهما، فيكتبه الله تبارك وتعالى باراً» (1).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «سيد الأبرار يوم القيامة، رجل برّ والديه بعد موتهما» (2).

الآثار السيئة لعقوق الوالدين

إنّ لعقوق الوالدين آثاراً وخيمة، ومساوئ خطيرة تنتظر العاق بوالديه، ونحن نذكر بعضها على نحو الاختصار.

1 - إنّ العاقّ يعقّه ابنه جزاءً على عقوقه لأبيه وأمه، ومن هنا روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «بروا آبائكم يبرّكم أبناؤكم» (3).

وقد ذكر التاريخ قصصاً متنوّعة لمن عَقَّ أبويه ومكافأةً أبناؤه له، ومن ذلك ما حكاه الأصمعيّ قال: «حدّثنى رجلٌ من الأعراب، قال: خرجت من الحيّ أطلب أعقّ الناس وأبرّ الناس. فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخٍ في عنقه حبل، يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجر والحر الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قَدِّ ملوى (4)، يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل. فقلت له: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيك ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنّهُ مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيراً. قال: اسكُت، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده. فقلتُ: هذا أعقّ الناس. ثم جلتُ أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه كما يزقّ الفرخ. فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي، وقد خرف، فأنا أكفله.

ص: 118

1- (1) المصدر السابق: ج 2، ص 163، ح 21. كتاب الزهد: ص 33، ح 87. بحار الأنوار: ج 71، ص 59، ح 21 عن الكافي.

2- (2) بحار الأنوار: ج 71، ص 86 ضمن حديث 100. مستدرک الوسائل: ج 13، ص 414، ح 1.

3- (3) عوالي اللئالی: ج 1، ص 252، ح 7.

4- (4) القدّ: سير يقّد من جلد غير مدبوغ. وملوى: مفتول. انظر: معجم مقاييس اللغة: ج 5، ص 6.

قلت: فهذا أبرّ العرب. فرجعت وقد رأيتُ أعقَّهم وأبرَّهم»(1).

2 - إنَّ العاقَّ يشاهد أهوالاً مريعة عند الوفاة، ويعانى شدائد النزع وسكرات الموت، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر شاباً عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إلا الله. قال: فاعتقل لسانه مراراً، فقال لا مرأى عند رأسه: هل لهذا أم؟ قالت: نعم، أنا أمه. قال: أفساخطة أنتِ عليه؟ قالت: نعم، ما كلمته منذ ستِّ حجج. قال لها: أرضى عنه. قالت: رضى الله عنه يا رسول الله برضاك عنه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قل: لا إله إلا الله. قال: فقالها. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسودَّ، قبيح المنظر، وسخ الثياب، منتن الريح، قد ولينى الساعة فأخذ بكظمى. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قل: يا مَنْ يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، اقبل منى اليسير، واعف عني الكثير، إنَّك أنت الغفور الرحيم. فقالها الشاب، فقال له النبيُّ: انظر ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، قد ولينى، وأرى الأسود وقد ولي عني. قال: أعد، فأعاد. قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد ولينى، ثم طفا (2) على تلك الحال»(3).

3 - ومن آثار العقوق، أنَّها من الذنوب الكبائر، بل من أكبر الكبائر التي توعَّد الله عليها بالنار، كما صرَّحت بذلك الأخبار(4). وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام يبيِّن فيه أبرز مصاديق الذنوب الكبائر يقول فيه: «أكبر الكبائر سبعة - فينا نزلت، وبنا استُحلَّت - : أولها الشرك بالله عزَّ وجلَّ... فأما الشرك بالله تعالى فقد قال الله عزَّ وجلَّ فينا ما قال، وأنزل فينا ما أنزل، ويبيِّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكذبوا الله ورسوله، وردّوا عليهما. وأما قتل

ص: 119

1- (1) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 358.

2- (2) أى: مات.

3- (3) أمالى الشيخ الطوسى: ص 65، ح 4، مشكاة الأنوار: ص 284. بحار الأنوار: ج 71، ص 75، ح 67، وج 92، ص 342، ح 1، كلا الموضعين عن الأمالى.

4- (4) انظر: المقنعة: ص 290 - ص 291.

النفس التي حرّم الله فقد قُتل الحسين عليه السلام ظلماً في أهل بيته، وأمّا عقوق الوالدين، فقد عَقَّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأُمير المؤمنين عليه السلام في ذريتهما...»(1).

أُعْزِيكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى فِي الَّذِي جَرَى عَلَى ابْنِكَ يَوْمَ الطَّفِّ وَالرُّزْءِ أَعْظَمُ

بِمَاذَا تُعْزَى وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ لِأَدْنَى رِزَايَاهَا الشَّدَادُ تُهَدِّمُ

فَأَطْفَالُ طُهْرٍ فِي حُجُورِ طَوَاهِرٍ وَلَيْسَ لَهَا ذَنْبٌ هُنَاكَ يُعْلَمُ

سِوَى أَنَّهَا مِنْ قَبْلِ حَلِّ تَمَائِمٍ لَهَا السَّيْفُ وَالخَطِيُّ سِوَاؤُ وَمَعْصَمُ

أَمَ الذَّبْحُ لِلذَّبْحِ الْعَظِيمِ عَلَى الظُّلْمَا لِتَغْسِيلِهِ مِنْ نَحْرِهِ قَدْ جَرَى الدَّمُ

أَمَ الْهَتِكُ لِلخَدْرِ الَّذِي لِاحْتِرَامِهِ مَلَائِكَةُ الْجَبَّارِ بِالذَّلِّ تَخْدُمُ

أَصَابَتْ سَهَامُ الطِّفِّ حَبَّةً قَلْبِهَا فَأَحْشَاؤُهَا مِنْهَنٌّ ثَوْبٌ مَقْسَمُ (2)

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَىُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص:120

1- (1) المقنعة: ص 391.

2- (2) رياض المدح والثناء: ص 728 - ص 730. ولم تنسب لأحد، ولم أعر على شاعرها، فلله دَرّه، وعلى الله أجره.

عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... عليك ياخوانِ الصديق، فأكثر من اكتسابهم؛ فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجُنّة عند البلاء»⁽¹⁾.

من المفاهيم الإسلامية العظيمة مفهوم الصداقة، والمقصود من الصداقة علاقة المحبة والمودة بين بنى البشر؛ لأنّ طبع الإنسان وفطرته ميّالة إلى الاجتماع، لا العزلة والانفراد عن بنى جنسه، كما يتصوّر البعض من الناس، وإن كان الإنسان يحبّ ذاته أولاً وبالذات.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «... لكلّ ظاهرة من ظواهر العالم، بما فيها الحيوان، وللإنسان خاصّة، حبّ الذات، فيحبّ ذاته، ويرى أبناء نوعه عينه ونظيره، وعن هذا الطريق يحسّ بالأنس بهم داخلياً، فيطلب التقارب معهم والاتّجاه نحوهم، ويمنح الاجتماع حركته وفعاليته... نستنتج من البيان المتقدّم مايلي: ... الإنسان مدنيّ بالطبع»⁽²⁾.

ومن أجل ذلك كان الإنسان شديد المحبة لاتّخاذ أصدقاء وخلان يؤازرونه.

حثّ الشريعة الإسلامية على اتّخاذ الصديق

لقد حثّت الشريعة الإسلامية العظيمة على اتّخاذ الأصدقاء، وقد أشارت جملة من النصوص لهذا المعنى، نذكر بعضاً منها، فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما استفاد امرؤ مسلّم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله»⁽³⁾.

ص: 123

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 380، ح 8، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 186 - ص 187، ح 7.

2- (2) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: ج 1، ص 582 - ص 583.

3- (3) أمالي الشيخ الطوسي: ص 46 - ص 47، ح 26، عنه بشارة المصطفى: ص 122، ح 67، وبحار الأنوار: ج 71، ص 274 - ص 275، ح 3، وج 75، ص 195 - ص 196، ح 16. وسائل الشيعة: ج 12، ص 233، ح 2.

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ استفاد أخاً في الله عزَّ وجلَّ، استفاد بيتاً في الجنة» (1).

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ استفاد أخاً في الله، زوجه الله حوراً» (2).

كيف تختار الصديق؟

إنَّ للصديق الأثر البالغ على صديقه، ومن هنا قيل سابقاً ولاحقاً، شعراً ونثراً:

عاشراً أخاً ثقةً تحظى بصحبته فالطبع مكتسبٌ من كلِّ مصحوبٍ

فالريح أخذةٌ مما تمرُّ به تنتأ من النتن أو طيباً من الطيب (3)

فالإنسان سريع التأثير بالصديق والأستاذ والرفيق، وكلٌّ مَنْ يتجاوب معه ويرافقه، ولعلَّ أشدَّهم تأثيراً فيه الصديق؛ لأنَّ الصداقات غالباً ما تكون عن سابقةٍ وقناعةٍ بالفرد ليتَّخذه صديقاً، بخلاف الأستاذ، فقد يكون الفرد غير مختار - أحياناً - في اتِّخاذه، وهكذا الحال في الرفيق، فقد يكون من قبيل الأستاذ، والصديق قد يكون صالحاً، وقد يكون فاسداً.

فالصديق الصالح مَنْ يوصلنا إلى بوابة الخير، ومَنْ يعيننا على ما فيه مرضيه تبارك وتعالى، ويهدينا إلى كلِّ ما فيه رشاد وصلاح.

وأما الصديق الفاسد، فهو على العكس تماماً، فهو أشبه شئٍ بالوباء، فهو لا يقربنا إلا إلى الشرور والآفات والضلال، فمن هنا اتَّضح لزوم وضرورة اتِّخاذ الصديق الصالح.

ص: 124

-
- 1- (1) ثواب الأعمال: ص 151. أمالي الشيخ المفيد: ص 316، ح 8. أمالي الشيخ الطوسي: ص 84، ح 33. وسائل الشيعة: ج 12، ص 16، ح 1. بحار الأنوار: ج 71، ص 276، ح 4 عن أمالي الشيخين (رحمهما الله)، وح 5 عن ثواب الأعمال.
 - 2- (2) بحار الأنوار: ج 71، ص 277 - ص 278، ح 11.
 - 3- (3) الخصائص الفاطمية: ج 1، ص 100، ولم ينسبه لأحد، ولم أعثر على قائله.

وكم من الأشخاص كانوا مثاليين في تعاملهم مع آبائهم وأمهاتهم، لكنهم ضلّوا وأضلّوا بسبب صديق السوء الذي اتّخذوه، والقرين الطالح الذين وادّوه؟!

قال أردشير بن بابك: «وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معايشة السفلة الوضعاء شهراً فساد عقله دهرًا»⁽¹⁾.

فإذا أردنا أن نختار صديقاً من الأصدقاء لا بدّ وأن نتحقّق من وجود عدّة صفات فيه، سنذكرها عبر الروايتين التاليتين:

الصفات المطلوبة في الصديق

عرفنا أنّ الصديق الذي ينبغي اتّخاذه هو الصديق الصالح، ويجب علينا نبذ الصديق الفاسد، وياليت الشباب يلتفتون إلى ذلك فيأتون آبائهم أو من يكبرهم ستاً، أو من اتّخذوه قدوةً لهم، فيسألونه عن هذا أو ذاك، وعن صحّة اتّخاذه صديقاً وعدمها، أو عن الصفات الحميدة التي ينبغي أن تكون في الصديق، كما سأل ذلك الرجل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الإخوان، فقال: الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة: فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافٍ من صافاه، وعادٍ من عاداه، واكتم سرّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيّها السائل: أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأما إخوان المكاشرة فإنّك تصيب لذتكم منهم، فلا تقطعَنَّ ذلك منهم، ولا تطلبين ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان»⁽²⁾.

ص: 125

1- (1) الخصائص الفاطمية: ج 1، ص 100.

2- (2) الكافي: ج 2، ص 249، ح 3. الخصال: ص 49، ح 56. مصادقة الإخوان: ص 30، ح 1. تحف العقول: ص 205. الإختصاص: ص 251. نزهة الناظر وتبئيه الخاطر: ص 64 - ص 65، ح 53. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 112. بحار الأنوار: ج 64، ص 193، ح 3 عن الكافي، وج 71، ص 281، ح 2 عن الخصال. وسائل الشيعة: ج 12، ص 13، ح 1.

والمقصود من هذا الحديث - كما عن العلامة المجلسي رحمه الله - «(الإخوان صنفان) المراد بالإخوان: إمّا مطلق المؤمنين، فإنّ المؤمنين إخوة، أو المؤمنين الذين يصاحبهم ويعاشرهم، ويظهرون له المودة والإخوة، أو الأعم من المؤمنين وغيرهم إذا كانوا كذلك. والمراد ب (إخوان الثقة): أهل الصلاح والصدق والأمانة الذين يثق بهم، ويعتمد عليهم في الدين، وعدم النفاق، وموافقة ظاهرهم لباطنهم، و (بإخوان المكاشرة) الذين ليسوا بتلك المثابة، ولكن يعاشرهم لرفع الوحشة، أو للمصلحة والتقية، فيجالسهم ويضاحكهم، ولا يعتمد عليهم، ولكن ينتفع بمحض تلك المصاحبة منهم؛ لإزالة الوحشة ودفع الضرر» (1).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا تكون الصداقة إلّا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود، أو شيء منها، فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة، فأولها: أن تكون سريره وعلايته لك واحدة، والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال، أن لا يسلّمك عند النكبات» (2).

مثال واقعي لإخوان الثقة والصفاء

«مما يحكى أنّ الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض متنزهاته، وكان البهائي والداماد في موكبه؛ إذ كان لا يفارقهما غالباً، وكان الداماد عظيم الجثة، والبهائي نحيفها، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما، فقال للداماد - وهو راكب فرسه في مؤخرة الجمع، وقد

ص: 126

1- (1) بحار الأنوار: ج 64، ص 194.

2- (2) الكافي: ج 2، ص 639، ح 6. أمالي الشيخ الصدوق: ص 767، ح 7. الخصال: ص 277، ح 19. تحف العقول: ص 366. روضة الواعظين: ص 387. مشكاة الأنوار: ص 155. بحار الأنوار: ج 71، ص 173، ح 1 عن الأمالي، وج 75، ص 249، ح 90. وسائل الشيعة: ج 12، ص 26، ح 1.

ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب، والبهائي في مقدمة الجمع - : يا سيدنا ألا تنظر إلى هذا الشيخ كيف تقدّم بفرسه ولم يمشِ على وقار كما تمشي أنت؟!

فقال الداماد: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ قد استخفه الطرب بمن ركبته، فهو لا يستطيع التأنى، ألا تعلم من الذي ركبته. ثمّ قال للبهائي: يا شيخنا ألا تنظر إلى هذا السيد، كيف أتعّب مركبه بجثمانه الثقيل؟! والعالم ينبغي أن يكون مرتاضاً مثلك، خفيف المؤنة.

فقال البهائي: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ أعيأ بما حمل من علمه الذي لا يستطيع حمله الجبال، فعند ذلك نزل الشاه عن جواده، وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء.

فأكرم به من ملك كامل وسلطان عادل، وأكرم بهما من عالمين مخلصين. وحكايات ما وقع بينهما من المصافاة والمصادقة كثيرة، وهكذا يسعد الزمان وأهله بأمثال هؤلاء العلماء، وهؤلاء الملوك» (1).

حقوق الأصدقاء

بعد ما عرفنا فضل الصديق والصدّاقة في الشريعة الإسلامية، والحثّ عليها، وكيف نختار صديقنا على ضوء ما نطقّت به الروايات الشريفة، تعال معي الآن لنعرف ما هي حقوق الأصدقاء؟

هناك عدّة حقوق متبادلة بين الأصدقاء، لا بدّ من رعايتها؛ حتّى تكون الصداقة صداقة يحبّها الله ورسولُهُ، وإليك بعض هذه الحقوق:

1 - الرعاية المادية: من الحقوق بين الأصدقاء هو الرعاية المادية، ويمكن دخوله في الحدّ الرابع من الحدود التي يبيّن إمامنا الصادق عليه السلام حيث قال: «أن لا يمنعك شيئاً تناله

ص: 127

مقدرته»، أو دخوله في الحد الخامس حيث قال عليه السلام: «أن لا يسلمك عند النكبات»، ومن النكبات الشديدة هي النكبة المادية.

فقد يقع الإنسان في خانقة مادية شديدة لا يتمكن من علاجها، إلا عن طريق مؤازرة الأصدقاء، وللأسف تجد البعض منهم صديقاً وقيماً، إلا عند الرعاية المادية، فلا تجود يده بشيء أبداً، فهو صديق لك ما دامت يدك مملوءة، فإذا فرغت فهو لا يعرفك منذ الساعة.

ومن هنا قال الإمام الكاظم عليه السلام - في خبر طويل - لرجلٍ من خاصّته: «يا عاصم، كيف أنتم في التواصل والتباز؟ فقال: على أفضل ما كان عليه أحد. فقال: أيأتى أحدكم منزل أخيه عند الضيقة فلا يجده، فيأمر بإخراج كيسه، فيخرج فيفرض ختمه، فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟ قال: لا. قال: لستم على أفضل ما كان أحد عليه من التواصل» (1).

وفي التاريخ نماذج عالية من المواساة، منها ما حكاه بعضهم عن الواقدي، قال: «كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد، فقالت امرأتي: أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأمّا صبيائنا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم؛ لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم؟ قال: فكتبتُ إلى صديق لي، وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر، فوجّه إليّ كيساً مختوماً، ذكر أنّ فيه ألف درهم! فما استقرّ قرارى حتى كتب إلى الصديق الآخر، يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجّهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من امرأتي، فلمّا دخلت عليها استحسنت ما كان مني، ولم تعنّفني عليه،

ص: 128

1- (1) مكارم الأخلاق: ص 145، عنه بحار الأنوار: ج 48، ص 118، ح 35، وج 63، ص 421، ح 36. وسائل الشيعة: ج 25، ص 35، ح 57.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهينته، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إلي، وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسى بخاتمي! قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمى الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد مئتا ألفاً، وللمرأة ألف دينار»(1).

2 - المداراة: ومن الحقوق التي ينبغي مراعاتها في الصداقة المداراة، ونعني بها الصفح عن الزلل، وغضّ النظر عن بعض العثرات؛ حرصاً على دوام الصداقة وبقائها، واستبقاءً للمدة، ويحاول كلُّ منهما التماس العذر لصاحبه، ويحمّله على أحسن المحامل وأرفعها.

فلو أنّ صديقاً لم يأت لصديقه في فرح أو ترح، فعلى الآخر أن يلتمس له العذر، لا أن يصرّ في النقد والتقريع من غير سؤاله واستفهامه عن علّة غيابه.

وورد عن صادق العترة الطاهرة عليهم السلام، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرني ربّي بمداواة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض»(2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أعقل الناس أشدّهم مداراةً للناس»(3).

ص: 129

-
- 1- (1) وفيات الأعيان: ج 4، ص 350، عنه الكنى والألقاب: ج 3، ص 280. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 450.
 - 2- (2) الكافي: ج 2، ص 117، ح 4. الاعتقادات في دين الإمامية: ص 85. معاني الأخبار: ص 386 ضمن حديث 20. مشكاة الأنوار: ص 369. بحار الأنوار: ج 13، ص 135، ح 43، عن معاني الأخبار، وج 18، ص 213، ح 43 عن الكافي، وج 72، ص 396، ح 18 عن معاني الأخبار أيضاً. وسائل الشيعة: ج 12، ص 200، ح 1.
 - 3- (3) أمالي الشيخ الصدوق: ص 73، ح 4. من لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 394، ح 5840. الأربعون حديثاً (الشهيد الأوّل): ص 56، ح 24. روضة الواعظين: ص 379، عنه مستدرک الوسائل: ج 9، ص 13، ح 9، وص 39، ح 11. مشكاة الأنوار: ص 382. بحار الأنوار: ج 72، ص 52، ح 5 عن الأمالي.

3 - المواساة: وحقّ المواساة حقّ لا- يقل أهميةً عن غيره من حقوق الصداقة، إذا لم يكن أهمّها، وهو أوسع حقّ من حقوق الصداقة؛ إذ المواساة قد تكون في المال، وقد تكون في الكلام، وغيرها.

وهذه الحقوق الثلاثة هي بعض الحقوق، وهناك حقّ مهم أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في الحديث الذي افتتحنا به المجلس، وهو أن يصدق الصديق مع أخيه الآخر حتّى يكون مصداقاً لقوله عليه السلام: «عليك ياخوان الصديق»؛ لأنّ إخوان الصديق «عدّة عند الرخاء، وجبّة عند البلاء».

وهكذا كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في مداراتهم ومواساتهم وتضحياتهم مع سيد الشهداء عليه السلام.

قال بعض أصحاب المقاتل: «وجمع الحسين عليه السلام أصحابه، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: وأمّا بعد، فإنّي لا أعلم لى أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي قد أذنتُ لكم فانطلقوا، أنتم في حلّ ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً».

فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولمّ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك. وبدأهم العباس أخوه ثمّ تابعوه، وقال لبنى مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم، فقالوا: لا والله، لا نفارقك أبداً حتّى نتيك بأسيفنا، ونقتل بين يديك. فأشرقت عليهم بأقوالهم هذه أنوار النبوة والهداية، وبعثتهم النفوس الأبيّة على مصادمة خيول أهل الغواية، وحركتهم حمية النسب، وسنة أشراف العرب على اقتناص روح المسلوب، ورفض السلب، فكانوا كما وصفهم بعض أهل البصائر بأنّهم أمراء العساكر، وخطباء المنابر، نفوس أبت إلا تراث أبيهم، فهم بين موتورٍ لذاك وواتر.

لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى كما أنست أقدامهم بالمنابر

ثم قال مسلم بن عوسجة: نحن نخليك! وقد أحاط بك العدو؟! لا أرانا الله ذلك أبداً حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي، ولو لم يكن لى سلاح لكدفتهم بالحجارة ولم أفارقك! وقام سعيد بن عبد الله الحنفي، وزهير بن القين، فأجملا في الجواب، وأحسننا في المآب»(1).

قومٌ إذا نُودوا لدفعِ مَلَمَةٍ والخيلُ بين مدعسٍ ومُكرَدَسٍ

لَبَسُوا القلوبَ على الدروعِ وأقبلوا يتهافَتونَ على ذهابِ الأنفُسِ(2)

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص:131

-
- 1- (1) مثير الأحزان: ص 39. وأنظر: تاريخ الطبري: ج 4، ص 318. الكامل في التاريخ: ج 4، ص 58. مقتل الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص 109. كتاب الفتوح: ج 5، ص 95.
- 2- (2) عمدة الطالب: ص 357. اللهوف: ص 67، وكلاهما لم ينسباه لأحد.

من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأهل بيته قال فيها: «... الله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم ما زال يُوصى بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم»⁽¹⁾.

من الحقوق الإسلامية المهمة حقّ الجار، وهو حقّ قريب من حقّ الأرحام والوالدين والأصدقاء والأقرباء.

وقد اعتنى الإسلام بحقّ الجار، وجعله عظيماً، يكاد يكون من أعظم الحقوق الإنسانية، وقد أكدّ الباري عزّ وجلّ حقوق الجيران، وجعلها في رتبة بعد رتبة الوالدين والأقربين؛ إذ قال عزّ وجلّ: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ)⁽²⁾.

والمراد بالجار ذى القربى الجار القريب داراً أو نسباً، والجار الجنب هو البعيد داراً أو نسباً⁽³⁾.

الروايات الحاثّة على حسن الجوار

هناك عدّة روايات نصّت على الثواب المترتب على حسن الجوار، وحثّت عليه، وعلى الاهتمام بالجار، ورعاية حقوقه، وإليك طرفاً منها:

ص: 135

-
- 1- (1) نهج البلاغة: ج 3، ص 77 رقم 47، عنه بحار الأنوار: ج 42، ص 256، ح 78، وج 71، ص 153، ح 16. تحف العقول: ص 198، عنه بحار الأنوار: ج 75، ص 100، ح 2، نظم درر السمطين: ص 146. البداية والنهاية: ج 7، ص 363. المناقب (الخوارزمي): ص 385. كشف الغمّة: ج 2، ص 59. جواهر المطالب: ج 2، ص 102. ينابيع المودة: ج 3، ص 445.
 - 2- (2) النساء: آية 36.
 - 3- (3) انظر: تفسير الأمثل: ج 3، ص 230 - ص 231.

فعن نبيِّ الرَّحمةِ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «حسن الجوار يُعَمِّر الديار، وينسى في الأعمار»⁽¹⁾.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما زال جبرئيلُ يوصيني بالجار، حتَّى ظننتُ أنَّه سيورثه»⁽²⁾، ودلالته واضحة جداً على أهمِّية الجار.

وهذا الحديث هو الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في الوصية التي افتتحنا بها الكلام، وقد فسَّرت كلمة (سيورثه)، أى: يجعل له حصَّةً من الميراث، والظاهر من الميراث أن يرث جاره الآخر، بحيث لو مات أحدهما ورثه الآخر، حاله حال الورثة الأقارب⁽³⁾.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ يعقوب عليه السلام لمَّا ذهب منه بنيامين، نادى يا ربَّ أما ترحمنى؟ أذهبتَ عيني وأذهبتَ ابني؟ فأوحى الله تبارك وتعالى: لو أمتهما لأحييتهما لك حتى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت، وفلان وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً؟»⁽⁴⁾.

ص: 136

1- (1) الكافي: ج 2، ص 668، ح 10. وسائل الشيعة: ج 12، ص 138، ح 1. وأنظر المصادر التالية: الكافي: ج 2، ص 667، ح 8. التفسير الصافي: ج 1، ص 449. تفسير كنز الدقائق: ج 2، ص 450، فقد روته عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه بدل كلمة (ينسى) كلمة (يزيد).

2- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 514. دعائم الإسلام: ج 2، ص 88، ح 265. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 13. روضة الواعظين: ص 387. أمالي الشيخ الطوسي: ص 520، ح 25. مكارم الأخلاق: ص 480. مشكاة الأنوار: ص 374. بحار الأنوار: ج 71، ص 94، ح 22 عن أمالي الشيخ الطوسي، وص 150، ح 2 عن أمالي الشيخ الصدوق. صحيح البخارى: ج 7، ص 78. صحيح مسلم: ج 8، ص 37. مسند أحمد: ج 2، ص 85، وثقل في مصادر أخرى عديدة.

3- (3) نسبه الشيخ المازندراني رحمه الله في (شرح أصول الكافي: ج 11، ص 151) للقرطبي.

4- (4) الكافي: ج 2، ص 667، ح 4، وح 5. مشكاة الأنوار: ص 376. الجواهر السنية: ص 28. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 445، ح 164، وح 165. وسائل الشيعة: ج 12، ص 130، ح 2، وح 3، وح 24، ص 417، ح 4، وح 5. صحيح البخارى: ج 7، ص 78. وأنظر: مسند أحمد: ج 2، ص 288، وح 4، ص 31. المستدرک على الصحيحين: ج 1، ص 10، وح 4، ص 165. مجمع الزوائد: ج 8، ص 169. المعجم الكبير: ج 22، ص 187. كنز العمال: ج 9، ص 50، ح 24885.

وفى رواية أخرى، قال: «فكان بعد ذلك يعقوب عليه السلام ينادى مناديه كلَّ غداة من منزله على فرسخ: ألا مَنْ أراد الغداء، فليأتِ إلى يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا مَنْ أراد العشاء، فليأتِ إلى يعقوب» (1).

وعن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومَنْ يارسولَ الله؟ قال: الذى لا يأمنُ من جاره بوائقه!» (2).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ آذى جاره فقد آذانى، ومَنْ آذانى فقد آذى الله، ومَنْ حارب جاره فقد حاربنى، ومَنْ حاربنى فقد حارب الله» (3).

حدود الجار

معرفة الجار موكولة إلى العُرف، فأى دار يُطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها، وقد يختلف من زمانٍ إلى زمانٍ آخر.

وأما الروايات الواردة فى المقام فقد دلَّ بعضها على أنّ كلَّ أربعين داراً من كلِّ الجوانب الأربعة تُعدُّ جاراً.

ص: 137

-
- 1- (1) المصدر السابق: ج 2، ص 667، ح 4، وح 5. مشكاة الأنوار: ص 376. الجواهر السنية: ص 28. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 445، ح 164، وح 165. وسائل الشيعة: ج 12، ص 130، ح 2، وح 3، وح 24، ص 417، ح 4، وح 5. صحيح البخارى: ج 7، ص 78. وأنظر: مسند أحمد: ج 2، ص 288، وح 4، ص 31. المستدرک على الصحيحين: ج 1، ص 10، وح 4، ص 165. مجمع الزوائد: ج 8، ص 169. المعجم الكبير: ج 22، ص 187. كنز العمال: ج 9، ص 50، ح 24885.
 - 2- (2) المصدر نفسه: ج 2، ص 667، ح 4، وح 5. مشكاة الأنوار: ص 376. الجواهر السنية: ص 28. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 445، ح 164، وح 165. وسائل الشيعة: ج 12، ص 130، ح 2، وح 3، وح 24، ص 417، ح 4، وح 5. صحيح البخارى: ج 7، ص 78. وأنظر: مسند أحمد: ج 2، ص 288، وح 4، ص 31. المستدرک على الصحيحين: ج 1، ص 10، وح 4، ص 165. مجمع الزوائد: ج 8، ص 169. المعجم الكبير: ج 22، ص 187. كنز العمال: ج 9، ص 50، ح 24885.
 - 3- (3) كنز العمال: ج 9، ص 57، ح 24927. تفسير الثعلبى: ج 3، ص 305. العهود المحمّدية: ص 822.

فعلن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «كل أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله»⁽¹⁾.

ولعلّه محمول على عرف ذلك الزمان.

حقوق الجار

هناك عدّة حقوق للجار، يمكن تلخيصها بذكر كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام، في رسالة الحقوق، والتي جاء فيها فيما يخصّ الجار: «وأما حق جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرَةً كريمةً، ولا قوّة إلاّ بالله»⁽²⁾.

وهذه الحقوق عديدة، المذكورة في روايات كثيرة، في رسالة الحقوق وغيرها، ويمكن تلخيصها بما يلي:

1 - حفظه غائباً: وهذا الحفظ لا يختصّ بحفظ المال أو غيره، بل هو حفظ للمال والعيال، وكلّ شيء يمكن حفظه.

2 - إكرامه شاهداً: يعنى إذا كان غير مسافر وغائب أن تكرمه، والإكرام هنا عامّ يصدق على كلّ نوع من الإكرام، كالتحية والسلام، وحضور أفراحه وأتراحه، وإجابة

ص: 138

-
- 1- (1) الكافي: ج 2، ص 669، ح 1. كتاب الزهد: ص 42، ح 113. مشكاة الأنوار: ص 376. رياض السالكين: ج 4، ص 151. التفسير الصافي: ج 1، ص 449. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 480، ح 244. بحار الأنوار: ج 71، ص 152، ح 12 عن كتاب الزهد.
- 2- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 455 ضمن الحديث 1. الخصال: ص 569 ضمن الحديث 1. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 618، ح 3214. مكارم الأخلاق: ص 422. بحار الأنوار: ج 71، ص 7، ح 1 عن الخصال. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 479، ح 242 عن من لا يحضره الفقيه. وسائل الشيعة: ج 15، ص 177 ضمن حديث 1.

دعوته، وغير ذلك من مصاديق الإكرام.

3 - نصرته إذا كان مظلوماً: بأن تدافع عنه، وتذكر صفاته الطيبة، وتشهد له بالحق إن كان الحق معه، وتنصحه، وغير ذلك.

4 - عدم تتبع عوراته: سواء عورته عرضه من أهله، وأهل بيته، ونسائه بالنظر إليهم، وما أكثره في زماننا، حيث أطلت الدور بعضها على البعض الآخر، وبإمكان الجار الاطلاع على عورات جاره بأسهل ما يكون إلا من عصمه الله تبارك وتعالى، وحارب الوسوس الشيطانية، أو التفت إلى الأخلاق الإنسانية الموروثة جيلاً بعد جيل، نتيجة التعاليم السماوية السابقة على الدين الإسلامى والنخوة العربية القائلة:

ما ضرَّ جاراً لى أجاوزهُ ألا يكون لبابه سترٌ

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يُوارى جارتى الخدرُ

نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قبلى ينزلُ القدرُ(1)

أو إتباع عوراته الأخرى، كمراقبة أخطائه وعثراته، وإحصائها عليه؛ كى تكون ورقة تهديد أو استضعاف له.

وهذا من الأمور المنهى عنها شرعاً، خصوصاً إذا كان الجار مؤمناً.

5 - الستر عليه فيما لو صدر منه سوءٌ: وهكذا ستر عيوبه وعيوب مَنْ يهَمُّه من أهل بيته، وعدم إفشاء أسرارهِ، خصوصاً ما يحصل بينه وبين عياله، كما لو ارتفعت أصواتهم أو تهاوتوا فيما بينهم، أو غير ذلك بما يشينه.

6 - وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه: فإذا كان قد جار على أحد

ص:139

1- (1) شرح نهج البلاغة: ج 17، ص 10 ونسبه ل - (مسكين الدارمى). تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: ص 393، ونسبه ل - (حاتم)، والظاهر أنَّ المقصود به: (حاتم الطائى).

واعتدى عليه، بفعل أو كلام كان من واجب جاره النصيحة له، بشرط أن يعلم الناصح بقبول جاره للنصيحة، وأن تكون النصيحة بينهما؛ لأنّ الله يحبّ الساترين، ولأنّ النصيحة أمام الملائكة أشبه ما تكون بالتجريح.

7 - ولا تسلمه عند شدائده: سواء كانت أزمة مالية، كما لو فقد نقوده أو خسرت تجارته، أو نفسية، كما لو فقد عزيزاً وغيرهما ممّا يصدق عليه شدة.

8 - وتقبل عثرته وتغفر ذنبه: فلو أخطأ معك في يوم من الأيام، وعثر معك عثرة أو ارتكب خطأ، فلا بد من إقالة عثرته وغفران ذنبه.

9 - وتعاشره معاشرة كريمة: كالتبسّم في وجهه، والسلام عليه، وتقدير أحواله، ومساعدته في قضاء حوائجه، وكلّ شيء يحبّ العشرة ويزيد الألفة.

10 - ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك: يعنى إذا هو لم يعرف حقّك، أو استخفّ به، أو أهانك أو غير ذلك، فما عليك إلا أن تبدى له التسامح والحلم.

11 - وأن تكون مسلماً له، ترد عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة: يعنى تحفظ ماء وجهه، وترد غيبته إذا اغتابه أحد، وتدافع عنه بكلّ ما أوتيت من قوّة.

فهذه هي إحدى عشرة نصيحة جمعتها كلمة سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين عليه السلام وغيرها من الروايات، جمعت فيها حقوق الجار، ويا لها من كلمات ثيرة، لو عمل بها الجار المسلم وغير المسلم لعاش الناس بأمن وأمان، وسعادة واطمئنان، ولا شترى الناس جارهم قبل دارهم، كما حدث ذلك في التاريخ، وسجل في الكتب ليضرب مثلاً لحسن الجوار.

فقد حكى «إن رجلاً كان جاراً لأبى دلف ببغداد، فأدركته حاجة، وركبه دين فادّح حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها، فسّمى لهم ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة دينار. فقال: ابيع دارى بخمسمائة، وجوار أبى دلف بخمسمائة، فبلغ أبى دلف

الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا»(1).

وهكذا مَنْ يُجاور الأئمة عليهم السلام حيّاً وميتاً، لا بدَّ وأن يلتزم بالحقوق المذكورة، وكذلك مع أبنائهم وذرياتهم عليهم السلام، فإنَّهم يلتزمون بحقوق الجار ويحمون جارهم، كما نُقل ذلك عن المرحوم النهاوندى عن المرحوم ميرزا مهدي أنَّه قال: حكى لى شخصٌ باسم محمود، وهو خادم فى حضرة الإمام الحسين عليه السلام وكان عمله حفظ أحذية الزائرين، فقال: حلَّت فى إحدى الليالى نوبتى فى المحافظة على الحرم مع رفاقى الخفر، وعندما غادر الناس، وأغلقتنا الأبواب جيداً نام الخدّام، ومضى نصف من الليل، كنت مستيقظاً حينما دخل شخصان إلى الصحن المطهر، من جهة الباب المعروف بالزينية، ووقفوا على قبر جديد، قد دفن صاحبه حديثاً، فشقّا القبر، وأخرجوا المدفون فيه، رأيت الشخص الذى أخرجاه يستغيث بهما، ويتوسّل إليهما، وهما لا يصغيان إليه، ولا يرحمانه، فأرادا أن يخرجاه من الباب المرقوم وقد ينس صاحب القبر منهما، فأدار وجهه صوب الحرم المطهر، وقال: «أهكذا يفعل بجاركَ يا أبا عبد الله؟» قال محمود: فسمعت صوتاً من الحرم المطهر اهتزت له الجدران والقناديل: «ردّوه ردّوه»، فرأيت الشخصين قد رجعا به فوضعا فى قبره وذهبا، ولمّا أصبح الصباح ذهبت الى القبر فوجدته قد تغيّر وعليه أثر شقٍ واضح (2).

هكذا هو جارك يا أبا عبد الله! يا غريب كربلاء! أمّا أعداؤك أو لم يعلموا بجوارك لهم؟! أو لم يحفظوا جوارك منهم، ومنزلتك عند الله وعند رسوله؟! أو لم يسمعوا قول جدّك النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال: «ما آمن بى من بات شبعاناً وجاره جائع»(3).

ص: 141

1- (1) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 460 - ص 461.

2- (2) انظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص 133 - ص 134.

3- (3) الكافي: ج 2، ص 668، ح 14. مجمع الزوائد: ج 8، ص 167. المعجم الكبير: ج 1، ص 259، ح 751. وسائل الشيعة: ج 12، ص 130، ح 1.

أَو لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِكُمْ؟! أَو لَمْ تَكُنْ جَائِعاً وَعَطْشَاناً يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟!

تَبَّ لَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِآلِهِ الْأَمْجَادِ

قَدْ شَتَّتُوهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْحُورٍ بِسَيْفِ عِنَادٍ (1)

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: 142

1- (1) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد مهدي الأعرجي رحمه الله، كما في رياض المدح والثناء: ص 756، مطلعها: رحلوا وما رحلوا أهيل ودادياً لا بحسن تصبّري وفؤادي.

من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله أنه قال: «يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من مُحاسبة الشريك لشريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حل ذلك أم من حرام؟» (1).

يتألف الإنسان من عُصَرين، لا يمكن له العيش دونهما مجتمعين، وهما: عنصر الجسد وعنصر النفس، وهما عنصران بهما تكمل حياة الإنسان، ويطيب عيشه، ولكل واحدٍ منهما حاجاته ومتطلباته التي يسعى لتحقيقها.

فحاجات الجسم هي: المآرب المادية الموجبة لنموه وصحته وحيويته، كالغذاء والشراب والكساء، ونحوها من ضرورات الحياة.

وحاجات النفس هي: الأشواق النفسية والروحية التي تعشقها الروح وتهفو إليها، كال معرفة، والحرية، والعدل، وراحة الضمير والبال، وما إلى ذلك من المثل العليا، والأمانى الروحية.

وأما حقوقهما فهي كثيرة، تتلخص بما يأتي:

أما حقوق الجسد: فتتخلص برعاية القوانين الصحية، وإتباع الآداب الإسلامية الكفيلة بصحة الجسم وحيويته ونشاطه، كالاعتدال في الطعام والشراب، وتجنب الكحول والعادات الضارة، كالخمر والحشيش والأفيون، وجميع ما يصدق عليه بأنه من المخدرات، والسعى وراء الشهوات الجنسية الآثمة.

وأما حقوق النفس: فهي لا تقل أهمية عن حقوق الجسد، إن لم تكن أهم؛ لأنَّ

ص: 145

1- (1) () مكارم الأخلاق: ص 468. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 199. بحار الأنوار: ج 74، ص 86، ضمن ح 3 عن مكارم الأخلاق. كنز العمال: ج 3، ص 699، ح 8501.

الأمراض الجسمية تظهر أعراضها في الغالب على الجسم، بخلاف أمراض الروح، فإنّها في الغالب تبقى مجهولةً لكثير من الناس إذا لم نقل لأكثرهم. ومن هنا كانت أصعب علاجاً من أمراض الجسم، واحتاجت أمراضها إلى أطباء حاذقين، فكانت عناية الحكماء والأولياء، ومن قبلهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، بتهذيب النفس وعلاج أمراضها ومحاسبتها.

ونحن في هذا المقام نشير إلى بعض التوجيهات في تهذيب النفس.

تهذيب النفس

للوصول إلى رضا الله تبارك وتعالى، والفوز بالنعيم الخالد الذي وعد به الباري عزّ وجلّ لا بدّ للإنسان من الإلتباه إلى نفسه ورغباتها وشهواتها، كما هو منتبه على طول الزمان إلى جسمه واحتياجاته، ولا أقل حاجة الطعام والشراب، وبانتباهه إلى نفسه يكون قد جاهدتها جهاداً عظيماً، إذا أراد لها ذلك، وإلاّ فمجرّد الإلتباه إلى أخطائها من دون ردع ونهي لا يحلّ لنا المشكلة، غاية ما في الأمر قد شخص المرض من دون علاج، وعندئذٍ لا تشفى النفس من أمراضها، بل لا بدّ من علاج واقعي (1).

والوقاية قبل العلاج، كما رسمه المتخصّصون، تتم عن طريق مراحل ثلاث، هي: (المشاركة والمراقبة والمحاسبة).

المقصود بالمشاركة؟

المشاركة هي أول مرحلة من المراحل الثلاث المذكورة، والقائم بها يسمى ب (المشارطة) والمقصود منه: «الذي يشارط نفسه في أوّل يومه على أن لا يرتكب اليوم أيّ عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قراراً بذلك، ويعزم عليه. وواضح أنّ ترك ما يخالف أوامر

ص: 146

الله ليوم واحدٍ أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان يسر أن يلتزم به»⁽¹⁾، وعندئذٍ يطلب - بصدق - من الله تبارك وتعالى، ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويتوسّل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام؛ لإعانتته على هذه المرحلة ليقدّر على كبح نفسه وشهواتها حتّى يَهْدبها، وأن لا يبتدى المشارك من أوّل يوم بتحميل نفسه أكثر من طاقتها، بل على المشارك الإبتداء بالسير اليسير؛ حتّى يصل إلى المطلوب، لا أنّه يريد التهذيب فى يومٍ وليلةٍ، كما حصل ذلك لبعض الأصدقاء، فأراد فى ليلةٍ وضحاها أن يصل إلى مرتبة أحد العرفاء الذى كان إذا جنّه الليل جنّ فى عبادته مع الله تبارك وتعالى، ولكن لم يوفّق لذلك؛ لأنّ الوصول إلى هذه المرتبة لا يكون إلّا بعد ربحٍ من الزمن يقضيه فى الجهاد والمعاناة والتهذيب.

روى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده، قال: «عن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سراج، وكان خادماً لأبى عبد الله عليه السلام، قال: بعثنى أبو عبد الله عليه السلام فى حاجةٍ، وهو بالحيرة، أنا وجماعة من مواليه، قال: فانطلقنا فيها، ثمّ رجعنا مغتمّين. قال: وكان فراشى فى الحائر الذى كنّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسى، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبى عبد الله عليه السلام قد أقبل. قال: فقال: قد أتيناك. أو قال: جئناك. فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشى، فسألنى عمّا بعثنى له فأخبرته. فحمد الله، ثمّ جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك إنّنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغى لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جعلت فداك - قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفترأه أطرحنّا؟ قال: قلت: لا والله، جعلت فداك ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة

ص: 147

أسهم، و منهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا- صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة، وسأضرب لك مثلاً: إن رجلاً كان له جار، وكان نصرانياً، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له، فأجابه فأتاه سحيراً، ففرع عليه الباب، فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ فقال: توضعاً والبس ثوبيك، ومرّ بنا إلى الصلاة. قال: فتوضاً، ولبس ثوبيه، وخرج معه، قال: فصلياً ما شاء الله، ثمّ صلياً الفجر، ثمّ مكثاً حتى أصبحنا، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير، والذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلى الظهر، ثمّ قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلى العصر، قال: ثمّ قام وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إن هذا آخر النهار، وأقل من أوله، فاحتبسه حتى صلى المغرب، ثمّ أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة! قال: فمكث حتى صلى العشاء الآخرة، ثمّ تفرّقاً فلمّا كان سحيراً غداً عليه، فضرب عليه الباب، فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ قال: توضعاً والبس ثوبيك واخرج بنا فصلّاً، قال: اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني، وأنا إنسان مسكين، وعلى عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا - (1).

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد أخرى، فلا يقولنّ صاحب الاثني لصاحب الواحد: لست على شيء حتى

ص: 148

1- (1) الكافي: ج 2، ص 42 - ص 44، ح 2، عنه بحار الأنوار: ج 66، ص 161 - ص 162، ح 2. وسائل الشيعة: ج 16، ص 160 - ص 161، ح 3.

ينتهى إلى العاشر، فلا تُسقط مَنْ هو دونك، فيسقطك مَنْ هو فوقك، وإذا رأيت مَنْ هو أسفل منك بدرجةٍ فارفعه إليك برفقٍ، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره؛ فَإِنَّ مَنْ كسر مؤمناً فعليه جبره»(1).

وهذا هو الفارق الجوهرى بين أسلوب العلماء فى الهداية وغيرهم، فالعلماء يتخذون أسلوب القرآن، وهو: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (2).

وبهذا الأسلوب صار الفقيه فقيهاً كاملاً، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كلُّ الفقيه مَنْ لم يقنط الناسَ من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمّنهم من مكر الله»(3).

فإذا تمّت مرحلة المشاركة يأتى الدور إلى مرحلة المراقبة.

ما هى المراقبة؟

قال أهل الفنّ وأطبّاء النفوس: وبعد هذه المشاركة عليك أن تنتقل إلى المراقبة، وكيفيةها: أن تنتبه طوال مدّة المشاركة إلى عملك، وفقاً لما اشترطته، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شرطت(4).

وقد كان علماؤنا الكبار يشارطون ويتعاهدون الله على فعلٍ ما، أو تركٍ ما، وينذرون الصيام لمدّة سنتين - مثلاً - لو خالفوا شرطهم، وبذلك يكون مثل هذا النذر مانعاً لهم من مخالفة الشرط، وما تركنا للأعمال التى يترتّب عليها حدّ شرعى، وارتكابنا للمحرّمات الأخرى كالغيبة - مثلاً - مع كونها أعظم من سابقتها إلاّ فى الحدود الشرعية المترتبة على

ص:149

1- (1) المصدر نفسه: ج 2، ص 45، ح 2. الخصال: ص 447، ح 48، عنه بحار الأنوار: ج 22، ص 351، ح 75، وج 66، ص 165، ح 4 عن الكافى. وسائل الشيعة: ج 16، ص 162، ح 5.

2- (2) النحل: آية 125.

3- (3) نهج البلاغة: ج 4، ص 20، ح 90. بحار الأنوار: ج 2، ص 56، ح 34.

4- (4) انظر: الأربعون حديثاً (الإمام الخمينى رحمه الله): ص 26.

تلك، وعدم ترتّب حدٍّ أو جزاءٍ عاجلٍ على الغيبة.

قال الإمام الخميني رحمه الله: «وإذا حصل - لا - سمح الله - حديثٌ لنفسك بأن ترتكب مخالفاً لأمر الله، فاعلم أنّ ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعد بالله من شرّهم، وأخرج تلك الوسوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: إنّي اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم - وهو يوم واحد - بأى عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو وليّ نعمتى طول عمرى، فقد أنعم عليّ وتلطّف بى بالصحّة والسلامة والأمن، والطفأً أخرى، ولو أتى بقيت فى خدمته إلى الأبد لما أديت حقّ واحدةٍ منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفى بشرطٍ بسيطٍ كهذا. وآمل - إن شاء الله - أن ينصرف الشيطان ويتنصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا- تتعارض مع أى عملٍ من أعمالك، كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل، ريثما يحين وقت المحاسبة»(1).

ما هى المحاسبة؟

والمحاسبة هى المرحلة الثالثة، والتى أشارت إليها الوصية التى افتتحنا بها الحديث، وهى أن تحاسب نفسك محاسبة الشريك شريكه، كما قال النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر رحمه الله(2).

وفى (الأربعون): «وأما المحاسبة، فهى أن تحاسب نفسك؛ لترى هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن وليّ نعمتك فى هذه المعاملة الجزئية؟ إذا كنت قد وفّيت حقّاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدّم فى أمور دنيّاك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترةً، والمأمول أن يتحوّل إلى ملكة فيك، بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلاً

ص:150

1- (1) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص 26.

2- (2) انظر: أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص 199. بحار الأنوار: ج 74، ص 86.

ويسيراً للغاية، وستحسّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى، وترك معاصيه... وإذا حدث - لا سمح الله - في أثناء المحاسبة تهاون وفتور تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله وأطلب العفو منه، وأعزم على الوفاء بكلّ شجاعة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال، كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الطريق المستقيم للإنسانية»⁽¹⁾.

فيحاسب الإنسان نفسه من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام؟ حتّى يشكر الله تبارك وتعالى على الحلال، ويتوب إلى الله عزّ وجلّ توبةً نصوحاً من الحرام، وذلك بإرجاع كلّ حقٍّ إلى أهله، وهذا هو الذى يميّز أهل البيت عليهم السلام عمّن عاداهم، وهو الذى أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام، عندما طلبوا منه البيعة ليزيد، حيث قال: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، مُعلنٌ بالفسق، مثلى لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة. قال: وسمع منّ بالباب الحسين، فهمّوا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً، فأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله»⁽²⁾.

أقول: ليت شعرى! أين كان هؤلاء عندما بقيت الحوراء زينب عليها السلام تنادى إخوتها وبني عمومتهما؟

ص: 151

1- (1) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص 26 - ص 27.

2- (2) كتاب الفتوح: ج 5، ص 14. اللهوف: ص 17. بحار الأنوار: ج 44، ص 325.

أين أنت يا أبا الفضل، وهي التي خرجت بكفالتك؟

عبّاس تسمعُ زينباً تدعوك من لى يا حمائى إذا العدى نهرونى

أو لستَ تسمعُ ما تقولُ سُكينةُ عمّاهُ يومَ الأسرِ من يَحمينى(1)

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيْ مُنْقَلَبٌ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتّقين.

ص:152

1- (1) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ حسن قفطان رحمه الله، كما فى مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج 1، ص 345 - ص 346.

روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَوْتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي؛ فَإِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ غَرَسَ قَصَبَاتَهَا بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرُجَكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يَدْخُلَكُمْ فِي ضَلَالَةٍ» (1).

لم نعثر في كتاب من كتب السيرة والتاريخ أن تحدّث عن سيرة أحدٍ إلى مستوى سير الأئمة عليهم السلام، ولم تذكر كتب الحديث روايةً واحدةً - ولو كانت موضوعاً ومفتراً - في فضل أحد الأشخاص، إلا وقد ذكر من قبلها روايات كثيرة وصحيحة أكثرها في معاجز وفضائل وكرامات أهل البيت عليهم السلام.

ومنه يتبيّن أنّ ما وصل إليه أهل البيت عليهم السلام، لم يصل إليه أحد من غيرهم عليهم السلام؛ فقد جاهدوا في نصرة الدين، وحماية المسلمين وحقوقهم، جهاداً لم يحدّثنا التاريخ بمثله، حتّى استشهدوا في سبيل العقيدة والمبدأ، ومن هنا كانت لهم حقوق وواجبات على المسلمين، لا بدّ من تأديتها لهم عليهم السلام، ونحن نشير إليها إشارةً مختصرةً.

الحقّ الأوّل: معرفتهم

فقد جاء في الحديث - الذي أجمع المسلمون عليه (2) - عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

ص:155

1- (1) المعجم الكبير: ج 5، ص 194. كنز العمال: ج 11، ص 611، ح 32959. نهج الإيمان: ص 503. وأنظر الحديث في مصادرنا التالية: بصائر الدرجات: ص 71، ح 11، وص 72، ح 18. مناقب آل أبي طالب: ج 1، ص 250، وج 3، ص 5. بشارة المصطفى: ص 290، ح 14. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص 118، ح 181. غاية المرام: ج 1، ص 132، ح 25، وج 2، ص 288، ح 3.

2- (2) انظر: الصراط المستقيم: ج 1، ص 196، حيث قال: «وقد أجمع المسلمون على قوله عليه السلام: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ولا شكّ أنّه الإمام، فلا تنفع الجاهلية حسناتهم». وفي الصوارم المهرقة: ص 89: «الإمامة عندنا من أصول دين الإسلام، كما يدلّ عليه وجوه من الأدلّة، منها: الحديث المشهور المتفق عليه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

«مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية» (1).

فمن هنا وجب على كلِّ مسلم يدين بهذا الدين الحنيف معرفتهم، حتَّى يكون على بصيرةٍ من عقيدته وشريعته؛ لأنَّ كلَّ مسلمٍ يؤمن بالله تبارك وتعالى ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا بدَّ له من الأخذ بأقوالهم والإهداء بهديهم، وهذا لا يكون إلَّا بعد معرفتهم عليهم السلام.

وروى علماء العامة - كما نُقل في صحيح مسلم - أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يزال الدين قائماً حتَّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلُّهم من قریش» (2).

وهذا الحديث شاهد على وجود الإمامة في شخص الإمام عليه السلام حتَّى قيام الساعة، وأنَّ هذه الإمامة حصر على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، دون غيرهم من الملوك والسلاطين من بنى أميَّة أو العباسيين؛ إمَّا لزيادتهم على هذا العدد (اثني عشر)، أو لفسقتهم وفجورهم، وصفات أخرى لا تليق بمنصب الخلافة الإلهية.

ونفس هذا المعنى صرَّح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «اللهم بلى، لا - تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة. إمَّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حُججُ الله وبيئاته. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً. يحفظ الله بهم

ص: 156

-
- 1- (1) كمال الدين وتمام النعمة: ص 409. كفاية الأثر: ص 296. الثاقب في المناقب: ص 495، ح 1. مناقب آل أبي طالب: ج 1، ص 212. اليقين: ص 124. العقد النضيد والدّر الفريد: ص 53. إعلام الوری: ج 2، ص 253. كشف الغمة: ج 3، ص 335. حقائق الإيمان: ص 151. وأما في مصادر العامة، فأنظر - مثلاً - : مسند أحمد: ج 4، ص 96. مجمع الزوائد: ج 5، ص 218، ص 224، ص 225. مسند أبي داود الطيالسي: ص 259. كتاب السنة: ص 489، ح 1057. مسند أبي يعلى: ج 13، ص 366، ح 7375. صحيح ابن حبان: ج 10، ص 434. المعجم الأوسط: ج 3، ص 361.
- 2- (2) صحيح مسلم: ج 6، ص 4. تحفة الأحوذى: ج 6، ص 391. الأحاد والمثاني: ج 3، ص 128. مسند أبي يعلى: ج 13، ص 455 - ص 456، ح 7463. المعجم الكبير: ج 2، ص 199. كنز العمال: ج 12، ص 33، ح 33855.

قال ابن أبي الحديد المعتزلى فى شرح هذا المقطع: «وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلا أنَّ أصحابنا يحملونه على أن المراد به، الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم، أنَّهم فى الأرض سائحون، فمنهم مَنْ يُعرف، ومنهم مَنْ لا يُعرف، وأنَّهم لا يموتون حتى يودعوا السرَّ، وهو العرفان عند قوم آخرين، يقومون مقامهم، ثم استنزر عددهم فقال: وكم ذا! "أى كم ذا القبيل! وكم ذا الفريق!" (2).

فلاحظ بعين الإنصاف كيف شرح هذا الكلام، وكيف اعترف بتأويل القوم له تأويلاً بارداً، وصرفاً بانساً؟!

الحقَّ الثانى: موالاتهم

من حقوقهم عليهم السلام الموالاته لهم، وتأتى فى الرتبة بعد معرفتهم، فكثير من الناس مَنْ يدعى معرفتهم، وقد يعرفهم واحداً بعد واحد، ويعرف فضلهم ومنزلتهم عند الله عزَّ وجلَّ، وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لا يواليهم، وهذا - أعنى معرفتهم - غير كافٍ ما لم يشفع بالمولاة.

وقد ورد عن طريق العامة أنَّ النَّبِيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا سلمٌ لِمَنْ سالمته وحرَبٌ لِمَنْ حاربتهم» (3). ومن المعلوم أنَّ مَنْ سالمه النَّبِيُّ فقد سالمه الله، وَمَنْ حاربه النَّبِيُّ فقد حاربه الله؛ لأنَّ

ص: 157

1- (1) نهج البلاغة: ج 4، ص 37، ح 147. أمالى الشيخ الطوسى: ص 21، ح 23. تحف العقول: ص 170. عيون الحكم والمواعظ: ص 541. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص 86. حقائق الإيمان: ص 154. ينابيع المودة: ج 1، ص 89. بحار الأنوار: ج 1، ص 193 عن النهج، وج 23، ص 46، وكذا ج 30، ص 81.

2- (2) شرح نهج البلاغة: ج 18، ص 351.

3- (3) سنن ابن ماجة: ج 1، ص 52، ح 145. المعجم الكبير: ج 3، ص 40، ح 2619، وج 5، ص 184. تاريخ مدينة دمشق: ج 14، ص 158. تهذيب الكمال: ج 13، ص 113. سير أعلام النبلاء: ج 2، ص 125. ينابيع المودة: ج 2، ص 34، ح 6، والحديث مشهور عند الفريقين إذا لم يكن متواتراً.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما صرح به القرآن الكريم(1).

وهناك أحاديث عديدة، بل وآيات فيها إشارة إلى مسألة الموالاة لهم عليهم السلام.

ومن هنا هذا الحديث الذي افتتحنا به الكلام، المروى عن سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يأمر به المسلمين بالموالاة لعلّ وذريته عليهم السلام، إن كانوا يريدون السير واقعاً على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ومماته.

الحقّ الثالث: طاعتهم

والحقّ الثالث لهم عليهم السلام هو الطاعة لهم، والإنقياد لأوامرهم؛ فإنّ المعرفة والموالاة لا يكفيان من دون الطاعة لهم عليهم السلام؛ فإنّ هكذا معرفة وموالاة خالية عن المضمون، فقد يوالى إنسانٌ إنساناً آخر ولكن لا يطيعه، فهذه الموالاة لم تكن إلا موالاة صورية، والمطلوب هو الموالاة الواقعية الحقيقية، ومن هنا ورد في بعض الأحاديث القدسية هذا المعنى، كما عن المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام، أن قال له: يا بن عمران، كذبَ مَنْ زعم أنّه يُحبّني، فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ مُحَبٍّ يُحِبُّ خلوة حبيبه؟...»(2).

وما ورد عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: «إنّ المحبّ لمن أحب مطيع»(3).

ص: 158

1- (1) النجم: آية 3 - آية 4.

2- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 438، ح 1. روضة الواعظين: ص 329. عدّة الداعي: ص 193. محاسبة النفس: ص 82. قصص الأنبياء (الجزائري): ص 342 عن الأمالي. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 263. بحار الأنوار: ج 13، ص 329، ح 7 عن الأمالي، وكذا ج 67، ص 14، ح 2، وج 84، ص 172، ح 5 عن أعلام الدين. الجواهر السنية: ص 57.

3- (3) في تحف العقول: ص 294 عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «ما عرف الله من عصاه وأنشد: تعصى الإله وأنت تُظهر حبّه هذا العمرك في الفعال بديع لو كان حُبّك صادقاً لأطعتها إنّ المُحَبَّ لَمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ»

فلا بدّ من الطاعة بعد الموالاة، وقد وردت آيات عديدة تشير إلى ذلك.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) 1 .

فقد أوجب الله تبارك وتعالى على المسلمين في الآية المباركة طاعة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، كما فسّرت هذه الآية برواياتهم عليهم السلام العديدة: فعن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنّه سأله عن قول الله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب». قلت: إنّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمى عليّاً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر: «قولوا لهم: إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله هو الذي فسّر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل: طوفوا سبعا، حتى فسّر ذلك لهم رسول الله، وأنزل: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ، فنزلت في علي والحسن والحسين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، إنّني سألت الله أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك» (1).

وروى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «وصلّ الله طاعةً ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاية الأمر، لم يطع الله ولا رسوله» (2).

ومن الآية والرواية نعرف أنّ طاعة أهل البيت عليهم السلام كطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا دليل واضح على عصمتهم وطهارتهم عليهم السلام، وعدم التفريق بين طاعتهم وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطاعة الله تبارك وتعالى.

ص: 159

1- (2) انظر - مثلاً -: شواهد التنزيل: ج 1، ص 190 - ص 191. ينابيع المودة: ج 1، ص 74، وص 144.

2- (3) الكافي: ج 1، ص 182، ح 6، وج 2، ص 47، ح 3. التفسير الصافي: ج 3، ص 315. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 19 - ص 20، ح 69، وج 3، ص 608، ح 186. رياض السالكين: ج 7، ص 26. بحار الأنوار: ج 66، ص 10، ح 12.

قال تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) 1 .

وروى زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن، والوالى هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذى يلى ذلك فى الفضل؟ فقال: الصلاة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الذى يليها فى الفضل؟ قال: الزكاة؛ لأنه قرنها بها وبدأ بالصلاة قبلها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذى يليها فى الفضل؟ قال: الحج... أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولى الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلًا لله إليه، ما كان له على الله عز وجل حق فى ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته» (1).

وأدلى شيء على طاعتهم هو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) 3 .

الحق الرابع: أداء حقهم عليهم السلام من الخمس

ومن حقوقهم عليهم السلام العملية التى أكثر ما يلج الناس بها النار، حق الخمس الذى أكدت عليه الشريعة، وأنه زكاة لأموال الناس.

قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) 4 ، وغيرها من الآيات الأخرى.

ص: 160

1- (2) الكافي: ج 2، ص 18 - ص 19، ح 5. المحاسن: ج 1، ص 286، ح 430. تفسير العياشى: ج 1، ص 191، ح 101. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 372، ح 279. غاية المرام: ج 6، ص 184، ح 5. بحار الأنوار: ج 65، ص 332، ح 10 عن الكافي، ج 79، ص 234، ح 59 عن المحاسن.

وهذا الحق فرض محتّم على المسلمين، شرّعه الله عزّ وجلّ لأهل البيت عليهم السلام، ومن يمتّ إليهم بشرف القربى والنسب.

«وهو حقّ طبيعيّ يفرضه العقل والوجدان، كما يفرضه الشرع؛ فقد درجت الدول على تكريم موظّفيها والعاملين في حقولها، فتمنحهم راتباً تقاعدياً يتقاضوه عند كبر سنهم، ويورثونه لأبنائهم، وذلك تقديراً لجهودهم في صالح أممهم وشعوبهم.

وقد فرض الله الخمس لآل محمد عليهم السلام وذرائعهم تكريماً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتقديراً لجهاده الجبّار، وتضحياته الغالية، في سبيل أمته، وتنزيهاً لآله عن الصدقة والزكاة.

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام مفهوم ذى القربى، فقال: نحن والله الذين عنى الله بذى القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، فقال: (ما أفاء الله على رسوله من أهله لقرىّ الله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين) 1 منّا خاصّة؛ لأنّه لم يجعل لنا سهماً في الصدقة، وأكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أو ساخ ما في أيدي الناس» (1).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «أصلحك الله، ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم» (2).

وروى محمد بن مسلم عن أحدهما عليها السلام أنّه قال: «إنّ أشدّ ما فيه الناس يوم القيامة إذا قام صاحب الخمس، فقال: يا ربّ خُمسى...» (3).

ص: 161

1- (2) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص 326 - ص 327.

2- (3) من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 41، ح 1650. كمال الدين وتمام النعمة: ص 521 - ص 522، ح 50. تفسير العياشي: ج 1، ص 225، ح 48. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 449، ح 83. وسائل الشيعة: ج 9، ص 483، ح 1. بحار الأنوار: ج 72، ص 10، ح 34 عن تفسير العياشي، وج 93، ص 186، ح 11 عن كمال الدين، وص 187، ح 15 عن تفسير العياشي أيضاً.

3- (4) الكافي: ج 1، ص 546 - ص 547، ح 20. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 43، ح 1654. الاستبصار: ج 2، ص 57، ح 1. تهذيب الأحكام: ج 4، ص 136، ح 4. وسائل الشيعة: ج 9، ص 545، ح 5. الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ج 2، ص 149، ح 3.

إلى غير ذلك من النصوص والروايات.

الحق الخامس: الإحسان إلى ذريتهم

ومن علامات الودّ والحبّ لأهل البيت عليهم السلام الإحسان إلى ذريتهم بقدر المستطاع.

فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحّب لهم بقلبه ولسانه» (1).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قمتُ المقامَ المحمودَ تشفّعتُ في أصحاب الكبائر من أمتي، فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفّعتُ فيمن أذى ذريتي» (2).

الحق السادس: مدحهم ونشر فضائلهم

ومن حقوق أهل البيت عليهم السلام أن نمدحهم وننشر فضائلهم عليهم السلام بكلّ ما أوتينا، وما أُتيحت لنا من فرص ووسائل بقدر الإمكان؛ لأنّ مدحهم ونشر فضائلهم هو تقوية

ص: 162

1- (1) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 28، ح 4، وج 2، ص 230، ح 2. أمالي الشيخ الطوسي: ص 366، ح 30. كشف الغمّة: ج 1، ص 52، وج 2، ص 25. كشف اليقين: ص 328. ذخائر العقبى: ص 18. وسائل الشيعة: ج 16، ص 334، ح 6. بحار الأنوار: ج 27، ص 85، ح 28 عن أمالي الشيخ الطوسي. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج 1، ص 144. كنز العمال: ج 12، ص 100، ح 34180. سبل الهدى والرشاد: ج 11، ص 11. ينابيع المودّة: ج 2، ص 115، ح 325، وج 2، ص 380، ح 79، وص 464، ح 297، وبعض المصادر التي ذكرناها فيها تغيير يسير في الإسناد والمتن، فليلاحظ ذلك.

2- (2) أمالي الشيخ الصدوق: ص 370، ح 3. روضة الواعظين: ص 273. التفسير الصافي: ج 3، ص 211. التفسير الأصفي: ج 1، ص 693. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 208، ح 398. الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ج 1، ص 360، ح 6. بحار الأنوار: ج 8، ص 37، ح 12 عن أمالي الشيخ الصدوق، ومثله ج 31، ص 653، ح 196، وج 93، ص 218، ح 4.

للدين الإسلامي الحنيف، ونصر لهذا المذهب الشريف، فإنَّ الأئمة هم أرفع الناس نسباً، وأعلاهم شرفاً، وآثرهم حسباً، وأجمعهم للفضائل والكمالات، هذا بنظر الله تبارك وتعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وينظر شيعتهم ومواليهم ومحبيهم.

وأما بنظر أعدائهم فهم يحقدون عليهم تعتاً وتعصّباً، لا إنكاراً لفضائلهم؛ لأنَّ إنكارها يعنى إنكار الدين، وتكذيب الشرع المبين، المتمثل بخاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن ديدن المنافقين على بغض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذريته الطاهرين عليهم السلام.

ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن سيفي هذا على أن يغضني ما أبغضني. ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني؛ وذلك أنه قضى فأنقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق» (1).

«من أجل ذلك كان العارفون بفضائلهم، والمتمسكون بولائهم، يتبارون في مدحهم، ونشر مناقبهم، مُعْرِينَ عن حبهم الصادق وولائهم الأصيل، دونما طلب جزاء ونوال. وكان الأئمة عليهم السلام، يستقبلون مادحيهم بكل حفاوة وترحاب، شاكرين لهم عواطفهم الفياضة، وأناشيدهم العذبة، ويكافؤونهم عليها بما وسعت يداهم من البرّ والنوال، والدعاء لهم بالغفران، وجزيل الأجر والثواب. فقد جاء في (خزانة الأدب): حكى صاعد مولى الكُميت، قال: دخلت مع الكُميت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنشده قصيدته التي أولها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتِمِّمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبُوءَ وَلَا أَحْلَامٍ

ص: 163

1- (1) نهج البلاغة: ج 4، ص 13، ح 45. عيون الحكم والمواعظ: ص 415. روضة الواعظين: ص 295. الغارات: ج 1، ص 43. مشكاة الأنوار: ص 151. تفسير مجمع البيان: ج 6، ص 455. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 364، ح 166. إعلام الوري: ج 1، ص 371. غاية المرام: ج 6، ص 64، ح 67. بحار الأنوار: ج 34، ص 51، وج 34، ص 344، ح 1168 عن النهج.

فلما أتى على آخرها، قال له: ثوابك نعجز عنه، ولكن ما عجزنا عنه، فإنَّ الله لا يعجز عن مكافأتك، اللهم اغفر للكميت. ثمَّ قسط له على نفسه وعلى أهله أربعمئة ألف درهم، وقال له: خذ يا أبا المستهل. فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي، ولكن إن أحببت أن تحسن إلي، فادفع إلي بعض ثيابك أتبرك بها، فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلّها، ثمَّ قال: اللهم إنَّ الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحق، فأحياه سعيداً، وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له المثوبة آجلاً، فإنَّنا قد عجزنا عن مكافأته. قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه .

وقال دعبل: «دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام - بخراسان - فقال لي: أنشدني شيئاً ممَّا أحدثت. فأنشدته:

مدارسُ آياتٍ خلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍ مقفُرِ العرصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وُتروا مدوا إلى واتريهم أكفأ عن الأوتارِ مُنْقِبَصَاتِ

فبكي حتى أغمي عليه، وأوماً إلىَّ خادمٌ كان على رأسه: أن اسكت، فسكْتُ فمكث ساعةً، ثمَّ قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى، وأوماً الخادم إلىَّ أن أسكت، فسكْتُ. فمكث ساعةً أخرى، ثمَّ قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت. ثلاث مرات. ثمَّ أمر لي بعشرة آلاف درهم، ممَّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد. وأمر لي من في منزله، بحلى كثير أخرجته إلىَّ الخادم، فقدمت العراق، فبعت كلَّ درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها منِّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته»(1).

ص:164

ومن حقوقهم عليهم السلام على مواليتهم وشيعتهم، زيارة مشاهدهم المشرفة والسلام عليهم؛ فإنّها من مظاهر الحبّ والولاء، ومصاديق الوفاء والإخلاص، فهم سيّان أحياء وأمواتاً.

وقد تواترت النصوص في فضل زيارة مشاهدهم المشرفة، ومراقدهم الطاهرة عليهم السلام، وما تشتمل عليه من الخصائص الجليلة والثواب الجَمِّ (1).

فعن الوشاء قال: سمعتُ الرضا عليه السلام يقول: «إنَّ لكلَّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشييعته، وإنَّ من تمام الوفاء بالعهد، وحُسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أنتمهم شفعاؤهم يوم القيامة» (2).

وعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار واحداً منكم؟

قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (3).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين: فنوح

ص: 165

-
- 1- (1) انظر - على سبيل المثال -: كتاب كامل الزيارات لابن قولوية القمي رحمه الله وغيره من كتب المزارات لأعلام الطائفة مثل: كتاب المزار للشيخ المفيد رحمه الله وكتاب المزار أيضاً للشهيد السعيد (الشهيد الأوّل رحمه الله) والمزار لابن المشهدي رحمه الله.
 - 2- (2) كامل الزيارات: ص 326 - ص 237، ح 2، المزار (الشيخ المفيد): ص 201، ح 1، الكافي: ج 4، ص 567، ح 2. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 291 - ص 292، ح 24. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 577، ح 3160. تهذيب الأحكام: ج 6، ص 78 - ص 79، ح 3، وص 93، ح 2. روضة الواعظين: ص 202. وسائل الشيعة: ج 14، ص 322، ح 5. بحار الأنوار: ج 97، ص 116، ح 1 عن العيون.
 - 3- (3) علل الشرائع: ج 2، ص 460، ح 6. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 293، ح 31. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 578، ح 3163، وص 581، ح 3175. الكافي: ج 4، ص 579، ح 1. وسائل الشيعة: ج 14، ص 571، ح 1. بحار الأنوار: ج 97، ص 117، ح 5 عن العيون والعلل.

وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين: فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم، ثم يمدّ المضمار، فيقعد معنا من زار قبور الأئمة عليهم السلام إلا أن أعلاهم درجة، وأقربهم حبة، زوّار ولدى عليّ» (1).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداء وتمراً، فقدّمنا منه، فأكل ثمّ قام إلى زاوية البيت، فصلّى ركعات، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحدٌ منّا اجلاًّ واعظاً ما له، فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره فقال: يا أبة، لقد دخلت بيتنا فما سرّنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثمّ بكيت بكاءً غمّنا، فما أبكاك؟! فقال: يا بني، أتانى جبرئيل عليه السلام آنفاً فأخبرني أنّكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتى. فقال: يا أبة، فما لمن يزور قبورنا على تشبّثها، فقال: يا بني، أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة، ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة» (2).

ما ذنبُ أهل البيتِ حتى منهمُ أخلوا ربوعه

تركوهم شتى مصارعُهم وأجمعُها فضيعه

فمغيّبٌ كالبدرِ ترتقبُ الورى شوقاً طلوعه

ومكابدٌ للسمِّ قد سُقيت حشاشته نقيعه

ومضرجٌ بالسيفِ أثرَ عزّه وأبى خُضوعه

ص: 166

-
- 1- (1) الكافي: ج 4، ص 585، ح 4. كامل الزيارات: ص 511 - 512، ح 13. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 290 - 291، ح 20. تهذيب الأحكام: ج 6، ص 84 - 85، ح 3. المزمار (ابن المشهدى): ص 546 - 547. وسائل الشيعة: ج 14، ص 564، ح 1. بحار الأنوار: ج 99، ص 41 - 42، ح 46 عن كامل الزيارات.
- 2- (2) كامل الزيارات: ص 126 - 127، ح 9. أمالي الشيخ الطوسي: ص 669، ح 11، عنه بحار الأنوار: ج 28، ص 80 - 81، ح 40، وج 44، ص 234، ح 20 عن كامل الزيارات، وعنه أيضاً في ج 97، ص 118، ح 11.

إلى أن يقول رحمه الله:

وكرائم التنزيل بين أُمّةٍ برزت مروّعه

تدعو ومن تدعو وتلك كفأة دعوتها صريعه

وهاً عرّانين العلى عادت أنوفكم جديعه

ما هزّ أضلعكم حداً القوم بالعيش الضليعه [\(1\)](#)

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلٌ مُحمّدٌ أيّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتّقين.

ص: 167

1- (1) ديوان السيد حيدر الحلّي رحمه الله: ج 1، ص 37.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن الحسين عليها السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبِّي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَاهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النُّشُورِ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ» (1).

من إعتقاداتنا وعقائدنا التي انطوت عليها قلوبنا وعقولنا هو الاعتقاد بوجوب حُبِّ أهل البيت عليهم السلام، ووجوب التبري من أعدائهم، فعلى كلِّ إنسانٍ شيعي أن يلتزم بهذه العقيدة؛ حيث إنَّ من فروع ديننا القويم، ومذهبنا السليم، موالاة أولياء الله، والتبري من أعدائهم.

وأما أنَّ إنساناً يحبُّ أهل البيت عليهم السلام، ولا يتبرأ من أعدائهم فهو أعور، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فيما رواه عنه الشيخ ابن إدريس في كتاب السرائر في المستطرفات.

قال رحمه الله: «إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا أَحْبُّكَ وَأَحَبُّ فَلَانًا - وَسَمِّيَ بَعْضُ أَعْدَائِهِ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا الْآنَ فَأَنْتَ أَعُورٌ، فَأَمَّا أَنْ تَعْمَى، وَأَمَّا أَنْ تُبْصَرَ» (2).

وعنه رحمه الله قيل للصادق عليه السلام: «إِنَّ فَلَانًا يُوَالِيكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ يَضْعَفُ عَنِ الْبِرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّكُمْ. قَالَ: هِيَاهُ، كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتَنَا، وَلَمْ يَتَبَرَأْ مِنْ عَدُوِّنَا» (3).

ص: 171

1- (1) الخصال: ص 360، ح 49. فضائل الشيعة: ص 5، ح 2. كفاية الأثر: ص 108 - ص 109. روضة الواعظين: ص 271. بشارة المصطفى: ص 41، ح 29. معارج اليقين في أصول الدين: ص 513، ح 52. تأويل الآيات: ج 2، ص 865 - ص 866، ح 2. غاية المرام: ج 2، ص 275، ح 22، وج 6، ص 87، ح 43، وص 90، ح 51. بحار الأنوار: ج 7، ص 248، ح 2 عن فضائل الشيعة، وج 27، ص 158، ح 3 عن الخصال، وج 36، ص 322، ح 177 عن كفاية الأثر.

2- (2) مستطرفات السرائر: ص 639. التعجب: ص 112. جواهر المطالب: ج 2، ص 158، ح 121. بحار الأنوار: ج 27، ص 58، ح 17 عن المستطرفات.

3- (3) مستطرفات السرائر: ص 640، عنه بحار الأنوار: ج 27، ص 58، ح 18.

وعليه فلا بدّ من التمسك بحبّهم، والتبرى من أعدائهم، وأمّا الخلط بين هذا وذاك، فهذا غير مجزٍ ولا مقبول، وإنّما المقبول والمجزي والنافع هو حبّهم مع التبرى من أعدائهم.

وقد أشار القرآن الكريم من قبل ذلك إلى مودتهم - علاوةً على الدليل الروائي عن طريق الخاصة - حيث قال تعالى: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى) 1 . إذن هذا الفرض وهذه العقيدة مسلمة.

ثمرات حبّ أهل البيت عليهم السلام

ثم إنّ ثمرات حبّ أهل البيت عليهم السلام ملموسة في الدنيا لكلّ إنسان تمسك بولايتهم، وأحبّهم، وأطاعهم، شريطة أن يجمع بين حبّ النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحبّ أهل بيته عليهم السلام، فلا يسوغ لأى إنسان أن يحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحبّ أهل بيته عليهم السلام، حتى ولو قال: إنّ الحديث ناظرٌ إلى الاكتفاء بكل واحد من الحبيّين؛ لأنّه لو قيل: بأن الحديث ناظرٌ إلى أنّ حب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه نافع في هذه المواطن السبعة، فلا يحتاج إلى ضمّ حبّ أهل بيته عليهم السلام معه، وإنّما ذكر حبّ أهل البيت كطريق آخر، وعلة أخرى للنجاة من المواطن السبعة.

فإنّنا نقول: نسلم - جدلاً - ذلك، ولكن الذى يحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا بدّ أن يطيعه، وإلاّ كيف يحبّ إنسانٌ إنساناً آخر ولا يطيعه فى أوامره ونواهيه؛ ولذا ورد فى الحديث القدسى ما رواه المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنّه يحبّنى، فإذا جنّه الليل نام عنى، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟...» (1)، وما ورد عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا:

ص: 172

1- (2) أمالى الشيخ الصدوق: ص 438، ح 1. روضة الواعظين: ص 329، عدّة الداعي: ص 193. محاسبة النفس: ص 82. قصص الأنبياء (الجزائري): ص 342 عن الأمالى. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص 263. بحار الأنوار: ج 13، ص 329، ح 7 عن الأمالى، وكذا ج 67، ص 14، ح 2، وج 84، ص 172، ح 5 عن أعلام الدين. الجواهر السنية: ص 57.

«إِنَّ الْمَحَبَّ لَمَنْ أَحَبَّ مَطِيعٌ» (1).

فحتى لو قلنا بأن حُبَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بوحده كافياً للنجاة من أهوال المواطن السبعة، وهو علة كافية، ولا يحتاج إلى ضمِّ حبِّ أهل البيت عليهم السلام، فلا بدَّ أيضاً من حبِّهم، والتولَّى لهم، والتبرَّى من أعدائهم؛ لأنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أشار في أكثر من حديث إلى حبِّهم، بالإضافة إلى آية المودة المتقدمة، التي وردت على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أنه لا يريد أجراً للرسالة، إلاَّ أجراً واحداً، وهو مودةً قرباه وأهل بيته عليهم السلام.

ولوقلنا: بأنَّ الحديث ناظرٌ إلى عطف حبِّ أهل البيت عليهم السلام على حبِّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى أنَّ حبَّ أهل البيت عليهم السلام مع حبِّ النبي إذا اجتمعاً نفعا في المواطن السبعة، وأما إذا افترقا فلا، فقد خسر المبطلون حينئذٍ؛ فنحن نحبُّ أهل البيت عليهم السلام ونطيعهم مع حبِّنا للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمرنا بحبِّ أهل بيته عليهم السلام وطاعتهم، والتبرَّى من أعدائهم.

وعليه فلا يمكن المصير إلى الفهم الأول؛ إذ لو أراد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأكتفاء بكلِّ حبٍّ على حدة، لما ذكر الحديث بهذه الطريقة التي تقتضي العطف ب (الواو) التي تفيد الجمع والتشريك، وإلاَّ لو أراد المعنى الأول لقال: «حُبِّي أو حبِّ أهل بيتي...»

فحبُّه صلى الله عليه وآله وسلم وحبُّ أهل بيته عليهم السلام ينفع في مواطن لا تحصى في الدنيا، وآثار محبتهم عليهم السلام لا تنقضي، فلو كانت البحار مداداً والشجر أقلاماً، لما أحصوا بركات هذا الحبِّ والولاء، بل حبُّهم عليهم السلام لم يُحد بحدود المؤمن الموالى والمخلص، بل يتعدَّى حتى إلى المشرك.

لكن بلا شكٍّ لِحُبِّ أولياء الله لهم عليهم السلام المنزلة الخاصة؛ ولذا كان أولياء الله يغمى

ص: 173

1- (1) في تحف العقول: ص 294 عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما عرف الله من عصاه وأنشد: تعصى الإله وأنت تُظهر حُبَّه هذا لعمرك في الفعال بديع لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتها إنَّ المُحِبَّ لَمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ»

عليهم إذا ذكرت لهم مصيبة من مصائب أهل البيت عليهم السلام، كما نقل هذا المعنى عن آية الله العظمى السيد البروجردى رحمه الله، أنه كان في منزله يوماً مجلس عزاء، وكان الشيخ الأنصارى القمى هو الخطيب، فصادف أن أنشد قصيدة في فاطمة الزهراء عليها السلام، منها هذا البيت:

ولست أنسى خبر المسمار سل صدرها خزانة الأسرار(1).

فأخذ السيد البروجردى يبكى كثيراً حتى أغمى عليه، فجاء الحاج أحمد، وطلب من الخطيب أن ينهى قراءة التعزية، وأخبره بأن السيد البروجردى قد أغمى عليه(2).

ومن آثار وبركات حُبِّهم والولاء لهم عليهم السلام في الحياة الدنيا، ما نُقل عن المرحوم الحاج آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله قال: «كُنْتُ يوماً عند الميرزا الشيرازى رحمه الله بسامراء أقرأ عليه(3)، وفي أثناء الدرس دخل أستاذنا الكبير آية الله السيد محمد الفشاركى رحمه الله، وعليه آثار الإنكماش؛ نتيجة ظهور مرض الوباء الذى شاع في العراق في ذلك الزمان.

فقال لنا: هل تعرفوننى مُجتهداً أم لا؟ قلنا: نعم. قال: أتعلمونى عادلاً؟ قلنا: نعم. وكان مقصوده أخذ الأقرار والأعتراف مِنّا، هل له شرائط الحكم والفتوى أم لا؟

قال بعد ذلك: أصدر حُكمى إلى كافة شيعة سامراء من الرجال والنساء، أن يقرأ كل واحدٍ منهم كل يوم زيارة عاشوراء نيابة عن والده الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه المُكرّمة تشفع لدى ابنها حضرة ولى الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ليشفع بدوره عند الله المتعال حتى ينجو الشيعة من هذا البلاء.

ص: 174

1- (1) الأنوار القدسية: ص 43.

2- (2) انظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص 581.

3- (3) إشارة لطيفة إلى الطريقة القديمة في المدرسة السامرائية الميرزائية وغيرها في التدريس، وهى: أن طالب العلم يطالع مادة الدرس جيداً، ثم يحضر أمام أستاذه ليشرح الدرس، والأستاذ يصحح للطالب ما إذا اشتبه عليه المطلب، فلذا ترد هذه العبارة (أقرأ عليه) كثيراً في كتب العلماء السابقين (قدس الله أسرارهم).

قال المرحوم الحائري: عندما أصدر هذا الحكم، أطاعه جميع الشيعة من سكنة سامراء، وكانت النتيجة أنه لم يتلف أحدٌ من الشيعة في سامراء، في حين كان يتلف عشرة، أو خمسة عشر يوماً من غير الشيعة من أثر الوباء»(1).

وهذا غيظ من فيضٍ، وقطرة من بحارهم عليهم السلام، وإلا فكرامتهم عليهم السلام وآياتهم لا تحصى.

وهذه آثار حبهم ومولاتهم والإعتقاد بهم في الدنيا ما دام الإنسان حيّاً، وأمّا إذا مات الإنسان فقد قامت قيامته، كما ورد في الحديث الشريف(2).

فيبدأ حبهم وولايتهم للدفاع عن الإنسان في أصعب المواطن وأهولها وأشدّها عظمة على الإنسان.

وأول هذه المواطن هو الموت نفسه، وكفى به هولاً، وكفى به شدةً.

ومن ثمّ الموطن الآخر، وهو القبر، فتأتى ولايتهم عليهم السلام بأبهى صورة وأجمل مثال، كما روى عن أبي بصير، عن أحدهما عليها السلام، قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور، فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئةً، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورةً، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، ويقف (3) التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه، منعتة التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: مَنْ أَنْتُمْ، جزاكم الله عنى خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن

ص: 175

1- (1) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص 580.

2- (2) انظر: التفسير الصافي: ج 1، ص 120. شرح الأسماء الحسنى: ج 2، ص 110. بحار الأنوار: ج 58، ص 7، وج 70، ص 67. تخريج الأحاديث والآثار: ج 1، ص 436. كنز العمال: ج 15، ص 548، وص 686، ح 42748.

3- (3) كذا في المحاسن، وفي البحار: (وتقف)، وهو الأصح.

يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئةً، فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)» (1).

ثم المواطن الأخرى، وهى: عند النشور، والقيام من القبور، والوقوف أمام ربّ العزة والجلال، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

ومثل هذا المعنى أوقرب منه ورد عند زيارة الإمام عليه السلام، ولعلّه من مختصّاته عليه السلام؛ لإختصاصه بجملة من الصفات والكرامات، فقد اختصّ كلّ إمام بجملة من الصفات، دون غيره من آبائه المعصومين عليهم السلام، فهم وإن كانوا كلّهم سفن نجاة، وينابيع رحمة وحكمة، لكن سفينة الحسين عليه السلام أسرع، كما قال الشيخ التستري رحمه الله: «... فالنبي والأئمة عليهم السلام كلّهم أبواب الجنان، لكنّ باب الحسين مسلكه أوسع، وكلّهم سفن النجاة، لكنّ سفينة الحسين مجراها على اللجج الغامرة أسرع، ومرساها على السواحل المُنجية أيسر، وكلّهم مصابيح الهدى، لكنّ محالّ الإستضاءة بنور الحسين أوسع دائرة، وكلّهم الكهف الحصين، لكنّ منهاج كهف الحسين أسهل» (2).

وهكذا، فتقف عند قبر الإمام الرضا عليه السلام وتزوره بتلك الروحية، وتلك النظرة العالية لمضامين هذه الزيارة الشريفة، التي جاء فيها عنه عليه السلام: «من زارنى على بعد دارى وشطون (3) مزارى، أتيتّه يوم القيامة فى ثلاث مواطن؛ حتى أخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت

ص: 176

1- (1) المحاسن: ج 1، ص 288، ح 432. شرح الأخبار: ج 1، ص 224، ح 208، وج 3، ص 458، ح 1341. بحار الأنوار: ج 6، ص 234، ح 50 عن المحاسن.

2- (2) الخصائص الحسينية: ص 10.

3- (3) شطن عنه: بعد، وبثر شطون: بعيدة القعر.

الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان» (1).

ومن ضمن هؤلاء الشيعة الخُلص الذين أكثروا من زيارتهم للإمام الرضا عليه السلام دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله، دخل على الإمام الرضا عليه السلام بمرو، فقال: يا بن رسول الله، إنني قُلْتُ فيكم قصيدةً، وآليت على نفسي أن لا أنشدّها أحداً قبلك، فقال: هاتها يا دعبل، فأشده:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحىٍ مقفر العرصاتِ

إلى أن قال:

أفاطمُ لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشطِ فراتِ

إذن للطمتِ الخدّ فاطمُ عنده وأجريتِ دمع العين في الوجناتِ

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبى نجومَ

مواتٍ بأرضِ فلاتِ قبورٍ بكوفانٍ وأخرى بطيبةٍ

وأخرى بفخٍ نالها صلواتي

فلما انتهيت إلى قولي:

خروجُ إمامٍ لا محالةً خارجُ يقوم على اسمِ الله والبركاتِ

يميز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويجزى على النعماء والنقماتِ

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إلى فقال لي: «يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟».

ص: 177

1- (1) كامل الزيارات: ص 506، ح 4. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص 183، ح 9. الخصال: ص 168. ح 220، عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 285، ح 2. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 584، ح 3189. تهذيب الأحكام: ج 6، ص 85، ح 5. المزار (الشيخ المفيد): ص 195، ح 2. المزار (ابن المشهدي): ص 40، ح 21. روضة الواعظين: ص 235. العقد النضيد والدر الفريد: ص 34، ح 24. معارج اليقين في أصول الدين: ص 92، ح 9. وسائل الشيعة: ج 14، ص 551، ح 2. بحار الأنوار: ج 99، ص 34، ح 13 عن الخصال والأمالى.

فقلت: لا يا سيدى، إلا إني سمعت بخروج إمام منكم، يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً، فقال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمد ابنى، وبعد محمد ابنه على، وبعد على ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى؟ فأخبر عن الوقت، ولقد حدثنى أبى عن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والأرض، لا يأتيكم إلا بغتة»⁽¹⁾.

فلما بلغ دعبل رحمه الله إلى قوله:

«أرى فيهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام، وقال له: صدقت يا خزاعى.

فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه، ويقول: أجل، والله منقبضات.

فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت فى الدنيا وأيام سعيها وإنى لأرجو الأمن بعد وفاتى

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر.

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن فى الغرفات

ص: 178

1- (1) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 297، ح 5. كمال الدين وتمام النعمة: ص 372، ح 6. كفاية الأثر: ص 276. دلائل الإمامة: ص 357 - ص 358، ح 4. بحار الأنوار: ج 49، ص 234 - ص 235، ح 2 عن العيون.

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى، يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الهمم والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذى بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبرى، ولا تتقضى الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتى وزوّارى، ألا فمن زارنى فى غربتى بطوس، كان معى فى درجتى يوم القيامة مغفوراً له...»(1).

حقّاً، فما مضت الأيام والليالي إلّا والإمام فى نعشه محمولاً إلى قبره، والناس ينادون: وإماماه وإماماه، ونحن ننادى أيضاً: وإماماه وإماماه.

مات الرضا وارتجت الفلكة أرض طوس

أوطلت الشيعة امفرّعه أوتلطم على الروس

ورجالها إتنادى على تفداك النفوس

أونسوانها بالدور نصبت له عزّيه

الله يعين امحمّد ابهاذى المصيبة

مرّة يجى الطوس او يرد مرّة الطيبة

يسلى العيلة اللى بگت لجله مريبه

مُتخوفة الغايب جرع كاس المنية

فوكه انحنى إيودعه اويحب خدّه اونحره

لمن غضه نحبه نهض مكسور ظهره

ص: 179

1- (1) عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 295، ح 34. وأنظر: كمال الدين وتمام النعمة: ص 373. بحار الأنوار: ج 49، ص 239، ح 9 عن العيون.

اتوله جهازه اوشيعه ابنفسه الكبره

اورد المدينة اينشف ادموعه الجريه

حضرت كل بنى العباس شيعة نعش أبو محمد

اوچتاله عليه حزنان لاجن بالگلب عید

اوزينب من نخت چتال أخوها إيدفنه اتعند

وآمر عشر خياله يدوسونه من الفرسان

چتاله الغريب ابطوس يوارى ابیده الإمام

اوچتاله غريب الطف يخلونه ثلث تيام

اوزينب تتخى بيهم چنها مادرت ظلام

يرضونه ابجیاد الخيل او لا هاشم يثاره انگوم

لاتشقوا لآل فھر قُبورا فابن طه ملقى بلا إقبار(1)

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص:180

دخل شابٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، علّمني عملاً إذا أنا عملته أحبّني الله والناس، ويكثر مالي، ويصحو بدني، ويطول عمري، ويحشرني الله معك يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الشاب، إذا أردت أن يحبّك الله فخافه واتقه، وإذا أردت أن يحبّك الناس فاقطع الطمع عمّا في أيديهم، وإذا أردت أن يثرى مالك فعليك بالصدقة، وإذا أردت أن يصحّ بدنك فعليك بالصوم، وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك، وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله عزّ وجلّ» (1).

يحتاج الإنسان أن يتعلّم كيف يسأل ومن يسأل، ولا يشغل نفسه ويقضى وقته بما لا فائدة فيه أصلاً أو فائدته قليلة جداً، لا تنفع من علّمها، ولا تضر من جهلها، كما روى الزمخشري «عن قتادة أنّه دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس، فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً، وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسأله فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة...» (2)، فمن المعلوم أنّ معرفة نملة سليمان عليه السلام، وأنها أنثى أم ذكر، لا يقدّم شيئاً ولا يؤخّره.

بخلاف سؤال هذا الشاب، الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه تعلّم، وفهم كيف يسأل، ومن يسأل؟

فإنّه سأل رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو مدينة العلم، والذي لا ينطق عن الهوى، بل

ص: 183

-
- 1- (1) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 268، عنه بحار الأنوار: ج 82، ص 164، ح 12. مستدرک الوسائل: ج 4، ص 472، ح 7.
2- (2) الكشف: ج 3، ص 142.

عن الوحي الذي يوحى إليه. فسأله عن أمور يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن حب الله له، وعن الكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة.

فهذا الشاب سأل عن موجبات هذه الأشياء الستة: (حب الله له، وحب الناس، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة).

فما أجّلها وأعظمها من أشياء، يتمناها كلّ إنسان واعى مُتدبّن، فمن منا لا يرجو ويتمنى حب الله والناس له، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

فأنظر إلى موجبات هذه الأشياء الستة، وهي ستة أيضاً.

الأولى: حب الله توجهه مخافة الله والتقوى

كان السؤال الأول من هذه الأسئلة الستة كيف يحبني الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أردت أن يحبك الله فخافه واتقه. يعني ما يوجب حب الله هو الخوف منه تعالى وتقواه، عزّ شأنه وتقدّست أسماؤه.

أمّا التقوى: فهي - على ما جاء في الروايات (1) - وتقدّم بيان ذلك -: أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإذا كان قد نهى عن الغيبة وشرب الخمر والنميمة والكذب... فالمفروض أن لا يجدنا قريبين منها.

وإذا كان قد أمرنا بالصوم والصلاة والذكر والزكاة وغيرها، فلا يفقدنا عند أوقاتها وأماكنها، كالمساجد ومجالس الذكر مثلاً.

وأمّا الخوف فكلّما كان الإنسان خائفاً من الله كان الله محباً له.

ومن هنا روى بسند معتبر عن الإمام السجاد على بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «كان في

ص: 184

1- (1) فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك». نور البراهين: ج 1، ص 204.

بنى إسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتلّ جازّ له فخاف الموت، فبعث إلى النبّاش، فقال له: كيف كان جوارى لك؟ قال: أحسن جوار. قال: فإنّ لى إليك حاجة، قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفين، فقال: أحب أن تأخذ أحبهما إليك، وإذا دفنت فلا تنبشنى. فامتنع النبّاش من ذلك، وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه. فلم يزل به حتى أخذ أحبهما إليه، ومات الرجل، فلما دُفن قال النبّاش: هذا قد دفن، فما علمه بأنّى تركت كفنه أو أخذته، لآخذنه، فأتى قبره فنبشه، فسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل، ففزع النبّاش من ذلك، فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: أى أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإنّ لى إليكم حاجة. قالوا: قل ما شئت، فإنّا سنصير إليه إن شاء الله.

قال: فأحبّ إذا أنا مت أن تأخذونى فتحرقونى بالنار، فإذا صرت رماداً فدقونى، ثمّ تعمّدوا بى ريحاً عاصفاً، فذروا نصفى فى البرّ، ونصفى فى البحر. قالوا: نفعل. فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به، فلما ذروه قال الله جلّ جلاله للبرّ: أجمع ما فىك. وقال للبحر: أجمع ما فىك. فإذا الرجل قائم بين يدى الله جلّ جلاله. فقال الله عزّ وجلّ: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملنى على ذلك - وعزتك - خوفك. فقال الله جلّ جلاله: فإنى سأرضى خصومك، وقد آمنت خوفك، وغفرت لك» (1).

فأنظر إلى أهمية الخوف وكيف أوجب حبّ الله للعبد، وغفران ذنوبه، وأمانه من ذلك الخوف الذى أعدّه الله تبارك وتعالى للعاصين، الذين لم يخشوه فى هذه الدنيا، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «... لا يجمع الله عزّ وجلّ على عبده خوفين ولا أمنين» (2).

ص: 185

-
- 1- (1) أمالى الشيخ الصدوق: ص 406 - ص 407، ح 3، عنه بحار الأنوار: ج 67، ص 377، ح 22.
 - 2- (2) الخصال: ص 79 ضمن ح 126. التفسير الكبير (الفخر الرازى): ج 3، ص 39. تفسير الثعالبي: ج 5، ص 83. تفسير السمعاني: ج 6، ص 49. فيض القدير: ج 3، ص 32. كنز العمال: ج 3، ص 709، ح 8529.

ثمّ يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للشاب: وأما إذا أردت أن يحبّك الناس فاقطع الطمع عمّا فى أيديهم، يعنى لا يكن عندك طمع فى أحد، وإثما كلّ طمعك بما فى يدى الله تعالى، وعندئذ سوف يحبّك الناس؛ لأنّهم لا يخافون منك إذا أحبّوك أن تأخذ ما فى أيديهم، أو تطلب ما عندهم، فيحبّون علاقتك وصدقتك، ويعلمون أنّها ليست للمال، ولا لأى شىء آخر، بل هى لله تعالى، فالمداواة التى يتصنّعها البعض للبعض الآخر لأجل ماله، لو كانت خالصة ومع الله تبارك وتعالى لأعطت ثمارها.

فعلى الإنسان أن يدارى وجهاً يغنيه عن الوجوه، وإذا داريت وجهه عزّ وجلّ سوف يجعل الله تبارك وتعالى لك ودّاً فى قلوب المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) 1 .

ويوضّح لنا مداواة وجه الله تبارك وتعالى ما روى عن أبى جعفر عليه السلام أنّه قال: «كان فى بنى إسرائيل رجل وكان له بنتان، فزوجهما من رجلين، واحد زّراع، وآخر يعمل الفخار، ثمّ إنّه زارهما، فبدأ بامرأة الزّراع، فقال لها: كيف حالك؟ قالت: قد زرع زوجى زرعاً كثيراً، فإن جاء الله بالسّماء فنحن أحسن بنى إسرائيل حالاً، ثمّ ذهب إلى أخرى (1)، فسألها عن حالها، فقال: قد عمل زوجى فخاراً كثيراً، فإن أمسك الله السّماء عنا، فنحن أحسن بنى إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللهم أنت لهما» (2).

فلاحظ كيف توجه هذا الرجل لله تبارك وتعالى، فهو الذى يقسّم الأرزاق بين العباد.

ص: 186

1- (2) كذا فى المصدر، وفى بحار الأنوار: ج 14، ص 488، ح 3، (الأخرى).

2- (3) قصص الأنبياء (الراوندى): ص 181، ح 211، عنه بحار الأنوار: ج 14، ص 488، ح 3.

وهذه تجارة مع الله تبارك وتعالى لكلّ مَنْ أراد أن يكثر ماله، ومَنْ لا يريد ذلك؟! كلنا - إلا مَنْ ندر - يريد كثرة ماله من حلال؛ حتّى يصل أرحامه، ويقضى حوائج الآخرين به، بقدر الإمكان.

فيقول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الشاب السائل: وإذا أردت أن يثرى مالك فعليك بالصدقة، ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أملكتم فتاجروا الله بالصدقة» (1).

فمَنْ أراد زيادة أمواله وكثرتها بطريق مشروع، فالطريق المشروع هو الصدقة وليس الربا، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ) 2، وقال تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ) 3، فهكذا يتاجر الإنسان مع ربّه، وهو الرباح دائماً وأبداً، ما دام عمله لله تبارك وتعالى.

وهناك آثار عديدة للصدقة اقتصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أحدها، وهو كثرة المال؛ لأنّ السائل كان يريد ما يوجب كثرة المال، فقال له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: الصدقة توجهه، وإلا فآثار الصدقة عديدة، منها: دفع البلاء، ودفع ميتة السوء، واستجابة الدعاء بأوراد مخصوصة، وقضاء الحوائج، وغير ذلك (2).

ص: 187

1- (1) نهج البلاغة: ج 4، ص 57، ح 258، عيون الحكم والمواعظ: ص 135. شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص 193. عدّة الداعي: ص 60. المناقب (الخوارزمي): ص 376. جواهر المطالب: ج 2، ص 154، ح 93. ينابيع المودة: ج 2، ص 246. بحار الأنوار: ج 93، ص 133، ح 66 عن النهج.

2- (4) ففى الكافى الشريف: ج 4، ص 5، ح 2 بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله لا إله إلا هو، ليدفع بالصدقة الداء، والديلة، والحرق، والغرق، والهدم، والجنون، وعدّ صلى الله عليه وآله وسلم سبعين باباً من السوء».

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مرَّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السام عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليك، فقال أصحابه: إنما سلّم عليك بالموت، قال: الموت عليك، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وكذلك رددت. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذا اليهودى يعصّنه أسود فى قفاه فيقتله، قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضعه فوضع الحطب، فإذا أسود فى جوف الحطب عاض على عود، فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلاّ حطّيت هذا احتملته فجئت به، وكان معى كعكتان، فأكلت واحدة، وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بها دفع الله عنه. وقال: إنَّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان»⁽¹⁾.

الرابعة: صحّة البدن يوجبها الصوم

وسأل الشاب عن العمل الذى يوجب صحّة البدن، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: وإذا أردت أن يصحّ بدنك فعليك بالصوم، فالصوم إذن هو العمل الموجب لصحّة البدن.

ومن هنا روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «صوموا تصحّوا»⁽²⁾؛ لأنّ البدن له حقّ على الإنسان، وهو أن يعطيه صاحبه قسطاً من الراحة، وراحته بالنوم وقلة الطعام، بل الإمساك عنه عدّة ساعات؛ حتّى تهدأ هذه الأعضاء عن العمل الذى تقوم به، وبعد ذلك تكون قد تجددت الحيوية فيها.

ويكفى الصوم فضلاً وثواباً، أنّه قد نسبه البارى عزّ وجلّ له، حيث ورد فى الحديث

ص: 188

-
- 1- (1) الكافي: ج 4، ص 5، ح 3، عنه بحار الأنوار: ج 4، ص 121، ح 67، وج 18، ص 21، ح 48.
 - 2- (2) الدعوات: ص 76، ح 179، عنه مستدرک الوسائل: ج 7، ص 502 ضمن ح 11. عوالى اللئالى: ج 1، ص 268، ح 70. الفصول المهمة فى أصول الأئمة: ج 3، ص 233، ح 3. بحار الأنوار: ج 59، ص 267، ح 45، وج 93، ص 255. الجامع الصغير: ج 2، ص 103، ح 5060. العهود المحمّدية: ص 173. كنز العمال: ج 8، ص 450، ح 23605.

القدسى: «الصوم لى وأنا أجزى به» (1). وروى عن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصوم جنة من النار» (2).

وورد فى بعض الأدعية والمناجاة «إلهى رب الصائمين» (3)، وبالفعل إذا كان الصوم - كما ذكرنا - فيه صحة البدن، وأن الله تبارك وتعالى هو الذى يجزى به أو عليه، وأنه وقاية من النار، فكيف لا يكون الصائم رابحاً؟!

والصوم ركن أساسى من أركان هذا الدين الحنيف، وهو نصف الصبر على ما جاء فى بعض الروايات (4)، بل إنَّ البعض من الآيات ذكرت الصبر والمراد به الصوم (5).

ص: 189

1- (1) الكافى: ج 4، ص 63، ح 6. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 75، ح 1773. تهذيب الأحكام: ج 4، ص 152، ح 3. مكارم الأخلاق: ص 138. عدة الداعى: ص 226. الجواهر السنية: ص 161. بحار الأنوار: ج 93، ص 254، وص 255، ح 31 عن مكارم الأخلاق. وسائل الشيعة: ج 10، ص 397، ح 7، ويوجد اختلاف يسير بين المصادر. وأنظر الحديث فى مصادر العاقة: صحيح البخارى: ج 8، ص 197. صحيح مسلم: ج 3، ص 158. سنن النسائى: ج 4، ص 159. صحيح ابن خزيمة: ج 3، ص 198، والحديث مشهور.

2- (2) المصدر نفسه: ج 2، ص 19 ضمن ح 5، وص 24 ضمن ح 15، وج 4، ص 62 ضمن ح 1. المحاسن: ج 1، ص 287، وص 289. فضائل الأشهر الثلاثة: ص 119، ح 117. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 74، ح 1771، وص 75 ضمن ح 1775. تحف العقول: ص 258. تهذيب الأحكام: ج 4، ص 151، ح 1، وص 52، ح 2. تفسير العياشى: ج 1، ص 191. التفسير الصافى: ج 4، ص 156. تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 229، ح 33. بحار الأنوار: ج 65، ص 331 ضمن ح 6 عن الكافى. سنن النسائى: ج 4، ص 167. السنن الكبرى (النسائى): ج 2، ص 94، ح 2540. المعجم الأوسط: ج 1، ص 21. كنز العمال: ج 8، ص 454، ح 23626.

3- (3) لم أعر عليه فى غير مفاتيح الجنان، للمحدث الخبير الشيخ عباس القمى رحمه الله فى صفحة: 236 فى الهامش، ضمن أدعية شهر رمضان المبارك.

4- (4) البيان (الشهيد الأول): ص 222. عوالى اللئالى: ج 1، ص 115، ح 32 وح 33. مسكّن الفؤاد: ص 46. والحديث مشهور فى كتب العاقة، انظر - مثلاً -: مسند أحمد: ج 4، ص 260. سنن الدارمى: ج 1، ص 167. سنن ابن ماجه: ج 1، ص 555، ح 1745. سنن الترمذى: ج 5، ص 197، ح 3585.

5- (5) فى كتاب فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق رحمه الله: ص 122، ح 125 عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى قول الله عزّ وجلّ: () يعنى: الصيام والصلاة.

والمسألة الخامسة التي سألها الشاب هي طول العمر، فسأل هذا الشاب عن الموجب لها ما هو؟

فأجابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بأنَّ موجبها صلة الأرحام، فقال له: «وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك»، وهذه النقطة قد تكلمنا عنها سابقاً بما فيه الكفاية، ولكن نشير إلى ذلك بعض الشيء.

فنقول: صلة الأرحام هي إشراك الإنسان أقربائه بما ناله من خير، سواء كان مالياً أم جاهاً أم علماً أم غير ذلك، من خلال السؤال عن أحوالهم وعبادتهم ومساعدتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، ومشاركتهم في مسراتهم وأحزانهم، ووصلهم ولو بالكلمة الطيبة، فقد روى عن رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ»⁽¹⁾.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين»⁽²⁾.

وقد وردت آثار عديدة في صلة الأرحام، وأحد هذه الآثار هو طول العمر، وهناك آثار أخرى ذكرت في الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام منها: أنها تنفي الفقر، وتعمّر الديار، وتهوّن الحساب، وتقوى ميتة السوء، وتكثر الأموال، وتعصم من الذنوب.

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «صلة الأرحام تزيد في العمر وتنفي الفقر»⁽³⁾، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلة

ص: 190

-
- 1- (1) الكافي: ج 2، ص 152، ح 15، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 121، ح 83. وسائل الشيعة: ج 21، ص 535 - ص 536، ح 11. السنن الكبرى (البيهقي): ج 10، ص 36. كنز العمال: ج 3، ص 363، ح 6956.
 - 2- (2) الكافي: ج 4، ص 10، ح 3. دعائم الإسلام: ج 2، ص 331، ح 1251. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 67، ح 1738. تهذيب الأحكام: ج 4، ص 106، ح 36. مكارم الأخلاق: ص 135، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 311، ح 65. وسائل الشيعة: ج 9، ص 411، ح 2، وج 16، ص 319، ح 5.
 - 3- (3) القواعد والفوائد: ج 2، ص 54، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 118.

الرحم تعمّر الديار» (1)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلة الرحم تُهَوِّن الحساب وتقي ميتة السوء» (2)، وأيضاً صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ القوم ليكونون فجرة، ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم فتتَمي أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة؟!» (3).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ صلة الرحم والبرَّ ليهوِّنان الحساب، ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم، وبروا بإخوانكم، ولو بحسن السلام وردَّ الجواب» (4).

وأهمُّ أثر من هذه الآثار - بحسب نظر الإنسان - هو طول العمر، والشاب سأل عن ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صل أرحامك.

ومن هنا رُوِيَ عن إمامنا أمير المؤمنين على عليه السلام، أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عزَّ وجلَّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها ثلاث سنين...» (5).

وخير شاهد على ذلك ما روى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال لأحد أصحابه واسمه مُيسَّر: «يا مُيسَّر، قد حضر أجلك غير مرَّة ولا مرَّتين، كلَّ ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك» (6).

ص: 191

-
- 1- (1) أمالي الشيخ الطوسي: ص 481 ضمن ح 18، عنه بحار الأنوار: ج 47، ص 163 ضمن ح 3.
 - 2- (2) أمالي الشيخ الطوسي: ص 481 ضمن ح 18، عنه بحار الأنوار: ج 47، ص 163 ضمن ح 3، وج 71، ص 94 ضمن ح 21.
 - 3- (3) الكافي: ج 2، ص 155، ح 21، عنه بحار الأنوار: ج 71، ص 125، ح 88.
 - 4- (4) المصدر السابق: ج 2، ص 157، ح 31. تحف العقول: ص 376. بحار الأنوار: ج 71، ص 131، ح 98 عن الكافي.
 - 5- (5) أمالي الشيخ الطوسي: ص 480، ح 18.
 - 6- (6) الدعوات: ص 125، ح 309. وأنظر: فرج المهموم: ص 119. أعلام الدين: ص 126. بحار الأنوار: ج 71، ص 84، ح 96 عن الدعوات. وسائل الشيعة: ج 9، ص 389، ح 9 وج 21، ص 537، ح 14.

السادسة: الحشر مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوجب طول السجود لله عز وجل.

وسأل الشاب أيضاً عما يجعله محشوراً مع حضرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو غاية المنى، وأمنية كل متمنٍ، فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله عز وجل. فأنظر إلى أثر طول السجود لله تبارك وتعالى في الدنيا، كيف يوجب تلك الأمانة العظيمة، وما أسهله على الإنسان، ولكن يمنعه عن ذلك الشيطان لحسده له؛ لأن الشيطان خرج من الجنة بسبب تكبره وامتناعه من السجود لآدم عليه السلام (1)، فالسجود أشق عبادة عليه - لعنه الله - فإنه إذا رأى إنساناً يسجد لربه، يقول: يا ويحي، أمرني ربي بالسجود فعصيت، وأمر هذا بالسجود فأطاع، ويقول لأبالسته: عليكم أن تشغلوه عن صلاته (2).

ومن هنا قيل: إن سبب تسمية المحراب بهذا الاسم؛ لأنه تقوم حرب بين المصلي والشياطين (3).

وروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: أتدري يا موسى، لم انتجتك من خلقي، واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا، يا رب، فأوحى الله إليه: أتى أطلعت إلى الأرض، فلم أجد عليها أشد تواضعاً لي منك، فخر موسى ساجداً وعفر خديه في التراب تدلاً منه لربه (عز وجل)، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى،

ص: 192

1- (1) قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَّجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) الاعراف: آية 11 - آية 13.

2- (2) ففي الخصال: ص 616 ضمن حديث الأربعمئة المروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قال: «... وأطيلوا السجود، فما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر بالسجود فأطاع فنجأ...».

3- (3) ففي شرح الأزهار: ج 1، ص 194 قال: «وإنما سمي المحراب محراباً لمحاربته الشياطين»، وقريب منه في حاشية رد المختار: ج 1، ص 702.

وامر يدك موضع سجودك، وامسح بها وجهك وما نالتة من بدنك، فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة» (1).

وهكذا يكون السجود لله عز وجل عظيماً دائماً وأبداً.

ولقد جسّد ذلك سيّد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء، فإنّه سجد لله عز وجلّ ولكتّه لم يكتفِ بذلك، بل صار موضعاً لسجود الرماح والسيوف ومحراباً لها، ورحم الله السيد رضا الهندي حيث يقول:

صلّت على جسم الحسين سيوفهم فغدا لساجدة الضبا محرابا

ومضى لهيفاً لا يجد غير القنا ظلاً ولا غير النجيع سرايا

ضمان ذاب فؤاده من غلة لو مسّت الصخر الأصمّ لذابا (2)

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مَحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: 193

1- (1) أمالي الشيخ الطوسي: ص 165، ح 27. علل الشرائع: ج 1، ص 56 - ص 57، ح 2. الجواهر السنية: ص 67. قصص الأنبياء (الجزائري): ص 248 عن الأمالي. تفسير نور الثقلين: ج 2، ص 67، ح 255 عن علل الشرائع. بحار الأنوار: ج 13، ص 7، ح 6 عن أمالي الشيخ الطوسي، وص 8، ح 9 عن العلل، وج 83، ص 199، ح 7 عن مجالس ابن الشيخ. وسائل الشيعة: ج 7، ص 14 - ص 15، ح 3 عن الأمالي.

2- (2) ديوان السيد رضا الهندي رحمه الله: ص 42.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ اغْتَابَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، إِلَّا أَنْ يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ» (1).

الغيبة: هي ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه، ممّا يعدّ نقصاناً في العرف، بقصد الانتقاص والذمّ، أو التنبيه على ما يكره نسبته إليه (2).

ومن هنا يكون التعريف الثاني أعمّ من الأول؛ لأنّ الأول اقتصر على الذكر، وأمّا الثاني فهو يشمل القول والفعل، من كتابة أو إشارة أو غير ذلك، وفيه تنبيه على إظهار نقص الآخرين، ويدخل في ذلك حتّى النحنحة والقهقهة، والإشارة بالعين والحاجب وغيرها.

ثمّ إنّ قد وقع الخلاف بين الأعلام في أخذ قصد الانتقاص في تعريف الغيبة وعدمه، والمسألة المذكورة في الرسائل العملية، والمرجو من المؤمنين الرجوع إليها، كلّ بحسب تقليده.

ذمّ الشارع المقدّس للغيبة

لقد حرّم الشارع المقدّس الغيبة، وشبّه المغتاب بآكل لحم الميت، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: (وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) 3.

وقد وردت روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في بيان بشاعة هذه الصفة وهذا الداء، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مررت ليلة أُسرى بي على قوم يخمشون وجوههم

ص: 197

-
- 1- (1) معارج اليقين في أصول الدين: ص 412، ح 7، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 258، ح 53. ومستدرک الوسائل: ج 7، ص 322، ح 2، وج 9، ص 122، ح 34، مع ذكرهما الكتاب بالاسم الآخر له وهو: جامع الأخبار، فلاحظ.
 - 2- (2) كشف الريبة في أحكام الغيبة، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني: ص 284.

بأظافيرهم، فقلتُ: يا جبرئيلُ مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتالبون الناسَ، ويقعونَ في أعراضِهِمْ» (1).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال: «مَنْ اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومُه، ونقض وضوءه، وجاء يومَ القيامةِ يفوحُ من فيه رائحةُ أتنٍ من الجيفة، يتأذى به أهلُ الموقفِ، وإن ماتَ قبل أن يتوبَ مات مُستحلاً لما حرَّم الله عزَّ وجلَّ» (2).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا نوفُ... اجتنب الغيبة؛ فإنَّها إدام كلاب النار، ثمَّ قال: يا نوفُ كذبَ مَنْ زعمَ أنَّه ولد من حلالٍ، وهو يأكل لحومَ الناسِ بالغيبة...» (3).

وفى الحقيقة هناك روايات ذكرت الغيبة ومساوئها تقشعرُّ منها الأبدان، وتصتكَ منها الأسماع، كما روى أنَّها أشدُّ من الزنا، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «الغيبة أشدُّ من الزنا، فقل: يا رسولَ الله، ولمَ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله» (4)، ولكن نرى الكثير من

ص: 198

1- (1) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج 1، ص 115. بحار الأنوار: ج 72، ص 222. مستدرک الوسائل: ج 9، ص 119، ح 22. وأنظر المصادر التالية: عوالي اللئالي: ج 1، ص 276. مسند أحمد: ج 3، ص 224. سنن أبي داود: ج 2، ص 451، ح 4878. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص 104، ح 165. المعجم الأوسط: ج 1، ص 7، والحديث مشهور في كتب الجمهور، وفي بعضها اختلاف يسير.

2- (2) وسائل الشيعة: ج 12، ص 282، ح 13. بحار الأنوار: ج 73، ص 334.

3- (3) أمالي الشيخ الصدوق: ص 278، ح 9. مشكاة الأنوار: ص 303 مع تقديم وتأخير. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج 2، ص 164. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 187. بحار الأنوار: ج 72، ص 248، ح 13 عن الأمالي، وج 74، ص 383، ح 9 عن الأمالي أيضاً. وسائل الشيعة: ج 12، ص 283، ح 16.

4- (4) الخصال: ص 63، ح 90. علل الشرائع: ج 2، ص 557، ح 1. الاختصاص: ص 226، منية المريد: ص 327. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 93، ح 68. بحار الأنوار: ج 72، ص 242 عن الخصال والعلل. وسائل الشيعة: ج 12، ص 284، ح 18 عن العلل.

الناس من يتساهل فيها، ويشنّع على الزانى، بل على الناظر للأجنبية - وإن كانا محرّمين - أكثر ممّا يفعل المغتتاب نفسه، وكلّ ظنّه بأنّه لم يقل شيئاً إلاّ حقيقة.

فكثيراً ما نسمع من الناس أنّهم يذكرون أشخاصاً ويغتتابونهم، وعندما يقال لهم: بأنّ هذا الكلام غيبة تراهم يجيئونك على الفور: بأنّها حقائق! ظانّين بأنّ الغيبة لا تتناول الحقائق، وهذا عجيب جدّاً؛ إذ الغيبة ليس موردّها إلاّ الحقائق، فعندما يقول شخص عن آخر: بأنّه بخيل، أو أنّه كذاب، أو غير ذلك، وكانت هذه الصفات موجودة فيه بالفعل فهذه هي الغيبة، وأمّا إذا لم تكن موجودة فهذا هو البهتان.

ومن هنا روى يحيى الأزرق، قال: قال لى أبو الحسن عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا عَرَفَهُ النَّاسُ لَمْ يَغْتَبِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ اغْتَابَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ» (1).

والغيبة محرّمة بالإجماع بين المسلمين، بل تُعدّ حرمتها من ضروريات الفقه الإسلامى، وإنّها من المعاصى الكبيرة والموبقات المهلكة، ولشدّة حرمتها لا تتحقّق التوبة منها حتّى يغفرها صاحبها الذى اغتیب، وهذا ما ورد فى الرواية الشريفة المتقدّمة التى بيّنت أنّها أشدّ من الزنا.

قال العلامة المجلسى رحمه الله: «وتحریم الغيبة فى الجملة إجماعى، بل هو كبيرة موبقة؛ للتصريح بالتوعّد عليها بالخصوص فى الكتاب والسنة، وقد نصّ الله على ذمّها فى كتابه، وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة...» (2).

ص: 199

-
- 1- (1) الكافى: ج 2، ص 358، ح 6. التفسير الصافى: ج 5، ص 53، وج 6، ص 523. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 94، ح 71. وسائل الشيعة: ج 12، ص 289، ح 3. بحار الأنوار: ج 72، ص 245، ح 6 عن الكافى.
- 2- (2) بحار الأنوار: ج 72، ص 222.

إن لأعمالنا - واجبة أو محرمة - صوراً وراء الصور التي نراها نحن، وقد أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى هذه الحقيقة.

فمثلاً- عبّر عن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأنهم يأكلون ناراً، حيث يقول تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْعَلُونَ سَعِيرًا) 1 . وعن الذين يتعاملون بالربا أنهم لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، حيث يقول جلّت قدرته: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا) 2 ، إلى غير ذلك. وما هو شاهد كلامنا الغيبة، فقد عبّر عنها الباري عز وجل بأنها أكل الإنسان للحم أخيه الميت.

فهذه صور غيبية وراء صورتها الظاهرية، وقد ذكرت الرويات الشريفة صوراً بشعة متعددة، تصف فيها الغيبة تختلف باختلاف الحثيات.

ومن هذه الصور:

1 - تشبيه مرتكب الغيبة بأكل لحوم إخوانه الموتى، وقد دلّت على هذه الصورة الآية المباركة، حيث قالت: (وَلَا يَغْتَنَّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) 3 .

2 - إن مرتكب هذه الجريمة الموبقة تفوح منه رائحة أنتن من رائحة الجيفة، وقد دلّ على ذلك الحديث المتقدم المروى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم القائل: «مَنْ اغْتَابَ امْرَأً مُسْلِمًا بَطَلَ

صومه، ونقض وضوءه، وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة، يتأذى به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مُستحلاً لما حرّم الله عزّ وجلّ».

3 - إنّ الغيبة هي بنفسها إدام كلاب النار، يعنى أنّ لها صورة أخرى في عالم الغيب تتمثل بها، وهي طعام الكلاب الموجودة في النار، كما جاء ذلك في الحديث المتقدم عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «اجتنب الغيبة؛ فإنّها إدام كلاب النار...». ويمكن تصور وجوهاً أخرى بمتابعة النصوص والآثار، تركنا ذلك للاختصار.

المفاسد المترتبة على الغيبة

قال ثانى الشهيدین رحمه الله: «واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبة، وجعلها أعظم من كثير من المعاصي الكبيرة، هو اشتغالها على المفاسد الكلية المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقى المعاصي؛ فإنّها مستلزمة لمفاسد جزئية.

بيان ذلك: أنّ المقاصد المهمّة للشارع اجتماع النفوس على همٍّ واحدٍ وطريقةٍ واحدة، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوده الأوامر والنواهي، ولا يتم ذلك إلاّ بالتعاون والتعاقد بين أبناء النوع الإنسانى، وذلك يتوقف على اجتماع همّهم، وتصافى بواطنهم، واجتماعهم على الألفة بالمحبّة، حتى يكونوا بمنزلة عبدٍ واحدٍ فى طاعة مولاه، ولن يتم ذلك إلاّ بنفى الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه، وكانت الغيبة من كلّ منهم لأخيه مثيرة لضعفه، ومستدعية منه بمثلها فى حقّه، لاجرم كانت ضد المقصود الكلّى للشارع، وكانت مفسدة كلّية؛ فلذلك أكثر الله ورسوله من النهى عنها، والوعيد عليها»⁽¹⁾.

علاج الغيبة

إنّ هذه الرذيلة - وكما ذكرنا - من أبشع الرذائل والمعاصي، ولا بدّ للإنسان من

ص: 201

1- (1) كشف الرية: ص 289، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثانى رحمه الله.

علاجها قبل ارتحاله من هذا العالم إلى عالم الآخرة الذي لا عمل فيه، وإثماً حساب فحسب، ويقف المرتكب لها في محضر الأنبياء والمرسلين، والأوصياء المنتجبين، والملائكة المُقرّين، نادماً على ما ارتكبه في دار الدنيا، ولات حين مناص، وخسر هنالك المبطلون.

وقد ذكر أهل الأخلاق أنّ هذه الرذيلة وأمثالها يمكن علاجها عن طريق العلم النافع والعمل.

«أما العلم النافع: فهو أن يفكر الإنسان في الآثار النافعة التي تترتب على معالجة هذه الموبقة، ويقارنها مع المضاعفات السيئة، والآثار الشنيعة التي تترتب على الغيبة، ثمّ يعرض كلا الأمرين على العقل، ويستهديه لما فيه الحسن والخير والصالح.

وأما من الناحية العملية: فلا بدّ من كفّ النفس عن هذه المعصية بعض الوقت مهما كان صعباً، ولجم اللسان، والمراقبة الكاملة للنفس، ومعاودة النفس بعدم اقتراف هذه الخطيئة، ومراقبتها والحفاظ عليها ومحاسبتها، حيث يمكن أن يتمّ إصلاح النفس بعد مضي فترة قصيرة بمشيئة الله تعالى، وتستأصل مادة الفساد، ويسهل عليك الأمر قليلاً قليلاً، وبعد فترة تحسّ بأنك تنفر منها بحسب طبيعتك، وتنزجر عنها، ثمّ تكون راحة النفس ومتعتها في ترك هذه المعصية» (1).

ولو تدبّر الإنسان في بشاعة الغيبة من خلال الآيات والروايات المتقدّمة وصورتها الغيبية، لكان ذلك رادعاً حقيقياً له، بل لكلّ إنسان عاقل.

ويكفيه أن يتدبّر في هذا الخبر، وهو ما روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما الناز في اليسر بأسرع من الغيبة في حسنات العبد» (2)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «يؤتى بأحد يوم القيامة، يُوقف بين يدي الربّ عزّ وجلّ ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته فيه، فيقول: إلهي، ليس هذا كتابي، فإني لا أرى فيه حسناتي! فيقال له: إنّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك

ص: 202

1- (1) انظر: الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص 290 - ص 292.

2- (2) كشف الريبة: ص 297، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني رحمه الله. بحار الأنوار: ج 72، ص 229. كشف الخفاء: ج 2، ص 194، ح 2251.

باغتيالِ الناس، ثُمَّ يُؤْتَى بآخرٍ ويُدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فإنّي ما عملت هذه الطاعات، فيقول له: إنَّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك» (1).

وحكى عن بعض العلماء: أنَّ أحداً اغتابه، فسمع بذلك، فجاءه ومعه طبق من الحلوى، وطرق بابه، وقدمها له: فتعجّب ذلك الرجل، وقال: ما المناسبة؟ فقال هذا العالم: لقد وهبت إليّ أعزّ ما عندك؟، وهي حسناتك، فأحببت أن أردّ جميلك هذا بهذا الطبق من الحلوى، فلقد ذهبت حسناتك من سجلّ أعمالك إلى سجلّ أعمالى باغتيالِك إياي (2).

وقد جاء في الروايات الشريفة: «إنَّ الغيبة تَأْكُلُ الحسناتِ، كما تَأْكُلُ النارُ الحطبَ» (3).

فلو تدبّرنا في هذه الأخبار وغيرها التي تكشف القناع عن وجه هذه الموبقة العظيمة، وأنّها تذهب بأهمّ شيء عنده وهي حسناته، لكفانا رادعاً عنها.

وكلّ ما ذكرناه من حرمة الغيبة، وأنّها من الموبقات، وبشاعة صورتها الغيبية، جارٍ في الاستماع للغيبة.

فالمستمع كالفاعل لها بلا فرق من الناحية الشرعية، بل ورد في بعض الروايات أنَّ المستمع مثل المغتاب في كلّ الأمور، حتّى في وجوب التسامح من الذى اغتیب، وأنَّ الاستماع من الكبائر.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «السامع للغيبة أحدُ المغتابين» (4)، وقد علّق

ص: 203

1- (1) معارج اليقين في أصول الدين: ص 412، ح 10، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 259 ضمن حديث 53. مستدرک الوسائل: ج 9، ص 121، ح 30.

2- (2) من المسموعات في مجالس الوعظ عن الأكابر من أعلام الطائفة الحقّة (قدس الله أسرارهم).

3- (3) الرسائل العشر (الشيخ الطوسي رحمه الله): ص 325. مستدرک الوسائل: ج 9، ص 124، ح 42.

4- (4) انظر: أدب المجالسة: ص 95، ح 197. شرح نهج البلاغة: ج 9، ص 65. شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص 156. المناقب (الخوارزمي): ص 375. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج 1، ص 542، وج 2، ص 1185. جواهر المطالب: ج 2، ص 152، ح 71. عيون الحكم والمواعظ: ص 283. شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: ص 37. بحار الأنوار: ج 72، ص 226.

العلامة المجلسي رحمه الله على هذا الكلام بقوله: «ومراده عليه السلام: السامع على قصد الرضا والإيثار لا على وجه الاتفاق، أو مع القدرة على الإنكار ولم يفعل، ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين مشاركتيهما للمغتاب في الرضا، وتكيف ذهنهما بالتصورات المذمومة التي لا ينبغي، وإن اختلفا في أن أحدهما قائل، والآخر قابل، لكن كل واحد منهما صاحب آلة، أما أحدهما فذو لسان يعبر عن نفسٍ قد تنجست بتصور الكذب والحرام والعزم عليه، وأما الآخر فذو سمع تقبل عنه النفس تلك الآثار عن إيثار وسوء اختيار، فتألفها وتعتادها، فتمكن من جوهرها سموم عقارب الباطل، ومن ذلك قيل: السامع شريك القائل، وقد تقدّم في الخبر ما يدلّ عليه. فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلاّ بأن ينكر بلسانه، فإن خاف، فبقلبه، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه، ولو قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي ذلك بقلبه، فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة، لا يخرج عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: مَنْ أذَلَّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذّله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يرّدّ عن عرضه يوم القيامة. وقال أيضاً: مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقه من النار» (1).

وروى أنّه نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى رجلٍ يغتاب رجلاً عند الحسن ابنه عليه السلام فقال: «يا بُنَيَّ نَرَهُ سمعك عن مثل هذا؛ فإنّه نظر إلى أخبث ما في وعائه، فأفرغه في وعائك» (2)، بل في

ص: 204

-
- 1- (1) بحار الأنوار: ج 72، ص 226.
 - 2- (2) الإختصاص: ص 225. شرح نهج البلاغة: ج 20، ص 281، ح 230، ضمن الحكم المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار: ج 72، ص 259، ح 54 عن الإختصاص.

بعض الروايات ورد الحث على وجوب ردّ الغيبة.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ غَيْبَةً سَمِعَهَا فِي مَجْلِسٍ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَنْهُ (وَأَعْجَبَهُ) كَانَ عَلَيْهِ كَوْزَرٌ مَنِ اغْتَابَ» (1).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ اغْتَيْبَ عَنْهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنَ فَنَصَرَهُ وَأَعَانَهُ، نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَنْصُرْهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرَتِهِ وَعَوْنِهِ، خَفَضَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (2).

كفارة الغيبة

وإذا تورطنا - لا سمح الله - بهذه الموبقة العظيمة، والجريئة الكبيرة، لزم علينا المبادرة إلى إصلاح ما أفسدناه، والندم والتوبة فوراً، والتأسف على ما جنيناه.

وقد ذكر العلماء الأعلام أنّ الاستغفار بوحده غير كافٍ، بل لا بدّ من ضميمة معه، وهذه الضميمة قد أشارت إليها بعض الروايات، وقد ذكرنا بعضها، ومنها: الرواية التي جعلت الغيبة أشدّ من الزنا، المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغيبة أشدّ من الزنا، فقل: يا رسول الله، ولمّ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله»، وهذه الأشدية ناتجة عن هذه الضميمة، أعني: (حتى يكون صاحبه الذي يحله).

قال الشهيد الثاني رحمه الله: «وقد ورد في كفارتها حديثان: أحدهما: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كفارة من

ص: 205

-
- 1- (1) ثواب الأعمال: ص 284. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 15. مكارم الأخلاق: ص 430. مستطرفات السرائر: ص 624. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 94، ح 76 عن مَنْ لا يحضره الفقيه. بحار الأنوار: ج 72، ص 226. وسائل الشيعة: ج 12، ص 282، ح 13.
 - 2- (2) المحاسن: ج 1، ص 103، ح 81. ثواب الأعمال: ص 148. مشكاة الأنوار: ص 331. بحار الأنوار: ج 72، ص 226.

استغْبِته أن تستغفر له. والثاني: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فيزيد على سيئاته. ويمكن أن يكون طريق الجمع حمل الاستغفار له على مَنْ لم يبلغ عيبة المغتاب، فينبغي الاقتصار على الدعاء له والاستغفار؛ لأنَّ في محالته إثارة للفتنة وجلباً للضغائن، وفي حكم مَنْ لم يبلغه مَنْ لم يقدر على الوصول إليه، بموت أو غيبة، وحمل المحالة على مَنْ يمكن التوصل إليه مع بلوغه الغيبة. ويستحب للمعتذر إليه قبول العذر والمحالة استحباباً مؤكداً...» (1).

وقد ضرب أهل البيت عليهم السلام أروع الأمثلة في قبول العذر والصفح حتى عن أعدى أعدائهم، لكن تعال سلني هل عرف أعداؤهم هذا المعنى الجميل، واللفظ الجليل؟! لا والله، بل قابلوا الإحسان بالإساءة، الله أكبر!

وعليك خزي يا أُمِّيَّة دائماً يبقى كما في النار دام بقاك

هلا صفحت عن الحسين ورهطه صفح الوصي أبيه عن أباك؟

وعففت يوم الطف عفة جدّه المبعوث يوم الفتح عن طلقاك؟

أفهل يدٌ سلبت إماءك مثلما سلبت كريمات الحسين يداك؟

أم هل برزن بفتح مكة حُسراً كنسائه يوم الطفوف نساك؟ (2)

إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: 206

1- (1) كشف الريبة: ص 321، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني رحمه الله، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 243.

2- (2) الغدير: ج 6، ص 381. والأبيات من قصيدة رائعة للشيخ على الشفهي رحمه الله.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) 1 .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بعث رسوله المصطفى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الكتاب الكريم إلى الناس كافة؛ لأجل هدايتهم وتذكيرهم بالمخزون الفطري الذي أودعه الله تبارك وتعالى فيهم، وهذا القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم (1) ، جاءنا بأوامر ونواهي فيها كمألفنا ورقيننا، وهناك من الآيات الشريفة ما اشتمل على أكثر من أمر ونهي، ولو سألفنا سائل عن أوامر الله ونواهيها ما هي؟ وأراد منا جواباً مختصراً ومفيداً، لكان الجواب هذه الآية المباركة؛ لأن هذه الآية جمعت بين صنفوف المواعظ، وروائع الحكم وغررها، فجاءتنا بست مواعظ (2) ، أمرتنا بثلاث منها، ونهتتنا عن ثلاث أخرى.

أشمل آيات الخير والشر هذه الآية المباركة

إِنَّ محتوى هذه الآية المباركة له من قوّة التأثير ما جعل كثيراً من الناس يصبحون مسلمين على بينة من أمرهم، وها هو عثمان بن مظعون رحمه الله أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كنتُ أسلمتُ استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لكثرة ما كان يعرضُ عليَّ الإسلام، ولما يقرّر الإسلامُ في قلبي، فكنتُ ذات يومٍ عنده، حال تأمله، فشخص بصره نحو السماء، كأنّه

ص: 209

1- (2) إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء: آية 283.

2- (3) بناءً على شمول لفظ الموعظة للثلاثة التي نهتتنا عنها الآية الشريفة، كما هو صريحها، حيث قالت: (يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

يستفهم شيئاً، فلما سرى عنه، سأله عن حاله، فقال: نعم بينا أنا أحدثك، إذ رأيتُ جبرائيلَ في الهواء، فأتاني بهذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). وقرأها عليّ إلى آخرها. فقرّر الإسلامُ في قلبي. وأتيتُ عمّه أبا طالب فأخبرته، فقال: يا آلَ قُريش، اتبعوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم ترشدوا، فإنه لا يأمركم إلاّ بمكارم الأخلاق. وأتيت الوليد بن المغيرة، وقرأت عليه هذه الآية، فقال: إن كان مُحَمَّدٌ قاله فنعم ما قال، وإن قاله ربّه فنعم ما قال «(1)».

وروى عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «جماعُ التقوى في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)» 2.

فهذه الآية هي أكمل برنامج للفرد والمجتمع بصورة عامّة

فتقول في الموعظة الأولى من مواعظها الست: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ).

فما هو العدل؟

العدل: هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمة الوجود، حتى السماوات والأرض، فهي قائمة على أساس العدل، وهو ضد الجور، والاعتدال هو التوسط (2).

أقسام العدل

للعدل عدّة أقسام، ولكن كتقسيمٍ أولى فهو ينقسم إلى قسمين:

العدل العام: وهو عدل الحكّام والملوك والأمراء.

ص: 210

1- (1) تفسير مجمع البيان: ج 6، ص 192. تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 78، ح 195. وأنظر: تفسير النسفي: ج 2، ص 268.

2- (3) انظر: تفسير الأمثل: ج 8، ص 299.

والعدل الخاص: وهو العدل بين أفراد العائلة، وبين الزوجات وبين الأبناء.

وينقسم من جهة أخرى ولحاظ آخر إلى العدل في الفعل، والعدل في القول.

فأما العدل في القول، فقد قال تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) 1، فحينما يريد الإنسان التدخل في مسألة نزاعية لا بدّ عليه من القول بالعدل.

وهكذا إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال كالإنفاق كان عليه ذلك، قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) 2.

ولحسن حظ العدل أنّ الكل يدّعيه؛ فأنت لا ترى حاكماً من الحكّام، أو سلطاناً من السلاطين يريد أن يصل إلى هدفه ومبتغاه إلاّ وقّدم لذلك شعار العدل؛ ليكون مطيّته للوصول إلى أغراضه الخسيسة أو الشريفة.

وهذا المفهوم من المفاهيم الواسعة والشاملة لجميع مرافق الحياة.

فالعدل في الشجاعة الحدّ الوسط بين الجبن والتهور، والعدل في الإنفاق الحدّ الوسط بين الإسراف والتقتير، وهكذا يمكن القول بأنّه محور الحياة وواقعها.

ثمّ قالت: (والإحسان) يعنى يأمر بالإحسان، فالكلمة معطوفة على العدل، كما هو واضح.

ما هو الإحسان؟

الإحسان هو مرتبة عالية، وخُلِقَ رفيع يأمرنا به البارى عزّ وجلّ، فهو تفضّل؛ ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «العدل الإنصاف، والإحسان التفضّل» (1). وهو اسم جامع

ص: 211

1- (3) نهج البلاغة: ج 4، ص 51، ح 231. تفسير القرطبي: ج 10، ص 165. التفسير الصافي: ج 3، ص 151، بحار الأنوار: ج 72، ص 29، ح 21 عن النهج.

وسيرة الأئمة عليهم السلام حافلة بذلك من العفو عمّن ظلمهم، والرحمة لمن عاداهم، وقضاء حوائج المحتاجين، إلى غير ذلك.

ومن قصص الإحسان مارواه القندوزي، عن أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الملتقط حيث قال: «كان يبلّخ (1) رجل من العلويين وله زوجة وبنات، فتوفى الرجل، فخرجت المرأة بالبنات إلى سَمَرْقند (2) خوفاً من الأعداء، فأدخلت البنات مسجداً في شدة البرد، فمضت في سكك البلد، فرأت الناس مجتمعين على شيخ هو شيخ البلد، فقالت له حالها. فقال لها الشيخ: أقيمى عندنا البينة أنك علوية، فيئست منه، وعادت إلى المسجد فرأت شيخاً على دكان وحوله جماعة، وهو مجوسي، فشرحت حالها له فقال لخدمته: قل لسيدتك: إذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدار. فجاءت البنات فاسكنهن في دار مفرد، وكساهن ثياباً نفيسة، وأطعمهن أطعمة لطيفة. فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه قصراً من الزمرد الأخضر، فقال: لمن هذا القصر؟ فقل: لرجل مسلم. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم. فقال له: أقم البينة عندى أنك مسلم، ونسيت ما قلت للعلوية؟! وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره. فانتبه الرجل (وهو) يبكي فأخبر أنّها في دار المجوسي، فجاء إليه قال: إني أريد أن أضيفها. قال

ص: 212

-
- 1- (1) في معجم البلدان: ج 1، ص 479 «بلخ مدينة مشهورة بخراسان... من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم. وقيل: إنّ أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بخت نصر بيت المقدس. وقيل: بل الإسكندر بناها، وكانت تسمى الإسكندرية قديماً، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً».
- 2- (2) وفيه أيضاً (ج 3، ص 248) قال: «سَمَرْقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر، وهو قصبه الصغد مبنية على جنوبي وادى الصغد مرتفعة عليه».

المجوسى: ما إلى هذا سبيل. قال: هذه ألف دينار خذها وتسلمهن إلى. فقال: لا والله، ولا بمائة ألف. فلما ألحَّ عليه قال له: المنام الذى رأيته، أنا أيضاً رأيته، وذلك القصر خلق لى، والله ما أحد فى دارى إلا وقد أسلموا معى ببركات العلوية، ورأيت النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: القصر لك ولأهلك لما فعلت بالعلوية من الاحترام»(1).

هذا كله بالنسبة إلى الموعظة الثانية التى أمرتنا بها الآية المباركة.

ثم قالت الآية: (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى).

ما هو الإيتاء لذى القربى؟

إنَّ مسألة إيتاء ذى القربى من المسائل التى تدرج تحت مفهوم الإحسان؛ لأنَّ من ضمن مصاديق الإحسان هو مساعدة وإيتاء ذى القربى، سواء كان إيتاء على صعيد المال أم غيره.

ولكن الفرق الواضح بين الإحسان والإيتاء هو أنَّ الأوَّل عام، ويشمل جميع طبقات المجتمع، بخلاف الثانى فهو مخصوص بفئة معينة، وهم ذو القربى، وبلحاظ أنَّ المجتمع يتألف من مجموعات صغيرة، فكلَّما حصل انسجام واندماج على مستوى هذه المجموعات سوف يحصل اندماج على مستوى المجتمع الأُمِّ؛ لأنَّ ذلك يستلزم من كلِّ مجموعة صغيرة أن تمدَّ يد العون إلى المجموعة الأخرى من أقربائها، ممَّا يؤدَّى أخيراً إلى شمول العون لجميع الضُّعفاء والمعوزين.

وقد وردت بعض الروايات تُبيِّن أنَّ المقصود بذى القربى هم أهل بيت النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذريته من الأئمة عليهم السلام، والمقصود بـ (إيتاء ذى القربى) هو أداء الخمس إليهم عليهم السلام(2). ولكن مع هذا يمكن التمسك بالإطلاق الموجود فى الآية لكلِّ قرابة، ويحمل ما فى الرواية على

ص: 213

1- (1) ينابيع المودة: ج 3، ص 177.

2- (2) انظر: تفسير الأمثل: ج 8، ص 299.

أظهر المصاديق، وهم أهل البيت عليهم السلام وذريتهم الأطهار.

وبعدما ذكرت الآية المواعظ التي أمرتنا بها، وهى: (العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)، انتقلت إلى المواعظ التي نهتتنا عنها، أو قل: الأصول السلبيه الثلاث، وهى: (الفحشاء والمنكر والبغى)، فقالت: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ).

وقد ذكر المُفسِّرون كلاماً كثيراً حول هذه المصطلحات الثلاث، ويمكن تلخيص ذلك بما يلى:

إنَّ الفحشاء إشارة الى الذنوب الخفية، والمنكر إشارة إلى الذنوب العلنية، والبغى إشارة إلى كل ما يتجاوز على حقوق الإنسان، وظلم الآخرين، والاستعلاء عليهم⁽¹⁾.

ومن هنا قال البعض: «وأما الثلاثة التى نهى الله عنها، وهى الفحشاء والمنكر والبغى فنقول: إنَّه تعالى أودع فى النفس البشرية قوى أربعة، وهى الشهوانية البهيمية، والعصبية السُّبعية، والوهمية الشيطانية، والعقلية الملكية، وهذه القوى الأربع أعنى: العقلية الملكية لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها؛ لأنَّها من جواهر الملائكة، ومن نتائج الأرواح القدسية العلوية، إنَّما المحتاج إلى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة الأولى.

أما القوى الشهوانية، فهى إنَّما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوانية، وهذا النوع مخصوص باسم الفحش، ألا ترى أنَّه تعالى سمى الزنا فاحشة، فقال: (إنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)، فقوله تعالى: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة، وأما القوى الغضبية السُّبعية فهى أبداً تسعى فى إيصال الشرِّ والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس، ولا شكَّ أنَّ الناس ينكرون تلك الحالة، فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل فى آثار القوى الغضبية.

وأما القوة الوهمية الشيطانية فهى أبداً تسعى فى الاستعلاء على الناس والترفع

ص: 214

وإظهار الرياسة والتقدم، وذلك هو المراد من البغى، فإنه لا معنى للبغى إلا التطاول على الناس والترفع عليهم، فظهر بما ذكرنا أن هذه الألفاظ الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة، ومن العجائب فى هذا الباب أن العقلاء قالوا: أحسن هذه القوى الثلاثة هى الشهوانية، وأوسطها الغضبية، وأعلاها الوهمية. والله تعالى راعى هذا الترتيب، فبدأ بالفحشاء التى هى نتيجة القوة الشهوانية، ثم بالمنكر الذى هو نتيجة القوة الغضبية، ثم بالبغى الذى هو نتيجة القوة الوهمية»(1).

وفى آخر الآية المباركة يأتى التأكيد مجدداً على أهمية هذه الأصول الستة: بقوله تعالى (يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

وبالفعل فإن إحياء هذه الأصول الثلاثة: (العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)، ومكافحة الانحرافات الثلاث: (الفحشاء والمنكر والبغى) على صعيد العالم كفى بأن يجعل الدنيا عامرة بالخير، وهادئة من كل اضطراب، وخالية من أى سوء وفساد، وعلى العكس تماماً ما لو ترك العمل بهذه المواعظ الست؛ فإن الدنيا سوف تكون خربة، ومملوءة بالشر، ومضطربة أشد الاضطراب، ومنغمسة بالسوء والفساد، وذلك واضح ويّين بين الفترة التى تسلم فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم، وبين الفترة التى ملك بها آل مروان، وبنو أمية، وآل أبى سفيان، وبنو العباس، حتى أنهم جرّوا آل نبيهم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وشتوهم.

بعض بطيئة مدفون وبعضهم بكرلاء وبعض بالغريين

وأرض طوس وسامراء وقد ضمنت بغداد بدرين حلاً وسط قبرين (2)

ص: 215

1- (1) التفسير الكبير (تفسير الرازى): ج 20، ص 104.

2- (2) البيتان من قصيدة رائعة لابن حماد العبدى رحمه الله من أعلام القرن الرابع الهجرى. انظر: الغدير: ج 4، ص 153 - ص 163.

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: 216

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) 1 .

تناولت هاتان الآيتان مفهوماً لطالما تناول به أعداؤنا علينا؛ ليشنّوا ويهرجوا هنا وهناك لا لشيء، إلا لأنّ هذا الموضوع لا ينسجم مع مبتنياتهم الفكرية، وأخلاقهم المنحطّة، وأوصافهم الرذيلة التى ترفع عنها حتّى بعض الحيوانات، فضلاً عن بنى البشر، وهذا المفهوم والموضوع هو الحجاب.

ما هو الحجاب؟

«كلُّ شيء منع شيئاً من شيء فقد حجبه حجباً» (1) و «الحجاب: الستر» (2).

وأما اصطلاحاً: فهو أن تستر المرأة جميع بدنّها، وأمّا الوجه والكفان فيجب سترهما إذا كانت فى الوجه أو اليدين زينة، أو كان هناك ناظر ينظر إليها بلذّة أو ريبة، أو كان هناك خوف من الوقوع فى الفتنة.

الحجاب فى قديم الزمان

قالوا: إنّ عادة احتجاب النساء قديمة جدّاً، فكانت هذه العادة موجودة عند نساء اليونانيين القدماء، فكأنّ يحجبن وجوههنّ بطرف مآزرهنّ، أو بحجابٍ خاصٍ كان يصنع فى بعض البلاد.

ص: 219

1- (2) كتاب العين: ج 3، ص 86.

2- (3) الصحاح: ج 1، ص 107.

وقال لاروس في كتابه دائرة المعارف: «كان نساء الرومان مغاليات في الحجاب، لدرجة أنَّ القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها إلاَّ مخفورة ملتمة باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يلامس الكعبيين، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها»⁽¹⁾.

وأما العرب فهم من الأمم التي كانت عادة الحجاب متأصلة فيها من القدم، وهو الذي يتبادر إلى الذهن من أمّة كان من رجالها من يتلثمون. ولكن يظهر أنَّ هناك من النساء الساقطات كنَّ يسفرن للرجال ويتبرجنَّ لهم، فنزلت بعض الآيات القرآنية تحتّ على الحجاب، ومنها الآيتان اللتان افتتحنا بهما الحديث.

سبب نزول هذه الآية

جاء في سبب نزول هذه الآية المباركة رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال فيها: «استقبل شاب من الأنصار امرأةً بالمدينة، وكان النساء يتقنعنَّ خلفَ آذانهنَّ، فنظر إليها وهي مقبلة، فلمّا جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه بنى فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظمٌ في الحائط أو زجاجة فشقَّ وجهه، فلمّا مضت المرأة فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لا آتينَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أخبرنه قال: فأتاه فلمّا رآه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ما هذا؟ فأخبره فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)»².

لماذا الحجاب؟

أوجبَ الله تبارك وتعالى الحجابَ على المرأة، كما أوجب غَضَّ النظر عليها وعلى الرجل على حدٍّ سواء، ولكن قد يسأل سائل: أنّه لماذا الحجاب،

ص: 220

1- (1) قرأته في مصدر ونقلته منه، ولم يحضرني الآن أي كتاب هو، وليست دائرة المعارف بين يدي الآن.

أو ليس هذا معناه تقييد للمرأة وإذلال لها؟

والجواب عن مثل هذه الأسئلة التي تطرح هنا وهناك هو: أن الله تبارك وتعالى لا يوجب شيئاً أو يحرمه إلا وفيه مصلحة شديدة للإنسان فعلاً أو تركاً، ومصلحة الحجاب للمرأة ملموسة وواضحة؛ فإنَّ المرأة في نظر الإسلام جوهرة ثمينة، ونصف المجتمع الآخر، فالشارع يهتم بها كثيراً، فأراد أن يحفظها من الأعين الخائنة، والقلوب المريضة، والأيدى الآثمة، كما يحافظ صاحب الكنز على كنزه، وذلك عن طريق الحجاب الإسلامى، الذى يحفظ هيبتها وماء وجهها.

أمّا المرأة التى لا- يهتم بها الشارع ولا يعتمد عليها، فتلك المرأة السافرة التى ينظر إليها الجميع، حالها حال الثوب المعروض فى واجهة المحلات، فهى أشبه شىءٍ بالحجارة الى يدوسها الجميع، لا أنها جوهرة ثمينة، وكنز ثمين، كما هو الحال فى المرأة المحجبة.

والملفت للنظر أنّ الإنسان بطبيعته وفطرته السليمة لا- يميل إلى المرأة الباذلة لنفسها والعارضة لها فى الأسواق، وهذا الكلام ملموس ومحسوس حتّى عند فسقة الناس، فتراهم اذا أرادوا الإقتران بامرأة، تقصّوا البيوت الطاهرة العفيفة، مع أنّهم ليس لهم من العفة شىء.

فإذن الهدف من الحجاب هو حماية المرأة، وسدّ المنافذ أمام عملية استغلالها، واستدراجها نحو السقوط فى مستنقع الرذيلة، وتحويلها إلى أداة لتميع المجتمع من حولها، وبالتالي تدميره، فبذهاب عفاف المرأة تدمر الأسرة الإسلامية، وتدمر الأسرة يُدمر المجتمع وينهار، كما هو واضح فى المجتمعات الأخرى.

فحوى الآيتين ومحتواهما

تقول الآية الأولى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ، ومعناه التقيص وتقليل النظر، فالآية لم تأمر المؤمنين بأن يغمضوا عيونهم، وإنما أمرت بغضّها.

ص:221

وهذا التعبير الرائع جاء لينفى غلق العيون بشكل تام، بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرد مشاهدته امرأة ليست من محارمه، فالواجب عليه أن لا يدقق النظر فيها، بل أن يرمى ببصره إلى الأرض أو إلى جهة أخرى، وحينئذ يصدق عليه أنه غَضَّ من بصره.

ثمَّ قالت الآية: (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ، وهذا هو الحكم الآخر الذى أشارت إليه الآية المباركة، والمقصود من الفرج العورة، وحفظه معناه تغطيته عن الأنظار، وقد جاء فى الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كُلَّ آيَةٍ فى القرآن فى ذكر الفُرُوجِ فهى من الزنا، إلاَّ هذه الآية، فإنَّها من النظر» (1).

ثمَّ تُحذِّر الآية أولئك الذين ينظرون بشهوة إلى النساء، ويبررون عملهم هذا بأنه غير متعمد، تحذرهم بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

وتناولت الآية الثانية شرح واجبات النساء فى هذا المجال، فأشارت أولاً إلى الواجبات التى تشترك فيها مع الرجال، فقالت: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ).

وبهذا حرّم الله النظر بريبة على النساء أيضاً، مثلما حرّمه على الرجال وفرض تغطية فروجهن عن أنظار الرجال والنساء، مثلما جعل ذلك واجباً على الرجال، ثمَّ أشارت الآية إلى مسألة الحجاب فى قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) ، وقال بعض المفسّرين: أنَّ المقصود بالمنع فى هذا المقطع هو المنع عن أدوات الزينة عندما تكون على الجسم، وبالطبع يكون الكشف عن هذه الزينة مرادفاً للكشف عن ذلك الجزء من الجسم (2).

ص: 222

1- (1) تفسير القمى: ج 2، ص 101. التفسير الآصفى: ج 2، ص 843. التفسير الصافى: ج 3، ص 429. بحار الأنوار: ج 101، ص 33، ح 5 عن تفسير القمى.

2- (2) انظر: تفسير الأمل: ج 11، ص 77.

ولعل السبب يعود إلى أنَّه بالزينة تحصل الإثارة والإفتتان المحرّم، فالشارع قطع الفتنة من رأسها؛ وذلك عن طريق المنع من إظهار الزينة، وعلى هذا الأساس فلا يحقّ للنساء الكشف عن زينتهن المخفية، وإن كانت لا تُظهر أجسامهن، أى لا يجوز لهنّ الكشف عن لباس يتزيّن به تحت اللباس العادى أو العباءة، بنصّ القرآن الذين نهاهن عن ذلك.

وذكرت الروايات التى رويت عن أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى، فقد فسّروا الزينة المخفية بالقلادة والدُمْلَج والخلخال والحلى التى تُشدّ أعلى الساعد.

وقد فسّرت أحاديث عديدة أخرى الزينة الظاهرة بالخاتم، والكحل وأمثاله، لهذا نفهم بأنّ المراد من الزينة المخفية الزينة التى تحت الحجاب(1).

وثانى حكم ذكرته الآية هو: (وَلْيَضْحَكُنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) وكلمة (خُمْر) جمع خمار، وهو الغطاء، إلّا أنّه يستعمل فى الشىء الذى تستخدمه النساء لتغطية الرأس، (والجيوب) جمع جيب، بمعنى ياقة القميص، وأحياناً يطلق على الجزء الذى يحيط بأعلى الياقة المجاورة لها(2).

ويستنتج من هذه الآية أن النساء كنّ قبل نزول الآية يرمين أطراف الخمار على أكتافهن، أو خلف الرأس، بشكل يكشفنّ فيه عن الرقبة وجانباً من الصدر، فأمرهنّ القرآن برمى أطراف الخمار حول أعناقهن، أى: فوق ياقة القميص؛ ليسترنّ بذلك الرقبة والجزء المكشوف من الصدر.

ونحن نرى أنّ سيرة أهل البيت عليهم السلام - رجالاً ونساءً - كانوا أوّل الناس عملاً بهذه الآية المباركة.

فهذه الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تفكّر حتى بنعشها، فعن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت لها: «إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء

ص: 223

1- (1) انظر: مستدرک الوسائل: ج 14، ص 276، ح 3.

2- (2) انظر: تفسير الأمثل: ج 11، ص 78.

أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى»، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله، أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجريدة رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السلام: «ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل» (1).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها عليهما السلام: «أى شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمتها إليه وقال: ذرية بعضُها من بعض» (2).

وهكذا كانت ابنتها الحوراء زينب عليها السلام، فيقول يحيى المازنى: «جاورت أمير المؤمنين عليه السلام فى المدينة المنورة مُدَّةً مديدةً، وبالقرب من البيت الذى تسكنه السيدة زينب ابنته، فلا والله، ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها صلى الله عليه وآله وسلم تخرج ليلاً، الحسنُ عن يمينها والحسينُ عن شمالها، وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين عليه السلام، فأحمد ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسنُ عليه السلام مرَّةً عن ذلك، فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحدٌ إلى شخصٍ أخيكَ زينب» (3).

وروى «أنَّ فاطمة الصغرى قالت: كنتُ واقفةً بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبى وأصحابه معجزين كالأضاحى على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبى من بنى أمية، أيقتلونا أو يأسرونا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق

ص: 224

1- (1) () كشف الغمّة: ج 2، ص 126. ذخائر العقبى: ص 53. أسد الغابة: ج 5، ص 524. سير أعلام النبلاء: ج 2، ص 128 - ص 129. تاريخ الإسلام: ج 3، ص 48. السنن الكبرى: ج 4، ص 34. الذرية الطاهرة: ص 153 - ص 154، ح 205. الاستيعاب: ج 4، ص 1897. نصب الراية: ج 2، ص 298. كنز العمال: ج 13، ص 686، ح 37756. سبل الهدى والرشاد: ج 11، ص 49 - ص 50. بحار الأنوار: ج 43، ص 189.

2- (2) مناقب آل أبى طالب: ج 3، ص 119. دعائم الإسلام: ج 2، ص 215، ح 793. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج 2، ص 210 - ص 211، ح 680. التحفة السننية (مخطوط): ص 218. بحار الأنوار: ج 43، ص 84. مجمع الزوائد: ج 4، ص 255. كنز العمال: ج 16، ص 601، ح 46011، ومواضع أخرى، سبل الهدى والرشاد: ج 11، ص 45.

3- (3) العقيلة والفواطم: ص 17 - ص 18. وفيات الأئمة: ص 435 - ص 436.

النساء بكعب رمح، وهن يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أحمر وأسود، وهن يصحن: وا جداه، وا أبتاه وا عليّاه، وا قلة ناصراه، وا حسناه، أما من مجير يُجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنا؟

قالت: فطار فؤادي وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أم كلثوم خشيةً منه أن يأتيني. فبينما أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني ففررت منهزمة، وأنا أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشيةً منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطى ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس، وولى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشّى علىّ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقمت وقلت: يا عمّناه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك فرأيتُ رأسها مكشوفةً، ومنتها قد اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلاّ وهي قد نُهبَت وما فيها، وأخى عليّ بن الحسين مكبوباً على وجهه، لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا»(1).

ولم يكتفوا بذلك حتى اركبوهنّ على تلك النياق الهزل، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد.

وزادت البنت على أمّها من دارها تُهدى إلى شرّ دار

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلُ مُحَمَّدٍ أنّهم مُنقلبٌ ينقلبون

والعاقبة للمتّقين.

ص: 225

قال تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) 1 .

محتوى السورة ونزولها

محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن في ليلة القدر، وبيان أهمية هذه الليلة وبركاتها.

واختلف المفسّرون في كونها مكّية أو مدنية، فذهب المشهور إلى أنّها مكّية، واحتمل البعض أنّها مدنية؛ مستشهداً بما روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه رأى في منامه (بنى أمّية) ينزون على منبره صلى الله عليه وآله وسلم، فشقّ عليه ذلك وآلمه، فنزلت سورة القدر تسليّة له صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا قيل: «أنّ المقصود بالألف شهر في هذه السورة المباركة هو الإشارة إلى مدّة حكم بنى أمّية التي تجاوزت ثمانين سنة، ومن المعلوم أنّ الألف شهر هي ثلاث وثمانون سنة وبعض الأشهر والأيام» (1).

ويكفي في فضل هذه السورة المباركة، ما روى عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أنّه قال: «مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ» (2) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ قَرَأَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يَجْهَرُ بِهَا صَوْتُهُ كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا سِرّاً كَانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بَدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (3).

ص: 229

1- (2) تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 622، ح 44. بحار الأنوار: ج 25، ص 70، ح 59.

2- (3) (2) تفسير جوامع الجامع: ج 3، ص 817. تفسير البيضاوي: ج 5، ص 514. تفسير أبي السعود: ج 9، ص 183. الكشاف: ج 4، ص 273. تخريج الأحاديث والآثار: ج 4، ص 253.

3- (4) الكافي: ج 2، ص 621، ح 6. وسائل الشيعة: ج 6، ص 209، ح 1. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 383.

ومن المعلوم أنّ كلّ الفضل ليس هو نصيب القارئ لها من دون أن يدرك حقيقتها، بل المقصود هو قراءتها وإدراك معانيها، والعمل بها كما هو معلوم من هكذا روايات شريفة.

ليلة القدر ليلة نزول القرآن

يُستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّ القرآن نزل في شهر رمضان (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)¹ ، وظاهر الآية أنّ كلّ القرآن نزل في هذا الشهر.

والآية الأولى من سورة القدر تقول: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، وأنت تلاحظ أنّ (القرآن) لم يُذكر هنا صريحاً، ولكن الضمير في (أنزلناه) يعود إلى (القرآن) قطعاً، وذكروا في محله أنّ الإبهام هنا لبيان عظمة القرآن(1) ، ويؤيد هذا المعنى أنّ الباري عزّ وجلّ نسب نزول القرآن إليه، فقال عزّ وجلّ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) .

وبالتدبر في سورة القدر، والآية المتقدمة من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) نستنتج هذه الحقيقة، وهي: (أنّ ليلة القدر هي إحدى ليالي شهر رمضان جزماً)؛ لأنّ هذه الحقيقة هي مقتضى الجمع بين الآية المذكورة والسورة المباركة، إلاّ أنّه يبقى هناك سؤال، وهو أي ليال شهر رمضان هي؟ وهذا ما سنذكره في آخر البحث إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ من المعلوم أنّ القرآن نزل على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تدريجياً، وتمّ خلال ثلاث وعشرين سنة، فكيف نوفّق بين هذه الحقيقة، والحقيقة التي انتهينا إليها من أنّ نزول القرآن كان في إحدى ليال شهر رمضان؟!

والجواب الذي يذكره أهل التحقيق في المقام هو: أنّ هناك نزولين للقرآن:

ص:230

الأول: يُسمّى بالنزول الدفعي، وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، أو على البيت المعمور، أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

والثاني: النزول التدريجي، وهو ما تمّ خلال (23) سنة من عصر النبوة.

ومن هنا يُحمل النزول المراد بالسورة على النزول الأول لا الثاني(1).

ثم إنّ الآية الرابعة من هذه السورة المباركة ذكرت أنّ الملائكة والروح تنزل في ليلة القدر، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو:

ما هو الروح؟ وما الذي تنزل به الملائكة والروح؟

أمّا الروح فقد ورد في بعض الروايات أنّ المقصود منه خلق أعظم من الملائكة، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الروح، وهل هو جبرائيل؟

فقال عليه السلام «جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة، أليس أنّ الله عزّ وجلّ يقول: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ)» 2 .

وأما الذي تنزل به الملائكة، فهو ما ذكرته هذه الآية في آخرها، حيث قالت: (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ)، أي: لكلّ تقدير وتعيين للمصائر، ولكلّ خير وبركة، فالهدف من نزول الملائكة في هذه الليلة إذن هو لهذه الأمور.

أو بمعنى كلّ خير وتقدير، فالملائكة تنزل في ليلة القدر ومعها كلّ هذه الأمور، وهي الليلة التي تعيّن فيها مقدّرات العباد لسنة كاملة، والشاهد على ذلك قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) 3 .

ص: 231

ومن الأمور المهمة التي نزل بها جبرائيل عليه السلام الولاية، فعن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «نزل جبرائيل في ثلاثين ألفاً من الملائكة ليلة القدر بولاية عليّ عليه السلام، وولاية الأوصياء من ولده صلوات الله عليهم أجمعين»⁽¹⁾.

بقى علينا أن نتعرض إلى ما وعدنا به، وهو أي ليلة من ليالي شهر رمضان هي ليلة القدر؟

لماذا خفيت ليلة القدر؟

الاعتقاد السائد أنّ إخفاء ليلة القدر بين ليالي السنة، أو بين ليالي شهر رمضان المبارك، يعود إلى توجيه الناس إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي، مثلما أخفى رضاه بين أنواع الطاعات؛ كي يتجه الناس إلى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي؛ كي يتجنبها العباد جميعها، وأخفى أحباءه بين الناس؛ كي يحترم كل الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعية؛ لتقرأ كل الأدعية، وأخفى الاسم الأعظم بين أسمائه؛ كي تعظم كل أسمائه، وأخفى وقت الموت؛ كي يكون الناس دائماً على استعداد⁽²⁾.

ثم إنَّ الملفت للنظر أنّ الآية تقول: (تنزل)، وفعل تنزل مضارع دالّ على الاستمرارية، فهذا التنزل من قبل الله بالملائكة والروح، لا بدّ أن يكون على ذاتٍ فيها القابلية لتحمل هذا التقدير الذي تنزل به الملائكة والروح، وهذا عامٌّ وفي كلّ زمان، ففي زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت هذه الملائكة مع الروح تنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا هو الحال في زمن الأئمة عليهم السلام، إلى الزمان الذي نعيشه - وهو زمان الغيبة - فالملائكة والروح تنزل على إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف. كما أكّدت ذلك الروايات الشريفة⁽³⁾.

ص: 232

1- (1) شرح الأخبار: ج 1، ص 242، ح 263.

2- (2) تفسير الأمل: ج 20، ص 350.

3- (3) انظر: تفسير القمّي: ج 2، ص 431. التفسير الصافي: ج 2، ص 1463.

وأما المعروف المشهور من تعيين ليلة القدر في العشر الأخيرة من شهر رمضان، فقد دلت عليه جملة من الروايات، وأكدت بعضها على أنها في الليالي الفرد من هذه العشر.

فقد سئل المعصوم عليه السلام عن ليلة القدر، هل هي الليلة الواحدة والعشرون أم الثالثة والعشرون، فلم يعين، بل قال: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب»⁽¹⁾، أو قال: «ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين»⁽²⁾.

والذي عليه علماؤنا في الماضي والحاضر، أن ليلة القدر هي في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وأنها في الليالي الفرد منه، والأكثر منهم خصّها في الليلة التاسعة عشرة؛ باعتبارها أول ليلة فرد من العشرة الأخيرة، والواحدة والعشرين والثالثة والعشرين، ورجّحوا الليلة الثالثة والعشرين على جميع الليالي، حتّى أنّ بعضاً من العلماء يكتفى بإحيائها على الباقيتين - التاسعة عشرة والواحدة والعشرون - والبعض منهم يحتاط في جميع الليالي الفرد الأخيرة، والبعض الآخر يحتاط في ستّ ليالي؛ لاختلاف رؤية الهلال أحياناً، فتكون ليلة فرد عند بعض العلماء هي زوج عند آخر، والكلّ حسن.

والمروى عن سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان يطوى الفراش في العشر الأواخر من شهر رمضان، ويعتزل النساء، ويعتكف صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد⁽³⁾.

ص: 233

-
- 1- (1) الكافي: ج 4، ص 156، ح 2. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 159، ح 2029. تهذيب الأحكام: ج 3، ص 58، ح 4. أمالي الشيخ الطوسي: ص 690، ح 10. تفسير جوامع الجامع: ج 3، ص 819. تفسير مجمع البيان: ج 10، ص 407. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 625، ح 58. وسائل الشيعة: ج 10، ص 354 - 355، ح 3. بحار الأنوار: ج 94، ص 2، ح 4 عن الأمالي.
- 2- (2) تهذيب الأحكام: ج 3، ص 58، ح 3. أمالي الشيخ الطوسي: ص 689، ح 9. رياض السالكين: ج 6، ص 37. وسائل الشيعة: ج 10، ص 359، ح 14. بحار الأنوار: ج 94، ص 4، ضمن ح 4 عن الأمالي.
- 3- (3) (1) انظر: دعائم الإسلام: ج 1، ص 282. بحار الأنوار: ج 7، ص 470، ح 15.

ليلة الجهنى هى الليلة الثالثة والعشرون من شهر رمضان، وسميت بهذا الاسم لأجل القصة التى حدثت مع الرجل الذى اسمه عبد الله من قبيلة (جهينة).

وخلاصة القصة: أن هذا الرجل كان صحابياً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وداره بعيدة عن المدينة، فأراد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمره بليلة يأتي فيها، فأسر له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك.

فتتبع الأصحاب هذا الصحابى فى كل سنة، فوجدوه لا يأتي فى الليالى العشرة الأخيرة إلا فى الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، فسميت هذه الليلة بليلة الجهنى(1)، ومن هنا اعتبرها البعض من العلماء أفضل من الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين(2).

وأما هذه الليلة ففيها فقد أمير المؤمنين، وإمام المتقين عليه السلام، وا حزنه عليك سيدى، آه آه:

يومين إله المحراب خالى بويه اشكر وحشه الليالى

تقت الصخر وتت الوالى عسه لا كرب يومك يغالى(3)

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أى منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: 234

1- (1) انظر: مفاتيح الجنان: ص 287.

2- (2) انظر: مفاتيح الجنان: ص 287.

3- (3) (1) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج 4، ص 142.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مُشَفِّعٌ، وماحلٌ مُصَدِّقٌ، ومَن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومَن جعله خلفه ساقه إلى النار...» (1).

لم يكن ثمة كتابٌ عندنا - نحن المسلمين - أصدق من كتاب الله تبارك وتعالى، ولم نعرف على وجه البسيطة ولا تحت أفق السماء أصدق مضموناً ولفظاً منه؛ لأنه من الله عز وجل وحسب.

وهذا الكتاب السماوى العظيم - الذى مرّ بفترات ظلمٍ متعمّدة وغير متعمّدة - قد رسم لنا خطوط دستورهِ العظيم ولوائح أسسه العالِية، بشتّى الأساليب والطرق، فهو تارةً ينذر، وأخرى يبشّر، وثالثة يرشد، ورابعة يدعو، وهكذا...، وقد ذكر لنا ذلك عندما بيّن لنا مهمّة الرسول الأعظم حيث يقول عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (2).

وهو اليوم كما كان بالأمس لازال غصّاً طريّاً، ولا زالت ألحانه تقفح من شفتى رسول الله، ولا زال السقاؤون يقفون؛ ليسمعوا تراتيل الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو يتلو آياته (2).

وهو ذات القرآن، الذى كان كَبَّارَ الأولياء والأوصياء، بل وحتى الأصفياء يجلسون فيذكرون غوامض أسرارهِ، ومكنون علمهِ المخزون، ومعاجزه، وأشياء أُخرى، ممّا حيرت العقول، وأذهلت الأبواب.

لا شكَّ ولا شُبْهَةَ فى أنّ القرآن الكريم هو الدستور الشامل الكامل لبنى البشر، الذى

ص: 237

1- (1) الكافي: ج 2، ص 599 ضمن الحديث الثانى.

2- (3) انظر: الكافي: ج 2، ص 616، ح 11.

فيه سعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، ولكن - ومع الأسف الشديد - نرى هذا القرآن العظيم وكلمات الله تبارك وتعالى ما هي إلا إعلانات في أبواق المهوسين، يستعملونه في أغراضهم فيأخذون منه ما ينفعهم، ويتركون ما ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى، مع أن المطلوب من جميع الناس هو التمسك به لا تلاوته فحسب، بل العمل بما جاء به القرآن، وتطبيق أوامره ونواهيه، فهذه هي الغاية القصوى والمهمة العظمى، الموتخاة من هكذا كتاب كريم، جاء به نبي عظيم من رب العزة والجلالة، وبذل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أجله الغالى والنفس، فليس من المعقول جداً أن يكون كل هذا لأجل تلاوته فقط، أو لنيل البركة من خلال وضعه فوق الرفوف والمحافظة عليه، وإن كان ذلك فعلاً حسناً، ولكن الغاية تلاوته والتدبر في معانيه، واللذان هما مقدمة للعمل بأحكامه وآدابه، من أوامر ونواهي.

ومن بعد هذه المقدمة، نأتى إلى كلمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها: «عليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق»، يشير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الجملة إلى السبب الداعى إلى الاهتمام بالقرآن الكريم، والاهتداء بهديه، والاستنارة بنوره، ولم يأمرنا بالتمسك به، ويعلل ذلك بأن القرآن شافع ومشفع.

أما الأول - أعنى الشافع - فهو من يقف يوم القيامة، فى موقف من مواقفها، ويتوسط لمن تمسك به فى الحياة الدنيا، بأن يصفح عنه ويعفو عن زلاته وسقطاته، وهذا تارة يكون قرآناً وأخرى إنساناً، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: القرآن هو واحد من الشفعاء الذين يشفعون لكم، فعليكم بالتمسك به، وهو ليس شافعاً، يحتمل فيه الرد والقبول، بل شافع مقبول الشفاعة.

فنحن نرى فى حياتنا اليومية الكثير من الناس من يجعلوا لهم شفعاء فى إسقاط دين، أو جمع بين زوجين أو غيرهما من الأمور، ولكن لا تقبل شفاعته ولا يعتنى به أصلاً.

أما القرآن الكريم فلا يَخِيبُ مَنْ يَعتنِي به ويعتمد عليه، فشفاعته لأصحابه مقبولة بالجزم واليقين، وكيف يَخِيب مَنْ يجعل كتاب الله تبارك وتعالى هديه ومقتداه؟! وقد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً».

وهل يحتمل العاقل أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يضلُّ مَنْ تمسَّك بالقرآن والعتره عليهم السلام، ومع هذا يضل، فإنَّه مستحيل قطعاً.

ثمَّ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «وما حلُّ مُصدِّق» وهذه العبارة على عكس الأولى تماماً، فالأولى: أنَّ الذي يتمسَّك بالقرآن وهديه سوف يكون القرآن له شافعاً مقبول الشفاعة، أمَّا في هذه الجملة فيريد النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: والذي لا يعمل بما جاء به القرآن، ولم يتَّبع هديه فإنَّ القرآن سوف يسعى إلى الله تبارك وتعالى ويبتَّ شكواه إليه تباركت أسماؤه، فكذاك تُقبل منه هذه الشكوى، كما هو الحال في قبول شفاعته.

وحينئذٍ سوف يكون القرآن لمن اتَّبعه، وعمل وفق أوامره ونواهيه شافعاً، ولمن هجره وخالفه ساعياً إلى شكايته لله تبارك وتعالى، والله يقبل من القرآن الشفاعة والمحل، وفي حديث: «مَنْ مَحَلَّ به القرآن يوم القيامة صدَّق» (1)، فعلى الإنسان التمسَّك بالقرآن ما دام الحال هكذا، وأنَّ فضل القرآن لا يعدُّ ولا يُحصى، وهو يسمع ما يقوله الباري عزَّ وجلَّ مخاطباً إياه: «وعزَّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لأكرمَنَّ اليوم مَنْ أكرمك ولأهينَنَّ مَنْ أهانك» (2)، فأى فضل بعد هذا الفضل، وأى منزلة بعد هذه المنزلة؟!

ويكمل النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حديثه الشَّريف في الدواعي التي دعت به إلى أمره الناس بالتمسَّك بالقرآن، فيقول: «ومَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنَّة، ومَنْ جعله خلفه ساقه إلى

ص: 239

1- (1) لم أعثر عليه في غير مجمع البحرين: ج 4، ص 176.

2- (2) الكافي: ج 2، ص 602، ح 14. وسائل الشيعة: ج 6، ص 169، ح 1.

وهذه هي الحقيقة؛ لأنّ الذي يجعل القرآن قائده وأُسوته ويتّبعه فسوف لا يثقل عليه ما أمر به الباري عزّ وجلّ أو نهى عنه، فيأتي بما أمر به القرآن وينتهي عمّا نهى عنه، وبالتدبر فيه نرى ما أمر به فنعمل به، وما نهى عنه فننتهي عنه، وهذا فرع تلاوته والتبصّر في معانيه.

فمثلاً قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (1)، لا بدّ أن تكون هذه حقيقة راسخة في عقولنا وقلوبنا، ومختلطة بلحومنا ودمائنا، فإنّ الله تبارك وتعالى يريد منا أن تكون عبادتنا له وحده والاستعانة به عزّ وجلّ كذلك، ونحن نقرأ هذه الآية كلّ يوم في صلواتنا من الغداة وحتى العشي، ولكن الكثير منا لم يطبق هذا المعنى، وهكذا يقول عزّ وجلّ: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) 2، ويقول أيضاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) 3، إلى غير ذلك من الآيات الآمرة، فيأتي بما أمرت، ويتدبر في الآيات الناهية فينتهي عنها.

فمثلاً يقرأ قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) * يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) 4، فينتهي عمّا نهت عنه هذه الآيات الشريفة، فينتهي عن السخرية بالآخرين، وعن التنازع بالألقاب، وعن الظنّ غير الحسن، وعن التجسس، وعن الغيبة، وكثير من هذه الصفات الذميمة التي نهى عنها القرآن

ص: 240

الكريم، فإذا جعل الإنسان القرآن أمامه واهتدى بهديه، فلا شك ولا ريب سوف يكون قائداً له إلى الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.

وأما إذا جعله خلفه فسوف يسوقه إلى النار.

وهناك عدّة مظاهر لجعل القرآن وراء الظهر، منها: عدم التصديق بما وعد به، ومخالفة أوامره، وارتكاب نواهيه، والأخذ بالمشابهة منه وترك المحكم، والحكم بخلاف ما جاء به، وتفسيره بالرأى، وعدم الإنصات له، وعدم السؤال لأهل الذكر عند عدم العلم، فالله تبارك وتعالى نهى عن جميع ذلك بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) 1 ، وقال عزّ من قائل: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) 2 ، وفي آية أخرى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) 3 ، وفي الثالثة: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) 4 ، وقال تعالى: (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) 5 ، وأهل الذكر هم أهل القرآن الذي نزل في بيوتهم، وهم أدري به من غيرهم، وهؤلاء هم محمّد وآل محمّد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ لأنّ الله تبارك وتعالى سمى القرآن ذكراً، حيث قال عزّ وجلّ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وقال تبارك وتعالى أيضاً: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) 6 ، فالذكر هو القرآن، وأهله هم أهل البيت عليهم السلام، فعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام

فى قوله: (فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) مَنْ المعنون بذلك؟ فقال: «نحن والله»، فقلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: «نعم» قلت: ونحن السائلون؟ قال: «نعم» قلت: فعلينا أن نسألكم؟ قال: «نعم» قلت: وعليكم أن تجيبونا؟ قال: «لا، ذلك إلينا إن شئنا فعلنا، وإن شئنا تركنا، ثمَّ قال: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (1).

ولكنَّ القوم جهلوا القرآن وأحكامه، ومع ذلك لم يسألوا أهل الذكر، بل وجعلوا القرآن خلفهم حتَّى ساقهم إلى النار، نار الدنيا ونار الآخرة، أمَّا نار الدنيا فبما ابتلاهم الله تبارك وتعالى من صنوف البلايا، وأمَّا نار الآخرة فهى التى أعدّها لهم جبار السموات والأرضين..

وياليتهم اكتفوا بجهلهم، وعدم سؤالهم لأهل الذكر فحسب، بل الأمر تعدّى ذلك، ووصل الأمر بهم إلى مخالفة كلامهم والردّ عليهم، ووصفهم تارةً بالهجر، وأخرى بالقول من عند أنفسهم، بل الأمر تعدّى ذلك أيضاً، فقد وصل الحال بالقوم إلى تقتيلهم وتشريدهم، بل وإحراق بيوت أهل الذكر، ووصفها ببيوت الظالمين، وهى بيوت المظلومين المقهورين، وسبى نساء هذه البيوت وسوقها من دار إلى شرّ دار.

ما ذنبُ أهلِ البيتِ حتّى منهمُ أخلوا ربوعه

تركوهُم شتى مصارعُهُم وأجمعُها فضيعه

فمغيَّبُ كالبدرِ ترتقبُ الورى شوقاً طلوعه

ومكابدُ للسمِّ قد سُقيتِ حشاشته نقيعه

ومضرجُ بالسيفِ أثرَ عزّه وأبى خضوعه

ألفى بمشرعة الردى فخراً على ظمأ شروعه

فقضى كما اشتتهت الحمية تشكر الهيجا صنيعه

ص: 242

ومصَفَّدٌ لله سلَّم أمرَ ما قاسى جميعَه
فلقسرو لم تلقَ لولا الله كفاً مستطيعه
وسبيّةٌ باتت بأفعى الهَمِّ مهجتها لسيّعه
سُلبت وما سُلبت محا مد عزّها الغرّ البديعة
فلتغد أخبية الخدور تطيح أعمدها الرفيعة
ولتبد حاسرة عن الوجه الشريفة كالوضيعة
فأرى كريمة من يوارى الخدر آمنة منيعه
وكرائم التنزيل بين أُميّة برزت مروعه
تدعو ومن تدعو وتلك كفاة دعوتها صريعه
واها عرائن العلى عادت أنوفكم جديعه
ما هزّ أضلعكم حداء القوم بالعيس الضليعه
حملت ودائعكم إلى من ليس يعرف ما الوديعة(1)

إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم،
وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ
والعاقبة للمتّقين.

ص: 243

1- (1) الأبيات من قصيدة رائعة للشاعر الكبير المرحوم السيد حيدر الحلى رحمه الله، ديوان السيد حيدر الحلى: ج 1، ص 37.

المحاضرة الثالثة والعشرون: الورع والحلم والمدارة

ص: 245

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله: «يا أبا ذر، مَنْ لَمْ يَأْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِثَلَاثٍ فَقَدْ خَسِرَ، قُلْتُ: وما الثلاث فداك أبا وأمي؟ قال: ورعٌ يحجزه عما حرم الله عز وجلّ عليه، وحلمٌ يرُدُّ به جهل السفية، وخُلُقٌ يدارى به الناس» (1).

هذا مقطع من الوصية المعروفة التي أوصى بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل أبا ذر رحمه الله.

يذكر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقطع ثلاث أشياء، إذا لم يأت الإنسان بها يوم القيامة فهو من الخاسرين، والأشياء الثلاث هي: الورع والحلم والخُلُق الذي يدارى به الناس، وسنتعرض لهذه الأشياء الثلاثة تباعاً، إن شاء الله تعالى.

ما هو الورع؟

الورع في الأصل - كما ذكره أهل اللغة - هو الكف عن المحارم والتحرج منها (2)، وفي الحديث: «قال الله عز وجلّ: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أورع الناس» (3)، وفي آخر «صونوا دينكم بالورع» (4)، وفي حديث ثالث: «ملاك الدين الورع» (5).

ص: 247

1- (1) (1) مكارم الأخلاق: ص 468، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 199، بحار الأنوار: ج 74، ص 87 ضمن حديث 4 عن مكارم الأخلاق.

2- (2) (2) انظر: كتاب العين: ج 2، ص 242. الصحاح: ج 3، ص 1297.

3- (3) (3) الكافي: ج 2، ص 77، ح 7. تحف العقول: ص 296. مشكاة الأنوار: ص 94. الجواهر السنية: ص 326. وسائل الشيعة: ج 15، ص 245، ح 9.

4- (4) ثواب الأعمال: ص 246، عنه بحار الأنوار: ج 72، ص 371، ح 15.

5- (5) عيون الحكم والمواعظ: ص 486. تحف العقول: ص 513. مكارم الأخلاق: ص 468. النهاية في غريب الحديث: ج 4، ص 358، عنه بحار الأنوار: ج 65، ص 379. مغنى المحتاج: ج 1، ص 243. مسند الشهاب: ج 1، ص 59. كنز العمال: ج 3، ص 430، ح 7300.

وقد فَرَّقَ بعضُ الأعلام بين التقوى والورع بأنَّ التقوى هي ترك المحرّمات، والورع ترك الشبهات، بل بعض المُباحث(1).

أقسام الورع:

وقسّم البعضُ الورع إلى أقسام:

الأول: ما يخرج المكلف عن الفسق، وهو الموجب لقبول الشهادة، ويُسمّى ورع التائبين.

الثاني: ما يُخرج به عن الشُّبهات، فإنَّ مَنْ حَامَ حول الحمى يوشك أن يدخل فيه، ويسمّى ورع الصالحين.

الثالث: ترك الحلال الذي يتخوَّف إنجراره إلى المحرّم، ويُسمّى ورع المتّقين، مثل ترك الكلام عن الغير مخافة الوقوع في الغيبة.

الرابع: الإعراض عن غير الله؛ خوفاً من ضياع ساعة من العمر فيما لا فائدة فيه، ويسمّى ورع الصّديقين(2).

فهذه أقسام أربعة كلّها يُطلق عليها لفظ الورع، ولكنّها تختلف باختلاف درجات المتورّعين، فمثلاً: تجد البعض من الناس ليس له إلّا القسم الأول، وهو أقلّ مراتبه وبه يخرج صاحبه من الفسق إلى العدالة، وهو في غاية الأهميّة، بل لعلّ ما ذكر في الوصيّة ينطبق عليه كما هو الظاهر جدّاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ورعٌ يحجزه عمّا حرّم الله عزّ وجلّ عليه».

وهناك من الناس مَنْ بلغ رتبةً عاليةً في الورع، فتمسّك بالقسم الأعلى منه؛ حتّى لا ينجر إلى ما فيه الحرام، فيترك كلّ ما فيه غير الله تبارك وتعالى، أو كلّ شبهة، وقد ضرب جمعٌ من علّمانا أروع الأمثلة في ذلك.

ص: 248

1- (1) انظر: بحار الأنوار: ج 67، ص 296 - ص 297.

2- (2) انظر: مجمع البحرين: ج 4، ص 490.

ومن ذلك ما حُكي من أنّ والد المقدّس الأردبيلي كان ذات يوم في شبابه يمشى قرب نهرٍ، فرأى تُفاحةً فيه، فأخذها وأكلها، ثمّ بعد ذلك ندم على فعلته هذه ندماً شديداً، وقال في نفسه: كيف أكلتها فلعلّها سقطت من البستان الذي على ضفتيّ هذا النهر، فتتبع النهر، فإذا الأمر كما ظنّ، فإذا به يرى بُستاناً يطلّ على النهر المذكور، فهرع إلى صاحب البستان وقصّ عليه القصة كاملةً وطلب منه براءة ذمته والصفح عنه. فقال له صاحب البستان: لا أصفح عنك أبداً، ولا أبرأ ذمتك.

قال والد المقدّس: أعطيك أضعافها، قال صاحب البستان: لا أريد مهما أعطيتني، إلّا أن تتزوَّج ابنتي، وهي مفلوجة وعمياء وخرساء وصمّاء!.

فتعجّب والد المقدّس من كلام هذا الرجل، ولكنّه رأى أنّه لا فائدة في الكلام معه، إلّا الإذعان لما أَراده.

فقبل والد المقدّس بذلك، وعندما دخل عليها، وجدها خاليةً ممّا ذكره أبوها!! وعندها تعجّب والد المقدّس كثيراً، وممّا زاد تعجّبه أنّه وجدها وكأنّها فلقة قمر.

قال والد المقدّس: إنك ذكرت أنّها مفلوجة وعمياء وخرساء وصمّاء، إلّا أنّ الأمر ليس كذلك، فهي خالية ممّا ذكرت، فما هو السرّ في الأمر؟

قال أبوها: نعم، إنّما هي مفلوجة؛ لأنّها ما خرجت من البيت، وقلت: إنها عمياء؛ لأنّها لم تنظر إلى رجلٍ أجنبيٍّ قطّ، وخرساء؛ لأنّها لم تتكلم مع أي رجلٍ أجنبيٍّ، وصمّاء؛ لأنّها لم تسمع الغيبة.

فتزوَّجها والد المقدّس، المولى محمّد الأردبيلي، فانجبت له ولده العظيم المولى أحمد الأردبيلي، المشتهر بالمُقدّس الأردبيلي، وكيف لا يكون مُقدّساً من كان هذا أبوه وهذه أمّه (1). وهناك حكايات كثيرة في ورع ثلة من أولياء الله، تركناها للاختصار.

ص: 249

ما هو الحلم؟

الحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب⁽¹⁾، فالحلم يكسر شوكة الغضب، وفيه دلالة على كمال العقل وقوة الإرادة في السيطرة على النفس الأمارة بالسوء، وهو من صفات الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، والحلم يُزيّن صاحبه حتّى يصبح محبوباً بين الجميع، ولا يُعرف الحليم إلّا عند الغضب، كما روى ذلك عن إمامنا الصادق عليه السلام⁽²⁾.

وقال الشاعر:

مَنْ يَدْعِي الْحِلْمَ أَغْضِبَهُ لَتَعْرِفَهُ لَا يُعْرِفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ⁽³⁾

فيغفو الإنسان مع قدرته على العقوبة، ويكون الحلم ذا قيمة عالية عندما يكون الإنسان عزيزاً فيدلّ، أو صادقاً فيتّهم، أو يُسهّزاً به حين يدعو إلى الحقّ، أو يؤذّي بلا جُرم، أو يطالب بالحقّ فيخالفه الناس.

حثّ الروايات الشريفة على التحلّي بالحلم

وقد حثّت الروايات الشريفة على التحلّي بالحلم حثّاً بليغاً، فعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «لا يكون الرجلَ عابداً حتّى يكون حليماً»⁽⁴⁾.

بل إنّ بعض الروايات أمرت بالتحلّم - أى التشبه بأهل الحلم - وما ذاك إلّا لأهميته، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ لم تكن حليماً فتحلّم؛ فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلّا

ص: 250

1- (1) انظر: مفردات غريب القرآن: ص 129.

2- (2) انظر: تحف العقول: ص 316. بحار الأنوار: ج 75، ص 229، ح 9.

3- (3) ذكر عجزه ابن عبد البر في الاستذكار: ج 8، ص 287. وجامع بيان العلم وفضله: ج 2، ص 155.

4- (4) الكافي: ج 2، ص 111، ح 1. مشكاة الأنوار: ص 379. وسائل الشيعة: ج 15، ص 265، ح 1. بحار الأنوار: ج 68، ص 403، ح 12 عن الكافي.

أوشك أن يكون منهم» (1).

وقد ضرب الأئمة في ذلك أمثلة رائعة أذهلت عقول بني البشر، وهي منهم وعندهم سجيّة وعادة، لا يتكلّفونها أبداً، فأخلاقهم أخلاق جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول عنه البارئ عز وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) 2.

ولأذكر لك في المقام صورةً من حلم أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام كما رواها البعض أيضاً، يقول عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي عليهما السلام، فأعجبني سمته وحسن روايته، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدرى لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب؟! قال: «نعم»، فبالغت في شتمه وشتيم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطفٍ رؤوفٍ، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)» (2).

ثم قال لي: «خفف عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسّم في الندم على ما فرط مني، فقال: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) 4.

أمن أهل الشام أنت؟ قلت نعم. فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حياك الله وبيّاك،

ص: 251

-
- 1- (1) نهج البلاغة: ج 4، ص 47، ح 207. خصائص الأئمة: ص 115. عيون الحكم والمواعظ: ص 162. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص 53، ح 31. وسائل الشيعة: ج 15، ص 268، ح 14. بحار الأنوار: ج 68، ص 405.
- 2- (3) الأعراف: آية 199 - آية 201.

وعافاك، وآداك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء الله». قال عصام: فضاقت على الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي، ثم تسلفت منه لواذاً، وما على وجه الأرض أحب إلى منه ومن أبيه» (1).

فأنظر إلى حلم إمامنا الحسن عليه السلام، كيف ردّ به جهل هذا السفیه الغشوم بكلّ رحابة صدر، وهو إمام معصوم، وابن إمام، وأخو إمام، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأُمّه الصديقة الكبرى عليها السلام، ومع هذه المنزلة كلّها تراه منبسّطاً، وفي أعلى مراتب الحلم في ردّه على الشامي.

ما هي المداراة؟

والصفة الثالثة المهمّة أيضاً أن يأتي الإنسان يوم القيامة وهو متّصف بها، وهي: أن يكون ذا خُلُقٍ يدارى به الناس، ويعامل كلّ واحدٍ منهم على قدر سعة إنائه، كما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه، فكلّ منهم يعطيه على قدر سعته وتحملته.

وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرني ربي بمدارة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض» (2) و «رأس العقل بعد الإيمان بالله مُداراة الناس» (3).

والمقصود من المداراة هو ملائمة الناس، وحسن صحبتهم واحتمالهم؛ لئلاّ ينفروا.

ص: 252

1- (1) تفسير القرطبي: ج 7، ص 350 - ص 351. تاريخ مدينة دمشق: ج 43، ص 224. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص 737.

2- (2) معاني الأخبار: ص 386، ح 20. الكافي: ج 2، ص 117، ح 4. الاعتقادات في دين الإمامية: ص 85. أمالي الشيخ الطوسي: ص 481، ح 19. مشكاة الأنوار: ص 369. وسائل الشيعة: ج 12، ص 200، ح 1. بحار الأنوار: ج 13، ص 135، ح 43 عن معاني الأخبار، وج 18، ص 213، ح 43 عن الكافي، وج 72، ص 396، ح 18 عن المعاني أيضاً، وص 440، ح 107 عن الكافي أيضاً.

3- (3) تحف العقول: ص 42. فتح الباري: ج 10، ص 437. علل الدارقطني: ج 7، ص 305. الكامل: ج 3، ص 249. بحار الأنوار: ج 74، ص 145، ح 49.

وهكذا كان خُلُق أهل البيت عليهم السلام فى ورعهم وحلمهم ومداراتهم للناس، ولكنّ الناس ما تورّعوا فى قتلهم ولا تشريدهم، ولا حتّى فى سبى نسائهم وأطفالهم.

ولا داروا العيال ولا العليل، وصنعوا بهم ما يُصنع بالترك أو الديلم، بل ما يصنع بأعداء الدين والإنسانية.

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحمّد أنّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتّقين.

ص:253

فى رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال فى حقّ الصدقة: «وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَدِيعَتَكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ عَلَيْهَا، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً، وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَدْفَعُ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامَ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ...» (1).

رسالة الحقوق للإمام سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام رسالة جمعت صنوف الحقوق والمواعظ، وأنواع المعارف والعلوم، فترى الإمام عليه السلام يتناول من الحقوق فيها أدقّها وأعظمها، فهو يذكر حقّ اللسان والبصر، وحقّ المولى القادر، فهى دستور كامل لو عمل به الإنسان لفاز فى الدارين، وحصل على السعادتين.

ونحن اقتطعنا من هذه الرسالة الشريفة هذا المقطع من كلامه الشريف، الذى تناول جانباً اجتماعياً مهماً، وهو جانب الصدقة؛ ليعرفنا الإمام عليه السلام فيه حقّ الصدقة وآثارها وحقيقتها.

ما هى الصدقة؟

الصدقة: هى مساعدة الفقراء بالمال، أو الطعام، أو الشراب، أو الملبس، أو المسكن، أو أىّ شىء آخر يحتاج إليه إنسان آخر لا يستطيع أن يحصل عليه بنفسه؛ لقلّة الموارد التى يمتلكها هذا الإنسان.

وتعتبر الصدقة، وإعانة الآخرين، وقضاء حوائجهم، رحمة من ربّ العالمين، سببها وساقها إلى المؤمنين؛ حتّى يشيهم بها.

ص: 257

1- (1) أمالى الشيخ الصدوق: ص 452. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 620. تحف العقول: ص 259، ح 12. وسائل الشيعة: ج 15، ص 173. بحار الأنوار: ج 71، ص 4.

ومن هنا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تدع الله أن يغنيك عن الناس؛ فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء، فمتى يستغنى المرء عن يده أو رجله؟! ولكن ادعُ الله أن يغنيك عن شرارهم» (1).

حثّ الشريعة على الصدقة

لقد حثّت الشريعة الإسلامية على الصدقة حثّاً بليغاً؛ لما لها من آثار عظيمة على وحدة وتماسك المجتمع وتلاحمه، فهي مظهر من مظاهر الحضارة والرفق الاجتماعي، ومن هذا المنطلق أكدت الروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على الالتزام بهذه الخصلة الكريمة، وذكرت آثارها وثوابها، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور، وإنما يستظلّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» (2).

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ما من شيء إلا وقد وُكِّلَتْ مَنْ يقبضه غيري، إلا الصدقة فإنّي أتلقفها بيدي تلقفاً...» (3)، وعنه عليه السلام أيضاً: «قال الله تعالى: إنّ من عبادة من يتصدّق بشق تمرّة، فأرببها كما يُربى أحدكم فلوله حتّى أجعلها له مثل جبل أحد» (4).

ص: 258

1- (1) شرح نهج البلاغة: ج 20، ص 322، ح 695.

2- (2) المعجم الكبير: ج 17، ص 286. الجامع الصغير: ج 1، ص 313، ح 2049. كنز العمال: ج 6، ص 348، ح 15996.

3- (3) الكافي: ج 4، ص 47، ح 6. تهذيب الأحكام: ج 4، ص 109 - ص 110، ح 51. مشكاة الأنوار: ص 135. عدّة الداعي: ص 60. تفسير العياشي: ج 1، ص 152، ح 507. التفسير الأصفي: ج 1، ص 488. التفسير الصافي: ج 2، ص 372. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 294، ح 1173. وسائل الشيعة: ج 9، ص 382، ح 7. الجواهر السنية: ص 341. بحار الأنوار: ج 93، ص 134.

4- (4) أمالي الشيخ المفيد: ص 354، ح 7. أمالي الشيخ الطوسي: ص 125، ح 8. الجواهر السنية: ص 349. بشارة المصطفى: ص 406، ح 33. الدرّ النظيم: ص 631. بحار الأنوار: ج 47، ص 27، ح 27 عن أمالي الشيخ المفيد، وص 337، ح 12 عن أمالي الشيخ الطوسي، وج 93، ص 122 - ص 123، ح 30 عن أمالي الشيخ الطوسي أيضاً.

هناك عدّة آثار للصدقة تعرضت لها الروايات الشريفة، نذكر طرفاً منها.

- 1 - دفع حرّ القبور، ومن أهمّ آثار الصدقة أنّها تدفع حرّ القبور، كما تقدّم الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور، وإنّما يستظلّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» (1).
- 2 - زيادة الرزق واستنزاله، وهناك جملة من الروايات وردت تُبيّن أنّ من آثار الصدقة زيادة الرزق واستنزاله، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال «أكثرُوا من الصدقة تُرزقوا» (2)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «استنزلوا الرزق بالصدقة» (3).
- 3 - قضاء الدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الصدقة تقضى الدين» (4).
- 4 - سبب لشفاء المرضى، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «تصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة...».
- 5 - دفع البلاء والقضاء، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الصدقة تدفع البلاء، وهي أنجح دواءٍ، وتدفع القضاء وقد أبرم إبراماً، ولا يذهب بالأدواء إلّا الدعاء والصدقة» (5)، وروى إبراهيم بن هاشم، عن موسى بن أبي الحسن، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال: «ظهر في بني إسرائيل قحط شديد، سنين متواترة، وكان عند امرأة لقمة من خبز

ص: 259

-
- 1- (1) المعجم الكبير: ج 17، ص 286. الجامع الصغير: ج 1، ص 313، ح 2049. كنز العمال: ج 6، ص 348، ح 15996.
 - 2- (2) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 333. بحار الأنوار: ج 74، ص 176.
 - 3- (3) نهج البلاغة: ج 4، ص 34، ح 137. من لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 381، ح 5824. عيون الحكم والمواعظ: ص 89. بحار الأنوار: ج 10، ص 99.
 - 4- (4) الكافي: ج 4، ص 9، ح 1. وسائل الشيعة: ج 9، ص 367، ح 1. بحار الأنوار: ج 93، ص 134.
 - 5- (5) بحار الأنوار: ج 93، ص 137.

فوضعتها في فيها لتأكل، فنأدى السائل: يا أمة الله الجوع، فقالت المرأة: أتصدق في مثل هذا الزمان؟! فأخرجتها من فيها، فدفعتها إلى السائل، وكان لها ولد صغير يحطب في الصحراء، فجاء الذئب فاحتمله، فوقع الصيحة، فعدت الأم في أثر الذئب، فبعث الله إليه تبارك وتعالى جبرئيل عليه السلام فأخرج الغلام من فم الذئب، فدفعه إلى أمه، فقال لها جبرئيل عليه السلام: يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة» (1).

ثم إنه لو تأملنا في كلام الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، لرأينا أن الإمام عليه السلام يؤكد على إخفاء الصدقة؛ لأنها وديعة عند الله تبارك وتعالى، فهي لا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية؛ فإن المستودع هو الأمين المطلق، وهو العالم بالخفايا.

فيقول الإمام عليه السلام حق الصدقة أن تعلم أنها لله تبارك وتعالى، فلا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية، وأن تعلم بأنها ذخر ليوم المعاد، وأنها تدفع البلايا والأسقام في دار الدنيا.

وأما في الآخرة، فهي تطفئ غضب الرب، وتدفع عنك النار التي أعدها جبار السموات والأرضين.

وأهم ما في الصدقة، بل من شروط قبولها، هو عدم الإمتنان بها، وعلام يمتن الإنسان بها، وهي له، وآثارها راجعة إليه؟!

وما أكد عليه الإمام عليه السلام ذكره من قبل القرآن الكريم؛ حيث يقول تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) 2، فيبين الباري عز وجل أن المن والأذى سبب في بطلان الصدقة، وحينئذٍ خسر المتصدق ماله وثوابه، وذلك هو الخسران المبين.

ص: 260

1- (1) ثواب الأعمال: ص 140. الرسالة السعدية: ص 135. وسائل الشيعة: ج 9، ص 380 - ص 381، ح 4. بحار الأنوار: ج 93، ص 123، ح 33 عن ثواب الأعمال.

وبخلاف ذلك نجد أن بعض الناس يجود بكل ما عنده، ومع هذا كأنه لم يقدم شيئاً بعد، بل يشعر دائماً بالتقصير، يقدم أهل بيته وأصحابه، ويجود بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فأنفق نفسه، وأى نفس تلك التى أنفقها سيّد الشهداء عليه السلام، هى نفس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ حسيناً منه وهو صلى الله عليه وآله وسلم من حسين(1).

أروحك أم روح النبوة تصعد من الأرض للفردوس والحرور سجّد

ورأسك أم رأس الرسول على القنابلية أهل الكهف راح يردّد(2)

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أى منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: 261

1- (1) فقد روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «حُسينٌ منى وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط». كامل الزيارات: ص 116، ح 11. مسند أحمد: ج 4، ص 172. سنن ابن ماجه: ج 1، ص 51، وغيره من المسانيد والسنن.

2- (2) البيتان من قصيدة رائعة للسيد صالح بن السيّد مهدي بحر العلوم المولود سنة 1328 هـ - والمتوفى فى العقد الأخير من القرن العشرين.

روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سيّد الأعمال ثلاثة، إنصافُ الناسِ من نفسك، ومواساةُ الأخ في الله، وذكرُ الله على كُلِّ حالٍ» (1).

هناك مجموعة من الروايات الشريفة المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تمثل قانوناً مهماً؛ لذا ينبغي الإهتمام بها والعمل بمضمونها، ومنها هذه الرواية الشريفة التي سمعها باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

يتناول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الكلمة ثلاثة أعمال هي سيّدة الأعمال التي يُحبُّها الله تبارك وتعالى ويريدها، وهي: (إنصاف الناس ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كُلِّ حال).

فعلينا أولاً معرفتها، ثمَّ العمل بها، والأخذ بمضامينها العالية.

1 - ما هو المقصود من الإنصاف؟

المقصود من الإنصاف في اللغة: المعاملة بالعدل والقسط (2)، ومنه الحديث المروى عن إمامنا الكاظم عليه السلام حيث قال: «وخافوا الله في السرِّ؛ حتّى تُعطوا من أنفسكم النّصف» (3)، أي: الإنصاف، ومثله حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا جعلوا بيني

ص: 265

1- (1) أمالي الشيخ الطوسي: ص 577، ح 6. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 209 - ص 210. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج 2، ص 71. بحار الأنوار: ج 66، ص 404، ح 107 عن الأمالى.

2- (2) مجمع البحرين: ج 4، ص 323.

3- (3) الكافي: ج 2، ص 287، ح 2. أمالي الشيخ المفيد: ص 157، ح 8. مشكاة الأنوار: ص 139. وسائل الشيعة: ج 15: ص 310، ح 2. بحار الأنوار: ج 66، ص 396، ح 83 عن الأمالى، وج 70، ص 346، ح 30 عن الكافي.

وبينهم نصفاً» (1)، يعنى: أن القوم ما أنصفوه فى المعاملة، بل جاروا عليه حتى اتَّهموه بالكفر إلى غير ذلك من مظلوميته عليه السلام.

فترى الكثير من الناس مَنْ يحب أن يفعل له أشياء، وهو لا يفعلها للناس بتاتاً، فيمَرّ فى الأسواق ويرى أحبَّائه وأصدقائه، ولكن لا يبادرهم السلام، بل يُحب أن يُبادروه ذلك، وهكذا فى باقى الحالات، أمثال عيادة المرضى وقضاء الحوائج، فتراه لا يقضى حاجةً لأحدٍ، ولا يعود أى مريضٍ، ولكن يُحب أن يفعل ذلك له، فهذا هو الجحاف بعينه، والذي هو خلاف الإنصاف.

فالنبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنصاف الناس من نفسك هو أحد الأعمال الثلاثة التى هى سيدة الأعمال، فكلُّ ما يحب الإنسان أن يفعل له من تقديرٍ واحترامٍ عليه تقديمه للناس؛ حتى يكون قد حقَّق معنى الإنصاف من نفسه، والذي هو سيد الأعمال، والذي يدخل به العبد الجنة.

ومن هنا روى أن أعرابياً جاء إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته - أى ركاب الرحل من الجلد - فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّمنى عملاً أدخل به الجنة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأت إليهم، خلَّ سبيلَ الراحلة» (2).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أيضاً: «مَنْ واسى الفقير من ماله، وأنصف الناس من نفسه، فذلك

ص: 266

-
- 1- (1) نهج البلاغة: ج 1، ص 59، وج 2، ص 19. الإرشاد: ج 1، ص 251. بحار الأنوار: ج 32، ص 53.
 - 2- (2) الكافي: ج 2، ص 146، ح 10. كتاب الزهد: ص 21، ح 45. مستطرفات السرائر: ص 642. مشكاة الأنوار: ص 319. مستدرک الوسائل: ج 11، ص 312، ح 4. بحار الأنوار: ج 72، ص 36، ح 31 عن الكافي، وج 74، ص 134، ح 45 عن كتاب الزهد. وأنظر الحديث فى المصادر التالية: مسند أحمد: ج 6، ص 383. مجمع الزوائد: ج 1، ص 43. كنز العمال: ج 1، ص 280 - 281.

المؤمن حقاً» (1) إلى غير ذلك من الروايات.

هذا كله في الإنصاف وهو أحد الأعمال الثلاثة.

2 - مواساة الأخ في الله

المواساة معناها التخفيف عن الآخرين همومهم وآلامهم ومصاعب الحياة التي تصيبهم، فقد يواسى الأخ أخاه في الله عن طريق التسلية بالكلام، كما لو فقد عزيزاً، كأن يقول له: هذه سنة الله في الحياة، وهكذا كان حال الأنبياء والأوصياء والأولياء بعضهم مع البعض الآخر، حين يفقدون الأعزاء، بل أعزّ الأعزاء.

ومنه ما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه واسى أهل بيت وعزّاهم بفقد عزيز من أعزائهم، قائلاً لهم: «إنّ هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر، فعُدّوه في بعض أسفاره، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه» (2).

وكم لهذا الكلام من الوقع في النفوس والتخفيف من آلامها.

وقد تكون المواساة للأخ المؤمن عن طريق المال، فيما لو احتاج إلى ذلك، فهذا نوع من المواساة العملية، كما هو ديدن الأئمة عليهم السلام مع إخوة الإيمان، بل مع غيرهم أيضاً، فكانوا عليهم السلام ينفسون كرب المؤمنين بقضاء حوائجهم وديونهم، وإشباع جوعتهم وكسوتهم مع ما هم فيه عليهم السلام من فقرٍ وحاجة، ويكفيك من ذلك ما نزل من القرآن فيهم عليهم السلام، كسورة: هل أتى، وغيرها من الآيات البينات، بل إنّ الإمام الحسن عليه السلام قطع طوافه في بعض الروايات لأجل مواساة أحد الشيعة.

ص: 267

1- (1) المصدر نفسه: ج 2، ص 147، ح 17. الخصال: ص 47، ح 48، لكن من دون جملة (من ماله). وسائل الشيعة: ج 15، ص 284، ح 5. بحار الأنوار: ج 72، ص 25، ح 5 عن الخصال.

2- (2) نهج البلاغة: ج 4، ص 83، ح 357. عيون الحكم والمواعظ: ص 151. بحار الأنوار: ج 79، ص 135. مستدرک الوسائل: ج 2، ص 357، ح 13 عن النهج.

فقد رُوِيَ عن ابن عباس أنَّه قال: «كنت مع الحسن بن علي عليه السلام في المسجد الحرام وهو معتكف، وهو يطوف حول الكعبة، فعرض له رجل من شيعته، فقال: يا ابن رسول الله، إنَّ عليَّ ديناً لفلان، فإن رأيت أن تقضيه عني؟ فقال عليه السلام: وربَّ هذا البيت، ما أصبح وعندى شيء. فقال: ان رأيت أن تستمهله عني فقد تهددني بالحبس؟ فقال ابن عباس: فقطع الإمام الطواف وسعى معه، فقلت: يا ابن رسول الله أنسيت أنك معتكف؟ فقال: لا، ولكن سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَنْ قضى (أخاه) لأخيه المؤمن حاجة كان كَمَن عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره وقائماً ليله» (1).

فهذه أعلى درجات المواساة، فلاحظ كيف أنَّ الإمام عليه السلام قطع طوافه واعتكافه من أجل قضاء حاجة أخيه المؤمن وتنفيس كربته.

3 - ذكر الله على كل حال

والخصلة الثالثة من الخصال التي تعدّ سيدة الأعمال هي ذكر الله على كلِّ حال.

والمقصود من الذكر لله تبارك وتعالى هو اللهج به عزَّ وجلَّ، سواء كان بالقرآن أو الدعاء، أو التحميد والتمجيد، أو الهللة أو الحوقلة، أو غير ذلك ممَّا يعدّه الشارع ذكراً لله عزَّ وجلَّ، وقد حثَّت الآيات والروايات على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) 2.

وعن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ألا أخبرُكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم

ص: 268

1- (1) عدّة الداعي: ص 179. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 442، عنه بحار الأنوار: ج 94، ص 129، ح 5.

وتقتلونهم ويقتلونكم؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله كثيراً» (1).

وكلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تشير إلى ذكر الله تبارك وتعالى في موطن دون آخر، بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على ذكر الله تبارك وتعالى على كل حال، سواء في الشدة أو الرخاء، في المرض أو الشفاء، في البر أو البحر، لا كما يصنعه بعض ضعيفي الإيمان من الذين لا يذكرون الله عز وجل إلا في موطن يظنون أن هلاكهم فيها، وكأنهم لا يعلمون أن حياتهم ومماتهم بيده جل وعلا في كل حال من الأحوال، وهذا ما حكاه القرآن الكريم حيث يقول: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) 2، فهؤلاء لا يدعون الله ولا يذكرونه، بل ولا يؤمنون به - كما هو صريح الآية المباركة - إلا في موطن مظنة الهلاك، وأما في غيرها فلا.

فهم عندما يركبون السفن وتهيج الأمواج بهم حينئذ يلجئون إلى الله تبارك وتعالى، ويدعونه مخلصين له الدين، ولكن وبما أن اليأس - بحسب اعتقادهم - أنها مظنة النجاة، ولا هلاك فيها يرجعون إلى ما هم عليه من الشرك والإلحاد، ومع هذا يستجيب الله لهم برحمته وكرمه عز وجل، وينجيهم من هلاك البحر، ولكن تباركت أسماؤه غير غافلٍ عن أفعالهم، ومطلع على قلوبهم.

أما الذين هم أولياء الله حقاً، فقد كانوا يذكرون الله عز وجل في أشد الساعات وأحدها، بل حتى في لهوات الحرب، فهذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقوم فيصلّي في معركة صفين، بل ما ترك حتى صلاة الليل - التي هي نافلة - في ليلة الهير، وعندما يُسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صلاته في هذا الوقت، يجيب قائلاً: قاتلناهم من أجلها فكيف نتركها من

ص: 269

1- (1) المحاسن: ج 1، ص 38 - ص 39، ح 42. الكافي: ج 2، ص 499، ح 1 مع اختلافٍ يسير. وسائل الشيعة: ج 7، ص 154 - ص 155، ح 7. بحار الأنوار: ج 90، ص 157، ح 29 عن المحاسن.

يعنى يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إنَّ قتالنا مع هؤلاء القوم إنّما هو لأجل الدين والالتزام بالشرع القويم، والذي أهمّ ما فيه الصلاة، والتي هي عموده وفسطاطه، فكيف نتركها إذا نحن قاتلناهم واشتغلنا بقتالهم، حتى ولو كانت هذه الصلاة نافلة؟!!

بل وبترقى الحال بأولياء الله فيذكرونه تعالى في ساعة نزول الموت بهم، وهذا ما صنعه سيّد الأولياء والأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام عندما ضربه أشقى الأشرقياء على هامته، فوقع الإمام عليه السلام على وجهه قائلاً:

بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله... ثمّ قال: «فُزْتُ وربّ الكعبة» (2).

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلُ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتّقين.

ص: 270

-
- 1- (1) انظر: كشف اليقين: ص 122. منهاج الكرامة: ص 161. نهج الحقّ وكشف الصدق: ص 248. إحقاق الحقّ: ص 206. حلية الأبرار: ج 2، ص 180. وسائل الشيعة: ج 4، ص 246، ح 2. بحار الأنوار: ج 80، ص 23، ح 43.
- 2- (2) خصائص الأئمة: ص 63. شرح الأخبار: ج 2، ص 442. مناقب آل أبي طالب: ج 1، ص 385. بحار الأنوار: ج 20، ص 148، والكلمة متواترة.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) 1 .

تتناول هذه السورة المباركة تفاخر الناس فيما بينهم، واعتمادهم على مسائل يعدونها معياراً للتفاخر، مع أن الأمر واقعاً وحقيقةً ليس كذلك؛ لأن المعايير عند الناس ليست هي المعايير الموجودة في الشريعة، فقد يتفاخر الناس فيما بينهم في كثرة الأولاد أو الأموال، أو كثرة الحروب والغزوات، بل وحتى السرقات، أو غير ذلك، مع أن هذه الأمور ليست مورداً للتفاخر والتفاضل في ميزان الشرع المقدس، ولذا يصرح القرآن ويقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) 2 ، فالتقوى هي المعيار عند الله تبارك وتعالى في تقديم إنسان على آخر، وغيرها من الأمور التي بها يتمايز الناس فهي في الأعم الأغلب ليست ميزاناً ولا معياراً عند الله تبارك وتعالى.

والسبب في نزول هذه السورة هو: إن مجموعة من القبائل كانت تتفاخر على بعضها بكثرة الأموال والأنفس، حتى أنها كان تذهب إلى المقابر وتعد موتاهم، وتتفاخر في أن أفراد عشيرتها - أحياء وأموات - بمجموعهم أكثر من غيرهم، فنزلت هذه السورة المباركة، وقيل غير ذلك (1).

والمهم في المقام أن السورة تدمّ التفاخر والتكاثر بجميع صنوفه التي لا يرتضيها

ص: 273

الشرع المبين، مهما كان سبب نزول السورة؛ لأنَّ المورد لا يخصَّص الوارد، بمعنى أنَّ سبب النزول لهذه السورة المباركة حتَّى لو كان شخصاً معيَّناً أو فرقة معينة، فهي تبقى سارية المفعول في الأجيال والأعوام اللاحقة؛ لأنَّ القرآن بآياته يجرى مجرى الليل والنهار والشمس والقمر (1)، لا يحده زمان ولا- سبب، ويمكن أن تطبَّق آياته على مصاديق عدَّة، إلَّا إذا علمنا التخصيص من خلال القرائن، أو من نفس الشارع المقدَّس.

تبتدأ السورة بهذا العتاب (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) يعنى بالأموال والأنفس وغيرهما، حتَّى أنكم ذهبتُم إلى المقابر؛ لتستكثروا بأفراد قبيلتكم، وهو قوله تعالى: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) .

واحتمل بعض المفسرين أنَّ جملة (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) المقصود منها هو: أنكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتَّى لحظة موتكم وورودكم إلى المقابر (2).

ولكن بالتدقيق في سبب نزول السورة نرى أنَّ المعنى الأول أكثر انسجاماً مع عبارة: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) ، ويؤيِّد هذا المعنى، بل يدلُّ عليه أيضاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إنَّه عليه السلام عندما تلا هذه الآية: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) قال: «يا له أمرٌ ما أبعدُه! وزوراً ما أغفلُه! وخطراً ما أفضعُه! لقد استخلوا منهم أى مدَّكر، وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعيد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبيراً أحقَّ من أن يكونوا مفتخراً» (3)،

ص: 274

-
- 1- (1) انظر: تفسير العياشى: ج 2، ص 203.
 - 2- (2) تفسير جوامع الجامع: ج 3، ص 836. تفسير مجمع البيان: ج 10، ص 432. تفسير غريب القرآن: ص 245. التفسير الصافى: ج 7، ص 545. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 662، ح 8، جامع البيان: ج 30، ص 362. تفسير ابن أبى حاتم: ج 10، ص 3459. تفسير ابن زمين: ج 5، ص 158. تفسير الثعلبى: ج 10، ص 276. تفسير الواحدى: ج 2، ص 1229، وغيره من التفاسير.
 - 3- (3) نهج البلاغة: ج 2، ص 204 - ص 205، ح 221، عنه تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 661، ح 6. وبحار الأنوار: ج 74، ص 432، ح 47، وج 79، ص 156، ح 1.

فالإمام عليه السلام يشير بهذه الخطبة إلى المعنى الأول من المعنيين المذكورين في تفسير (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) .

ثُمَّ تنتقل السورة إلى تهديد هؤلاء المتكاثرين قائلةً لهم: (كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، فليس الأمر كما تتوهمون، وبه تتفاخرون، بل سوف تعلمون نتيجة هذا التكاثر الموهوم، ثُمَّ يؤكد القرآن هذا المعنى مرةً أُخرى: (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) .

وذهب البعض من المفسرين إلى أنَّ هذا ليس تكراراً وتأكيذاً، بل الجملة الأولى: (كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والجملة الثانية: (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إشارة إلى عذاب يوم القيامة(1).

ويدلّ على هذا المعنى ما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أنه قال: «.. كَلَّا سوف تعلمون يريدُ في القبر، ثُمَّ كَلَّا سوف تعلمون، بعد البعث»(2).

ما هي دواعي التفاخر والتكاثر؟

هناك عدّة عوامل ودواعي للتفاخر والتكاثر، منها: ما ذكرته السورة المباركة، وهو جهل الإنسان بجزاء الآخرة، ومنها: جهل الإنسان بقدره وقيّمته، وضعفه ومسكنته، وبدايته ونهايته.

ومن أهمّ الدواعي للتفاخر والتكاثر هو عقدة الحقارة وضعف الشخصية، فيريد الإنسان الضعيف عن طريق تفاخره بقومه وعشيرته، أحيائهم وأمواتهم، أن يرفع هذه العقدة، ولذلك روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من رجلٍ تكبّر أو تجبّر إلاّ لذلّةٍ

ص: 275

1- (1) نسبه في مجمع البيان: ج 10، ص 432 إلى القليل، عنه تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 661، ح 7.

2- (2) تفسير مجمع البيان: ج 10، ص 432، عنه تفسير الأمثل: ج 5، ص 661.

وجدها في نفسه» (1)، وتفاخر هذه القبائل بأمواتها لا يخرج عن التكبر والتجبر، فالأفراد الفاشلون يريدون أن يغطوا فشلهم بهذه الطريقة، فيلجأون إلى التفاخر والمباهات بأمواتهم، إذا كان من يتفاخرون به ويتباهون فيه يستحق ذلك طبعاً، وإلا فيكون التفاخر والتكاثر بهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ومن بعد هذا الكلام نعود إلى السورة المباركة، حيث تقول: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ).

من أعلى مراتب الإيمان اليقين، وهو المقام الذي قل من وصل إليه؛ ولذا يقول إمامنا الباقر عليه السلام «ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين» (2)؛ وذلك لأن مقام اليقين مقام رفيع، ودرجة عالية، لا يمكن لكل أحد أن يصل إليها، وبه يعمر قلب الإنسان وروحه، وتطمئن نفسه.

ولليقين مراتب ثلاثة، أشارت السورة المباركة إلى اثنين منها، والثالث أشارت إليه سورة الواقعة في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) (3). والمراتب هي:

1 - علم اليقين: وهو الذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كمن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أن هناك ناراً.

2 - عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة، كمن يرى بعينه مثلاً النار.

3 - حق اليقين: وهو كمن يدخل النار بنفسه، ويحس بحرارتها، وهو أعلى المراتب الثلاثة.

ص: 276

1- (1) الكافي: ج 2، ص 312، ح 17، عنه بحار الأنوار: ج 70، ص 225، ح 17.

2- (2) المصدر السابق: ج 2، ص 52، ح 5. كتاب التمهيد: ص 63، ح 145. بحار الأنوار: ج 67، ص 138، ح 4 عن الكافي.

وهذه المراتب الثلاث تختلف باختلاف مراتب الناس، ودرجات إيمانهم، ومدى رسوخ عقيدتهم، فترى إنساناً عظيماً مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» (1)، ومعناه إنني وصلت إلى أعلى مراتب اليقين، وترى آخر غير ذلك تماماً، وهكذا.

ومن هنا روى أنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يمشى على الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو زاد يقينه لمشى على الهواء» (2).

ومن بعد هذا قد يسأل سائل ويقول: كيف يرى الإنسان الجحيم، ومتى؟

وفي صدد الجواب عن هذا السؤال فسّر قوله تعالى: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بتفسيرين:

الأول: مشاهدة الجحيم في يوم القيامة لنص بعض الآيات المباركة، أنه ما من أحد إلا وهو وارد جهنم، كقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) 3.

الثاني: إن هذه المشاهدة ليست مشاهدة بالأبصار، وإنما بالبصائر، وهذه المشاهدة تحصل في الدنيا.

ورجح جمع من المفسرين الرأي الأول لمناسبته للمقام (3).

ومعنى ذلك: أن من يتفاخر ويتكاثر للحياة الدنيا سوف يرى الجحيم يوم القيامة، ويُسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ويرى أين موضع تفاخره وتكاثره؟!

ص: 277

1- (1) مناقب آل أبي طالب: ج 1، ص 317. منتهى المطلب: ج 3، ص 44.

2- (2) مستدرک الوسائل: ج 11، ص 198، ح 16. شرح نهج البلاغة: ج 11، ص 202. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ج 3، ص 46.

3- (4) انظر: تفسير الأمثل: ج 20، ص 426.

ثُمَّ قَالَتِ السُّورَةُ (ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ).

ما هو النعيم الذي نُسأل عنه يوم القيامة؟

لقد وقع الخلاف بين المفسرين - عامة وخاصة - في تفسير النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة.

فذهب البعض إلى أنَّ المقصود منه هو السلامة وراحة البال والأمن (1)، وهذه الأشياء بلا شكَّ أنها نِعَمٌ ونِعَمٌ كبيرة جدًّا، ولا يتمكّن الإنسان أن يؤدّي حقَّ شكرها، ولكن الكلام هل هي التي يُسأل عنها الإنسان أم غيرها؟ لأنّه قال تعالى: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) 2، فَنِعَمُ الله تبارك وتعالى على عباده - الشاكر والناكر منهم - لا يمكن حصرها ولا عدّها أبدًا.

وعندما نعرض هذا السؤال على الأئمة عليهم السلام نجد الجواب في رواياتهم، فهذا أبو حنيفة يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن النعيم في قوله تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)، فقال الإمام عليه السلام: «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال أبو حنيفة: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال عليه السلام «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلةٍ أكلتها، وشربةٍ شربتها، ليطولنَّ وقوفُك بين يديه».

قال أبو حنيفة: فما النعيم؟ جعلتُ فداك!

ص: 278

1- (1) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ج 10، ص 3460. تفسير السمرقندي: ج 3، ص 589. تفسير الثعلبي: ج 10، ص 278. تفسير الواحدى: ج 2، ص 1230. تفسير السمعاني: ج 6، ص 276. تفسير النسفى: ج 4، ص 355. أحكام القرآن (ابن العربى): ج 4، ص 443. زاد المسير: ج 8، ص 302. التسهيل لعلوم التنزيل: ج 4، ص 216. الإتيان فى علوم القرآن: ج 2، ص 537. تحفة الأحوذى: ج 9، ص 203. فيض القدير: ج 2، ص 562، وغيره.

قال الإمام عليه السلام: «نحنُ أهل البيتِ النعيمُ الذى أنعمَ الله بنا على العباد، بنا اتلفوا بعد أن كانوا مُختلفين، وبنا أَلَفَ الله بين قُلُوبِهِمْ، وبنا أنقذهم الله من الشرك والمعاصي، وبنا جعلهم الله إخواناً، وبنا هداهم الله، فهى النعمةُ التى لا تنقطعُ، والله سائلهم عن حقِّ النعمة التى أنعم عليهم، وهو النبىُّ وعترته» (1).

ولكن تعال معى وأنظر إلى ما جرى على هذا النعيم، الذى أنعم الله به على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرج الناس بهم من الظلمات إلى النور، ماذا صنعت الأمة بهم وماذا جرّت عليهم من الويلات؟!

فهم الذين جعلوا الناس متتلفين بعد أن كانوا مختلفين، والأمة جازتهم على ذلك بأن فرقتهم فى البلاد، وأسكنتهم ظلم المطامير، وحرّ السجون، وقتلتهم شرّ قتل، وسبتهم أعظم سبى.

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أىّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: 279

1- (1) الدعوات: ص 158 - ص 159، ح 434. تفسير مجمع البيان: ج 10، ص 433. التفسير الصافى: ج 5، ص 370، وج 7، ص 547. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 663 عن مجمع البيان. تفسير الآلوسى: ج 30، ص 226. غاية المرام: ج 3، ص 85، ح 12. بحار الأنوار: ج 7، ص 258، وج 24، ص 49، وج 63، ص 315 - ص 316، وج 70، ص 70 - ص 71. مستدرک الوسائل: ج 16، ص 247، ح 4.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاجِبُونَ) (1).

تتناول هاتان الآيتان الشريفتان مفهوم الصراط، وأنه هناك صراط مستقيم صرحت به الآية الشريفة، والآخر غير مستقيم، والصراط المستقيم هو الذى يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جرى مجراه، وهم الأئمة المعصومون من ذريته صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه قد تواترت الأحاديث الشريفة بالأمر بالتمسك بهم (2)، وأنهم مع القرآن (3)، ولا يخرجون الناس من الهدى إلى الضلال (4).

بل بهم يُسلك إلى الرضوان، وبهم يهتدى إلى رضى الرحمن، وعلى من جحدتهم غضب الرحمن (5).

ص: 283

-
- 1- (1) المؤمنون: آية 73 - آية 74.
 - 2- (2) لاحظ في ذلك الحديث المتواتر (حديث الثقلين).
 - 3- (3) انظر: كتاب سليم بن قيس: ص 169. غاية المرام: ج 2، ص 364، ح 76. بصائر الدرجات: ص 103، ح 6. الكافي: ج 1، ص 191، ح 5. الاعتقادات في دين الإمامية: ص 122. كمال الدين وتمام النعمة: ص 240، ح 63. بحار الأنوار: ج 23، ص 342 - ص 343، ح 26 عن البصائر، وج 26، ص 250، ح 20 عن كمال الدين، وج 28، ص 15.
 - 4- (4) () انظر: المعجم الكبير: ج 5، ص 194. كنز العمال: ج 11، ص 611، ح 32959. نهج الإيمان: ص 503. وأنظر الحديث في مصادرها التالية: بصائر الدرجات: ص 71، ح 11، وص 7، ح 18. مناقب آل أبي طالب: ج 1، ص 250، وج 3، ص 5. بشارة المصطفى: ص 290، ح 14. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص 118، ح 181. غاية المرام: ج 1، ص 132، ح 25، وج 2، ص 288، ح 3.
 - 5- (5) انظر: الزيارة الجامعة الكبيرة في المصادر التالية: عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 308. من لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 616. تهذيب الأحكام: ج 6، ص 100. المزار (ابن المشهدى): ص 532. المحتضر: ج 219. بحار الأنوار: ج 99، ص 132.

فإذن هناك طريقان: أحدهما إلى الجنة يهتدي الله تبارك وتعالى إليه المؤمنين، كما قال عز وجل: (سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالنَّاصِيَةِ) وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ 1 .

والآخر إلى النار يهتدي الله تبارك وتعالى إليه أهل النار، كما قال عز وجل: (فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ) 2 .

وهذا هو الصراط غير المستقيم الذي يدعو إليه مَنْ لا يؤمن بالله ولا بالآخرة، كما عبّرت الآية الثانية التي افتتحنا بها الكلام.

وقبل الدخول في تفصيل الكلام ينبغي لنا تعريف الصراط أولاً؟

ما هو الصراط؟

ذكر في تعريف الصراط أنه: الطريق الذي يؤدّي إلى معرفة الله عز وجل (1)، ولكن هذا التعريف - كما يبدو - تعريف بالخاص؛ لأنّ الصراط على قسمين - كما ذكرنا - أحدها: الصراط المستقيم، وهو يؤدّي إلى ما يريده الله تبارك وتعالى.

والآخر غير المستقيم، وهو الذي يؤدّي إلى ما لا يريده الله عز وجل، فينبغي تعريف الصراط - كما صنع البعض - بأنّه الطريق الذي يسلكه الإنسان، فقد يكون مستقيماً، وقد يكون غير مستقيم (2).

والصراط المستقيم هو الدين الحقّ الذي نطلبه في طوال أيام حياتنا عندما نكرّر قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) 5، ونكرّر هذا المعنى في كلّ يوم غدوةً وعشيّاً.

ص: 284

1- (3) انظر: كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ص 467 حيث جاء فيه: «قال العلامة الفيض رحمه الله: الصراط هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل».

2- (4) انظر: تفسير الميزان: ج 1، ص 33.

وسُمّي الدين صراطاً؛ لأنه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنة، كما أن الطريق يؤدي بمن سلكه إلى مقصده.

وقد ذكرنا في أول كلامنا أن هناك صراطين، أحدهما: صراط الجنة، والآخر صراط النار، ولكن السؤال هو: هل أن هذين الصراطين مردُّهما إلى واحدٍ، ولكن يتمثل للكافر بشكلٍ، وللمؤمن بشكلٍ آخر، أو هما - حقيقةً وواقعاً - وجودان منفصلان، أحدهما خاصٌّ بالمؤمنين، والآخر بالكافرين؟

قال الشيخ المفيد رحمه الله في تفسير كون الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف: «والمراد بذلك: أنه لا تثبت لكافرٍ قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشى على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف. وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، يشرف العبد منه إلى الجنة ويرى منه أهوال النار» (1).

وظاهر كلامه رحمه الله أن الصراط واحد.

ونقل العلامة الحلي رحمه الله كلاماً صريحاً في وحدة الصراطين، حيث قال: «وقيل: إن هناك طريقاً واحداً على جهنم، يكلف الجميع المرور عليه، ويكون أدق من الشعر وأحد من السيف، فأهل الجنة يمرون عليه لا يلحقهم خوف ولا غم، والكفار يمرون عليه عقوبةً لهم وزيادةً في خوفهم، فإذا بلغ كل واحدٍ إلى مُستقره من النار سقط من ذلك الصراط» (2).

ولو تأملنا في الآيتين المباركتين، نجد أن ظاهرهما الصراط الواحد؛ لأن الآيتين

ص: 285

1- (1) تصحيح إعتقادات الإمامية: ص 109 - ص 110.

2- (2) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ص 576.

موجهتان الخطاب للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يدعو إلى الصراط المستقيم، والذين لا يؤمنون بالله تبارك وتعالى عن هذا الصراط - الذى يدعو إليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - ناكبون، ومعناه مائلون وعادلون عنه (1)؛ لأن الكافر لا هم له بالصراط المستقيم أبداً.

صراط الدنيا وصراط الآخرة

إن مهمة الأنبياء والرسل وجميع الأوصياء مهمة واحدة، تتلخص فى الأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه الخير والصلاح، عن طريق الموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، بالإنذار تارة، والتبشير تارة أخرى، وهم بلا شك ولا ريب رحمة أرسلها الله تبارك وتعالى بمنه ولطفه إلى عباده؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَيِّراً مُبِيناً) (2)، وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (3).

فمن تبعه فاز فى دار الدنيا والآخرة، ومن جحدته وعانده خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

والعلاقة وثيقة بين صراط الدنيا وصراط الآخرة، فمن جاز صراط الدنيا - وهو الآخذ بما أمر به القرآن الكريم، والانتهاه عما نهى عنه، والتمسك بحبل الله المتين، والعروة الوثقى وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الأطهار عليهم السلام - جاز صراط الآخرة إن شاء الله تعالى.

ص: 286

1- (1) فى مجمع البحرين: ج 4، ص 367: «أى عادلون عن القصد، يقال: نكب عن الطريق من باب قعد: عدل ومال».

2- (2) الأحزاب: آية 45 - آية 46.

هناك عدة قناطر توضع على الصراط، لكل قنطرة من هذه القناطر أمر وطلب للمولى عز وجل، لا يجوزها أحد إلا إذا كان متّصفاً بهذا الأمر وهذه الصفة.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام: قال: لما نزلت هذه الآية (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) 1، سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام، أخذ بكل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وتغيظ وزفير، وإنها لتزفر الزفرة، فلولا أن الله عز وجل أخرهم إلى الحساب لأهلكوا الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق، البر منهم والفاجر، فما خلق الله عز وجل عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا نادى: رب نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي: أمتي أمتي. ثم يوضع عليها صراط أدق من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الأخرى فعليها الصلاة، وأما الأخرى فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين عز وجل، وهو قوله تبارك وتعالى (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) 2. والناس على الصراط، فمتعلق، وقدم تزل، وقدم تستمسك، والملائكة حولهم ينادون: يا حليم، اغفر واصفح، وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافون فيها كالفراس، فإذا نجا ناج برحمة الله عز وجل، نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله، إن ربنا لغفور شكور» (1)

ص: 287

1- (3) أمالي الشيخ الصدوق: ص 241 - ص 242، ح 4. الكافي: ج 8، ص 312 - ص 313، ح 486. تفسير القمّي: ج 2، ص 421. التفسير الأصفي: ج 2، ص 1441. التفسير الصافي: ج 5، ص 326 - ص 327، وج 7، ص 476 - ص 477. تفسير نور الثقلين: ج 5، ص 373، ح 23 عن الكافي. بحار الأنوار: ج 7، ص 125، ح 1 عن الأمالي، وج 8، ص 65، ح 2 عن تفسير القمّي.

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله أيضاً بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: «ياعلّي، إذا كان يوم القيامة أفعُدُّ أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلّا مَنْ كانت معه براءة بولايتك» (1).

ونُقل عن الخوارزمي أنّه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا، فهو على بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة، فهو جسر جهنّم، مَنْ عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة» (2).

ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الشيخ النوري في كتابه المستدرک نقلاً عن كتاب الأنوار المضيئة، تأليف السيد بهاء الدين عليّ بن السيد غياث الدين الحسيني النيلي، الذي هو من علماء الإمامية وفقهاء الشيعة، يقول السيد المذكور: «أنّ رجلاً كان يقال له: محمد بن أبي أذينة، كان تولى مسبحة قرية لنا تُسمى قرية نيلة، انقطع يوماً في بيته فاستحضره فلم يتمكّن من الحضور، فسأله عن السبب فكشف لهم عن بدنه، فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى طرفي ركبته محرق بالنار، وقد أصابه من ذلك ألم شديد لا يمكنه معه القرار، فقالوا له: متى حصل لك ذلك؟

قال: اعلّموا أنّي رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت، والناس في حرج عظيم، وأكثرهم يساق إلى النار، والأقل إلى الجنة، فكنت مع مَنْ سيق إلى الجنة، فانتهى بنا المسير إلى قنطرة عظيمة في العرض والطول، فقيل: (هذا الصراط) فسرنا عليها، فإذا هي كلّ ما سلكنّا فيها قلّ عرضها، وبعد طولها، فلم نبرح كذلك ونحن نسرى (نسير) عليها، حتى

ص: 288

1- (1) الإعتقادات في دين الإمامية: ص 70. معاني الأخبار: ص 35 - ص 36، ح 6. تفسير نور الثقلين: ج 1، ص 22، ح 98 عن معاني الأخبار. بحار الأنوار: ج 8، ص 66، ح 4 عن معاني الأخبار، وص 70، ح 19 عن الإعتقادات، وج 23، ص 100، ح 4 عن معاني الأخبار أيضاً.

2- (2) نقله عنه الشيخ محمد طاهر القمّي الشيرازي في كتابه الأربعين: ص 78، والعلامة الأميني في الغدير: ج 2، ص 311.

عادت كحدّ السيف، وإذا تحتها وادٍ عظيم أوسع ما يكون من الأودية، تجرى فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كقلل الجبال، والناس ما بين ناجٍ وساقط، فلم أزل أميل من جهة إلى أخرى، حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة، فلم أتمالك حتى سقطت من عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهيت إلى الجرف، فجعلت كلّما تشبّث به لم يتماسك منه شيء في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث، وقد انذهلت وطار عقلي، وذهب لبي، فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوقع في روعي أنّه الإمام علي عليه السلام، فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين. فقال: هات يدك. فمددت يدي، فقبض عليها وجذبني، وألقاني على الجرف، ثمّ أماط النار عن وركي بيده الشريفة، فانتبهت مرعوباً، وأنا كما ترون. فإذا هو لم يسلم من النار إلّا ما مسّه الإمام عليه السلام، ثمّ مكث في منزله ثلاث أشهر يداوى ما أحرق منه بالمراهم حتى برى، وكان بعد ذلك قل أن يذكر هذه الحكاية لأحد إلّا أصابته الحمى» (1).

ما يخفّف المرور على الصراط

هناك عدّة أعمال لها الأثر البالغ في تخفيف أمر الصراط، ومن جملة هذه الأمور موالاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والبراءة من أعدائه، كما تقدّمت الإشارة إليه، بل أنّ مولاته عليه السلام والبراءة من أعدائه هي الصراط الأقوم الذي نسأله في صلواتنا، ونطلبه غدوةً وعشيّاً، فقد روى عنهم عليهم السلام: «أنّ الصراط صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الذي في الدنيا فهو أمير المؤمنين، فمن اهتدى إلى ولايته في الدنيا جاز على الصراط في الآخرة، ومن لم يهتدِ إلى ولايته في الدنيا لم يجز على الصراط في الآخرة» (2).

وهناك أعمال من صلوات وزيارات لها الأثر في تخفيف الممرّ على الصراط، ومن

ص: 289

1- (1) خاتمة مستدرک الوسائل: ج 2، ص 299 - ص 300.

2- (2) تأويل الآيات: ج 1، ص 29.

ضمن هذه الأعمال صلاة ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان، رواها جمال العارفين السيد ابن طاووس رحمه الله، حيث قال: «ومن صَلَّى في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان عشر ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) عشر مرّات، والمعوذتين عشر مرّات، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عشر مرّات، أعطاه الله تعالى ثواب المجتهدين، وثقل ميزانه، ويخفف عنه الحساب، ويمرّ على الصراط كالبرق الخاطف» (1)

ومن جملة الأعمال أيضاً زيارة الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زارني على بعد داري وشطون (2) مزارى أتيتّه يوم القيامة في ثلاثِ مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان» (3).

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: 290

-
- 1- (1) إقبال الأعمال: ج 3، ص 364 - ص 365.
 - 2- (2) الشطن: البعيد النازح. ومنه قيل: نوى شطون، وبئر شطون. ومن ذلك سميّ الجبل شطناً. غريب الحديث، ابن قتيبة: ج 2، ص 367.
 - 3- (3) كامل الزيارات: ص 506، ح 4. أمالي الشيخ الصدوق: ص 183، ح 9. الخصال: ص 167 - ص 168، ح 220. عيون أخبار الرضا: ج 1، ص 285، ح 2. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 2، ص 584، ح 3189. تهذيب الأحكام: ج 6، ص 85، ح 5. المزار (الشيخ المفيد): ص 195، ح 2. المزار (ابن المشهدي): ص 40، ح 21. روضة الواعظين: ص 235. العقد النضيد والدرّ الفريد: ص 34، ح 24. معارج اليقين في أصول الدين: ص 92، ح 9. وسائل الشيعة: ج 14، ص 551، ح 2. بحار الأنوار: ج 99، ص 34، ح 13 عن الخصال والأمالى.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «تَبَسُّمُ الرَّجُلِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ حَسَنَةٌ، وَصَرَفُ الْقَذَى عَنْهُ حَسَنَةٌ، وَمَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ» (1).

من الأفعال الحسنة التي حثَّ عليها الدين القويم، والشرائع السماوية جمعاء، هو إدخال السرور على المؤمنين، وبشتّى الطرق، ومختلف الوسائل، ومن الروايات التي حثَّت على هذا الفعل المهم، والعمل المقدَّس هذه الرواية الشريفة المروية عن إمامنا باقر علوم الأولين والآخرين، الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وقد ذكرها العلامة المجلسي رحمه الله في البحار مع بيان لها هذا نصّه، قال: «بيان: (حسنة) أى خصلة حسنة توجب الثواب (وصرفه القذى عنه) القذى يحتمل الحقيقة، وأن يكون كناية عن دفع كلّ ما يقع عليه من الأذى، قال في النهاية: فيه جماعة على أقذاء: الأقذاء جمع قذى، والقذى جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، أراد أنّ اجتماعهم يكون فساداً في قلوبهم، فشبهه بقذى العين والماء والشراب» (2).

وذكرت هذه الرواية الشريفة من بين كمّ هائلٍ من الروايات التي تعرّضت لثواب إدخال السرور على المؤمن (3).

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ فِيمَا نَاجَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَبْدَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ لِي عِبَاداً أَبْيَحُّهُمْ جَنَّتِي وَأَحْكَمُّهُمْ فِيهَا، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَبْيَحُّهُمْ جَنَّتِكَ وَتَحْكَمُّهُمْ فِيهَا؟ قَالَ: مَنْ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُوراً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُؤْمِناً كَانَ فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ

ص: 293

1- (1) الكافي: ج 2، ص 188، ح 2. وسائل الشيعة: ج 16، ص 349، ح 2. بحار الأنوار: ج 71، ص 288، ح 15 عن الكافي. جامع السعادات: ج 2، ص 174.

2- (2) بحار الأنوار: ج 71، ص 288.

3- (3) انظر - على سبيل المثال -: الكافي: ج 2، ص 188 - ص 192 باب إدخال السرور على المؤمنين، ففيه 16 رواية.

فولع به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجلٍ من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه: وعزّتي وجلالي لو كان [لك] في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرّمة على من مات بى مشركاً، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفى النهار، قلت: من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله» (1).

والرواية الشريفة التى افتتحنا بها الكلام ذكرت أمرين من حقوق الإخوة وحقائق الإيمان، الأول: التّبسّم، والثانى: صرف الأذى ودفعه عنه. ثم ذكرت أنّ الأهمّ من هذا كلّهُ هو إدخال السرور على المؤمن.

فكأنّما يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إنّ أهمّ ما يصنعه المؤمن لإخيه المؤمن هو إدخال السرور، فقد يكون إدخال السرور عن طريق التّبسّم، أو عن طريق إمطة الأذى عنه؛ لأنّ مصاديق إدخال السرور عديدة، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيانه.

سُبُل إدخال السرور على المؤمن

هناك عدّة سُبُل يمكن بها إدخال السرور على المؤمنين، ومن هذه السبل قضاء حوائجهم والسعى فيها، وتنفيس كربتهم، ونصرتهم وردّ العادية عنهم، وقضاء دينهم، وإشباع جوعتهم، إلى غير ذلك من الطرق العديدة التى بفعليها يدخل السرور على المؤمنين، والذى مرّده إلى رضا الله تبارك وتعالى، فقد روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أدخل السرور على مؤمنٍ فقد أدخله على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومَنْ أدخله على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد وصل ذلك إلى الله، وكذلك مَنْ أدخل عليه كرباً» (2).

ص: 294

-
- 1- (1) الكافي: ج 2، ص 188 - ص 189، ح 3، كتاب المؤمن: ص 50، ح 123، ثواب الأعمال: ص 272. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص 443 - ص 444. بحار الأنوار: ج 8، ص 314، ح 92 عن الكافي، وج 71، ص 288، ح 16 عنه أيضاً. مستدرک الوسائل: ج 12، ص 394، ح 3 عن كتاب المؤمن.
- 2- (2) المصدر السابق: ج 2، ص 192، ح 14. كتاب المؤمن: ص 68، ح 183. وسائل الشيعة: ج 16، ص 350، ح 4. بحار الأنوار: ج 71، ص 297، ح 27. مستدرک الوسائل: ج 12، ص 395، ح 5.

ولو أردنا استقصاء هذه السبل بكاملها لطال بنا المقام، ولكن نقتصر على الميسور منها، وإن كانت الروايات قد استقصت ذكر هذه السبل ومقدار ثوابها، وأعظم ثواباً لهذه السبل هو قضاء حاجة المؤمن؛ لأنه بها تُنَفِّسُ كُربته في الغالب، خصوصاً إذا كانت قضاء دينه وإشباع جوعته.

والخلاصة: يمكن القول: إنَّ قضاء حاجة المؤمن هي أعمُّ هذه السبل، فقد تكون حاجة المؤمن دفع الظلم عنه، فإذا دفعناه عنه تحقَّق معنى قضاء الحاجة.

وقد تكون حاجة المؤمن المسارعة في نصرته، فإذا نصرناه تحقَّق معنى قضاء الحاجة، وهكذا يمكن الكلام في الجميع.

ومن هنا سوف يتحقَّق إدخال السرور على المؤمن بقضاء حاجته، غاية ما هناك أنَّ قضاء الحاجة له كفيات مختلفة، وصور متنوعة كلّها يُعَبَّرُ عنها بقضاء الحوائج، وهو المعنى الذي أكّده الروايات الشريفة وحثّت عليه.

فقد روى بسندٍ مُعتبر عن المشمعل الأسدي أنه قال: «خرجت ذات سنة حاجّاً، فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال: من أين بك يا مشمعل؟ فقلت: جعلت فداك، كنت حاجّاً. فقال: أو تدري ما للحاج من الثواب؟ فقلت: ما أدري حتى تعلمني. فقال: إنَّ العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعاً، وصلى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له ستّة آلاف حسنة، وحط عنه ستّة آلاف سيئة، ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا، وأدّخر له للآخرة كذا. فقلت له: جعلت فداك، إنَّ هذا لكثير! قال: أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قال قلت: بلى. فقال عليه السلام: لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة، حتى عدَّ عشر حجج» (1).

ص: 295

1- (1) أمالي الشيخ الصدوق: ص 581 - ص 582، ح 14. روضة الواعظين: ص 359 - ص 360. بحار الأنوار: ج 71، ص 284 - ص 285، ح 4، عن الأمالي، وج 96، ص 3، ح 1 عن الأمالي أيضاً.

وروى عن حنان بن سدير عن أبيه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر عنده المؤمن، وما يجب من حقّه، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا الفضل، ألا أحدثك بحال المؤمن عند الله؟ فقلت: بلى، فحدثني جُعلت فداك. فقال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء، فقالا: يا ربّي، عبدك ونعم العبد، كان سريعاً إلى طاعتك، بطيئاً عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟ فيقول الجليل الجبار: اهبطا إلى الدنيا، وكونا عند قبر عبدى، وسبّحاني ومجّداني وهللاني وكبراني، واكتبا ذلك لعبدى حتى أبعثه من قبره. ثمّ قال لي: ألا أزيدك؟ قلت: بلى. فقال: إذا بعث الله المؤمن من قبره، خرج معه مثال يقدمه أمامه، فكلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة، قال له المثال: لا تجزع ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ. قال: فما يزال ييشّره بالسرور والكرامة من الله (سبحانه) حتى يقف بين يدي الله (عزّ وجلّ) ويحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج معي من قبري، ما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله (عزّ وجلّ) حتى كان ذلك، فمن أنت؟ فيقول له المثال: أنا السرور الذي أدخلته على أخيك في الدنيا، خلّني الله منه لأبشرك» (1).

إذن فدفع الأذى عن المؤمنين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم من الأفعال التي يحبّها الله ورسوله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وأقلّ حقّ يؤدّيه المؤمن لأخيه المؤمن الآخر هو التبسّم في وجهه، وصرف القذى عنه، وإلاّ فحقوقهم أكثر وأكبر من ذلك.

ولأنّقل لك هذه الحكاية عن أحد علمائنا الأبرار، وهو المولى المقدّس الأردبيلي رحمه الله، وحاصلها: أنّ بعض الزوّار رآه في النجف فحسبه - لرثّة ثيابه - من بعض الفقراء المتكسّبين، فسأله: هل تغسل هذه الثياب بالأجرة؟ قال: نعم، وواعده في الصحن ليأتي بها

ص: 296

1- (1) أمالي الشيخ الطوسي: ص 195 - ص 196، ح 35، عنه بحار الأنوار: ج 6، ص 152، ح 4، وج 71، ص 283، ح 3 عن الأمالي أيضاً.

إليه في الغد، فأخذها وغسلها بنفسه، وأتى إلى الصحن في الوقت المضروب، فوجد صاحبها هناك فدفعها إليه، وأراد صاحب الثياب أن يعطيه الأجرة فامتنع، فأخبره بعض المارة: إن هذا هو المقدّس الأردبيلي، العالم الشهير، فوقع على أقدامه معتذراً بأنّه لم يعرفه، فقال: لا بأس عليك: إنّ حقوق إخواننا أعظم من هذا(1).

وهكذا كان ديدن الأئمة عليهم السلام مع شيعتهم المؤمنين المخلصين، بل وهكذا كان المؤمنون يحاولون إدخال السرور على إخوانهم بشتى الطرق والوسائل؛ لأنّهم تعلّموا من أئمتهم عليهم السلام أنّه ما عبّد الله بشيء أحبّ إليه من إدخال السرور على المؤمنين.

فهذا هو سيد الشهداء عليه السلام يتوسّط لقضاء حوائج المؤمنين لدى الفاسقين؛ لأجل إدخال السرور على المؤمنين، «فقد دخل الحسين عليه السلام على معاوية، وعنده أعرابي يسأله حاجة، فأمسك وتشاغل بالحسين، فقال الأعرابي لبعض من حضر: من هذا الذي دخل؟ قالوا: الحسين بن علي، فقال الأعرابي للحسين: يا ابن بنت رسول الله، لما كلمته حاجتي، فكلمه الحسين في ذلك، فقضى حاجته، فقال الأعرابي:

أبيّ العبشمى فلم يجد لى إلى أن هزّه ابنُ الرسولِ

هو ابنُ المُصطفى كراماً وجوداً ومن بطنِ المُطهّرةِ البتولِ

وإنّ لهاشمَ فضلاً عليكم كما فضل الربيع على المحولِ

فقال معاوية: يا أعرابي أعطيك، وتمدحه؟ فقال الأعرابي: يا معاوية، أعطيتني من حقّه وقضيت حاجتي بقوله «(2)

وقد روى عنه عليه السلام أنّه قال: «صحّ عندي قولُ النبيّ أفضلُ الأعمال بعد الصلاة إدخالُ السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فإنّي رأيتُ غلاماً يواكلُ كلباً، فقلتُ له في ذلك،

ص: 297

1- (1) من المسموعات التي نقلها لنا الأساتذة في الأخلاق.

2- (2) مناقب آل أبي طالب: ج 3، ص 235، عنه بحار الأنوار: ج 44، ص 210، ح 6، والعوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص 84 - ص 85، ح 2.

فقال: يا ابن رسول الله، إني مغمومٌ أطلبُ سروراً بسروره؛ لأنَّ صاحبي يهودى أريد أفارقه. فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتى دينار ثمناً له، فقال اليهودى: الغلام فدى لخطاك، وهذا البستان له، ورددتُ عليك المالَ. فقال عليه السلام: وأنا قد وهبتُ لك المالَ. فقال: قبلتُ المالَ ووهبته للغلام. فقال الحسين: أعتقتُ الغلامَ ووهبته له جميعاً. فقالت امرأته: قد أسلمتُ ووهبتُ زوجى مهرى. فقال اليهودى وأنا أيضاً أسلمتُ وأعطيتها هذه الدار»(1).

فأنظر وتأمل فى هذه الأخلاق الحسينية العظيمة، فما أن رأى الإمام الحسين عليه السلام هذا الغلام يواكل الكلب، ويطلب سروراً بسروره للكلب، حتى بادر الإمام إلى إكرامه والشفقة عليه، بأن ذهب إلى بيت اليهودى يشتريه منه ويحرره.

وهكذا كانت الرحمة الحسينية التى ورثها عن أبيه عليه السلام، وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأُمّه الزهراء عليها السلام، وأخيه المجتبى عليه السلام، ولكن أسفى عليك يا أبا عبد الله، فقد أدمعت عيون المؤمنين لما صَنع بك، وبآل بيتك فى يوم عاشوراء وما بعده فقد:

رضوا بجُردِهِمُ قراك وأضرّمو ناراً بأخبية المكارم والندى

وسبوا إليك حرائراً سبى الإما للشام فى ركبٍ به شمرٌ حدى

ولمجلسِ الطاغى جُلبنَ حواسراً يندبن يا جدّاه ما بين العدى(2)

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص:298

1- (1) مناقب آل أبى طالب: ج 3، ص 229 - ص 230. بحار الأنوار: ج 44، ص 194. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص 64 - ص 65. مستدرک الوسائل: ج 12، ص 398، ح 16.

2- (2) الأبيات من قصيدة رائعةٍ لشيخنا الأستاذ، الخطيب الشهير، الشيخ مُحَمَّد سعيد المنصورى رحمه الله، انظر: ديوان ميراث المنبر: ص 151.

المحاضرة التاسعة والعشرون: من أحب السبل إلى الله

ص: 299

روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أحبَّ السُّبُل إلى الله جرعتان: جُرعةٌ غيظٌ تردّها بحلمٍ، وجُرعةٌ حُزنٌ تردّها بصبرٍ» (1).

هناك بعض الآيات والروايات تكرر ذكرها؛ لأهميتها أولاً، وأهمية الموضوع الذي وردت فيه، ومن هذا القبيل الحديث الذي افتتحنا به كلامنا، فلقد روى هذا الحديث بطرق أخرى بتغيير يسير، فورد في الكافي الشريف: (وجرة مصيبة) بدل (حُزن)، وبدل (السُّبُل) كلمة (السبيل) (2)، والأمر سهل ما دام المضمون واحداً، أو قريباً جداً.

ولأهميته أيضاً روى تارة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وتارة أخرى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وثالثة عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأمر في غاية السهولة بعد أن كان كلامهم:

ووالِ اناساً قولهم وحديثهم روى جدُّنا عن جبرئيل عن البارئ (3)

ولأنَّ السُّبُل كثيرة ومتعددة؛ بين أمير المؤمنين عليه السلام أحبّها إلى الله عزّ وجلّ؛ لأنَّ من السُّبُل ما يؤدّي إلى الله تبارك وتعالى، مثل: (سبيل الله (4)، وسبيل المؤمنين (5)، ومنها: ما

ص: 301

1- (1) تحف العقول: ص 219. مشكاة الأنوار: ص 381، ونسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. بحار الأنوار: ج 75، ص 58، ح 128.

2- (2) انظر: الكافي: ج 2، ص 110، ح 9.

3- (3) انظر: الصراط المستقيم: ج 3، ص 207، ولم ينسبه لأحد، ولم أعثر على قائله، رغم التتبع الكثير.

4- (4) مثل قوله تعالى: (وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) البقرة: آية 195.

5- (5) مثل قوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِّ لَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء: آية 115.

يُؤَدِّي إلى غيره عزّ وجلّ، مثل: (سبيل الطاغوت(1)، وسبيل المجرمين(2)).

وهنا قد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ السُّبُل إلى الله تعالى، وهما السبيلان المذكوران.

والخلاصة: بعض السُّبُل تؤدِّي إلى الله عزّ وجلّ، وبعضها تؤدِّي إلى الشيطان؛ ولذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه خطّ خطّاً، ثمّ قال: «هذا سبيلُ الله، ثمّ خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثمّ قال: هذه سُبُل متفرّقة على كلّ سبيل شيطان يدعو إليه، ثمّ قرأ: (وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)» 3.

والسبيلان هما: جرعة غيظٍ تُردّ بحلمٍ، وجرعة حُزنٍ تُردّ بصبر.

أمّا الجرعة في اللغة: فهي كلّ شيءٍ يبلعه الحلق فهو اجتراع، والاسم الجرعة، وإذا جرّعه بمرّه، قيل: اجتّره، والاجتراع بالماء كالابتلاع بالطعام(3).

والتعبير بالجرعة غاية في الروعة والجمال، فكأنّه كناية عن التحمّل والبلع بمرارةٍ غير مألوفة، وهو كذلك؛ لذا صارت من أحبّ السُّبُل إلى الله تعالى.

أمّا الجرعة الأولى: فهي عبارة عن غيظٍ يتعرّض له المؤمن، ثمّ يقاوم ويصبر فيردّه بضدّه، وهو الحلم، فلذا صار لازماً علينا معرفة الغيظ ومعرفة ضدّه.

أمّا الغيظ فهو: هيجان الطبع، وانزعاج النفس(4)، وعدم كظمه هو عين الغضب(5).

ص: 302

1- (1) مثل قوله تعالى: (... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) النساء: آية 76.

2- (2) مثل قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِيَتَسَيَّنَّ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) الأنعام: آية 55.

3- (4) انظر: كتاب العين: ج 1، ص 225. تفسير التبيان: ج 3، ص 36.

4- (5) انظر: تفسير التبيان: ج 3، ص 36.

5- (6) انظر: عمدة القارئ: ج 2، ص 163.

فلو كظمه المؤمن ولم يفشه وحلم فقد صار ممسكاً لغيضه؛ لأنَّ كظم الغيظ هو الإمساك على ما في النفس من شدّة الغضب بالتصبر؛ حتّى لا يظهر له أثرٌ سيءٌ يضرّه ويضرّ غيره(1).

ويكفيك معرفةً بمقام كظم الغيظ قوله تعالى: (وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) 2، فهم من المحسنين الذين يحبّهم الله، وكفى به مقاماً ومنزلةً.

وما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْضاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْضَائِهِ، وَحَلَمَ عَنْهُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»(2)، وهو غاية في الترغيب؛ حتّى علّق عليه بعض أعظم الشّراح بقوله: «وفوائده (فوائد كظم الغيظ والحلم) غير محصورة، منها: أنّه يوجب زيادة الأنصار والأعوان، ومنها: أنّه يوجب الذكر الجميل بين الإخوان، والصيت الحسن في غابر الزمان، كما قيل:

فغفوك في الأيام كالمسكِ فايحٌ وصفحك في الإسلام كالنجم زاهر»(3).

إذن هذا هو الغيظ والذي يُردّ بحلم.

أمّا الحِلْم - بالكسر - فهو الأناة، تقول منه: حلّم الرجل، بالضم. وتحلّم: تكلف الحلم(4).

وقد ورد الأمر بالتحلّم عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، ففي الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلّم»(5).

ص: 303

1- (1) انظر: الشفاء الروحي: ص 231.

2- (3) أمالي الشيخ الصدوق: ص 516. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 4، ص 15.

3- (4) شرح أصول الكافي (المازندراني): ج 1، ص 240.

4- (5) الصحاح: ج 5، ص 1903.

5- (6) الكافي: ج 2، ص 112، ح 6.

وعَلَّقَ عليه المازندراني بقوله: «المراد: أَنَّ الحلم ناصر كافٍ للحليم؛ لأنَّ الناس يَحْتَبُونَهُ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيَعِينُونَهُ فِي الْمَكَارِهِ، وَقَالَ: إِذَا لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ. فَكَتَسَبَ الْحَلَمُ؛ لِأَنَّ الْحَلَمَ كَسَايِرِ الْأَخْلَاقِ، قَدْ يَكُونُ خُلُقِيًّا وَقَدْ يَكُونُ كَسْبِيًّا، أَوِ الْمَرَادُ: فَتَكَلَّفَ الْحَلَمَ وَأَظْهَرَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يَجُزُّ إِلَى إِكْتِسَابِ الْحَلَمِ وَالْإِتِّصَافِ بِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ. أَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ الْحَلَمَ أَحْسَنُ، وَإِنْ يَكُنْ فَالتَّشَبُّهُ بِالْحَلِيمِ حَسَنٌ» (1).

وقد يغضب الإنسان فيكون غضبه لله تبارك وتعالى، إذا كان في الحلم مفسدة أكبر من الغضب، كما لو ظلم إنساناً في حضرة إنسان آخر، أو اعتدى عليه، فيكون الدفاع عنه أولى من الحلم عن المعتدى والظالم، كما روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقر، وكان إذا دخل المسجد تنفس حوا له حتى يقعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسمع ما يقول، فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم، فجعل يتخطى رقاب الناس، وهو يقول: تنفس حوا تنفس حوا، حتى انتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة قال: مَنْ هَذَا؟ قال الرجل: أنا فلان، قال ثابت: ابن فلانة؟ ذكر أماً له كان يُعَيَّرُ بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءً، فنزل قوله تعالى: (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) 2... فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ الذاكر فلانة؟

فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: انظر في وجوه القوم، فنظر إليهم فقال: ما رأيت يا ثابت؟ فقال رأيت أسود وأبيض وأحمر، قال: فَإِنَّكَ لَا تَفْضُلُهُمْ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالِدِينِ، فنزل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) 3، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ص: 304

وبالتأمل في هذه الواقعة نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الذى مدحه القرآن الكريم ب (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) 3 - يقوم ويصنع مع المعتدى والساخر ما لم يألفه الكثير من المسلمين، لكن فى الواقع فعله صلى الله عليه وآله وسلم من صميم الدين والخُلُق العظيم الذى مدحه الله تبارك وتعالى به؛ إذ كيف يحلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إنسان ارتكب ما هو بعيد عن روح الإسلام وتعاليمه، وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه العظيمة، بل ارتكب ذنباً عظيماً وهو السخرية من الآخرين، وعليه إذن فى هكذا مورد وأمثاله يكون عدم الحلم هو المتعين؛ اقتداءً بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هذه هى الجرعة الأولى والسبيل الأول.

وأما الجرعة الثانية: جرعة حزن تردّها بصبر.

الحزن كلمة حزينة بذاتها، تذيب القلب عند سماعها، ركبت بتركيب عجيب، يتهادى لها كلّ صلب، فضلاً عن اللين والحنون، لفظة مرّة المذاق، وجرعة عجيبة الطعم، وصعبة التناول.

هى كلمة تجمع كلّ ما هو خلاف السرور⁽¹⁾ ونقيض الفرح⁽²⁾.

قال المازندراني: «والحُزن بالضم خلاف السرور، وحزنه الأمر حزناً وأحزنه جعله حزيناً، وحزنه تحزيناً جعل فيه حزناً، فهو محزون ومحزن وحزين. وحزناً بكسر الزاى وضمها»⁽³⁾.

ومن المعلوم أنّ الحزن يكون فى الرزايا، فينبغى أن يكون السرور فى الفوائد وما يجرى

ص: 305

1- (4) انظر: الصحاح: ج 5، ص 2098.

2- (5) انظر: لسان العرب: ج 13، ص 11.

3- (6) شرح أصول الكافي: ج 10، ص 419.

مجرأها من الملاذ، كما نصّ على ذلك أبو هلال العسكري فى الفروق اللغوية(1).

فإن كان هذا الحزن لله تعالى خوفاً منه تباركت أسماؤه، وشوقاً لفراقه جلّ وعلا، كان جميلاً، كما روى ذلك عن تلك المرأة الصالحة التى جاء زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: إنّ لى زوجة إذا دخلت تلقّتنى، وإذا خرجت شيّعتنى، وإذا رأتنى مهموماً قالت لى: ما يهتّمك؟ إن تهتّم لرزقك فقد تكفّل لك به غيرك، وإن كنت تهتّم بأمر آخرتك فزادك الله همّاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لله عمّالاً، وهذه من عمّاله، لها نصف أجر الشهيد»(2).

وأما الحزن لأجل أمور الدنيا فقد نهانا البارى عزّ وجلّ عنه، حيث يقول - جلّت أسماؤه -: (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ما مَتَّعنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ)3.

والطريق السليم، والحل الذى رسمته لنا السماء للحزن هو الصبر، حيث قال تبارك وتعالى: (وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرَكَ إِلَّا بِاللّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فى ضَيْقٍ مِّمّا يَمْكُرُونَ)4.

إذن علاج الحزن هو الصبر، والذى ورد فيه الحثّ الأكيد، فعن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»(3).

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتّقين.

ص:306

1- (1) انظر: الفروق اللغوية: ص 277

2- (2) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج 3، ص 389، ح 4369.

3- (5) الكافي: ج 2، ص 87، ح 2، وح 5.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأعياد: «إنَّما هو عيدٌ لِمَن قَبِلَ اللّهُ من صيامه، وشكَّرَ قيامه، وكلَّ يوم لا يُعصى اللّهُ فيه فهو عيدٌ» (1).

بعد مضي شهر من الصيام والقيام، أتعب فيه المسلمون المؤمنون أنفسهم بإحيائه بالعبادة بشتّى أنواعها، من قراءة لكتاب الله العزيز الحكيم، وتلاوة الأدعية، والتقرّب إليه عزّ وجلّ بالفرائض والنوافل... فبعد كلّ هذا رَوْح الله تبارك وتعالى على المسلمين بفرحة تعمّ قلوب جميع المؤمنين، يجتمعون فيه معاً مهنّئين ومكبرين الله عزّ وجلّ، وحامديه على كمال التوفيق، واتمام النعمة عليهم بالانتهاء من هذه الفريضة المقدّسة، وهي فريضة الصوم.

ويُسمّى هذا اليوم السعيد في الأرض بالعيد، وفي السماء بيوم الجائزة (2) ينادى الحقّ تبارك وتعالى الملائكة: «يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمِلَ عَمَلَه؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، قال: فيقول عزّ وجلّ: فإني أشهدكم ملائكتي، أنّي قد جعلت ثوابهم عن صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، ويقول جلّ جلاله: يا عبادي، سلوني فوعزّتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لا آخرتكم إلاّ أعطيتكم، ولدنياكم إلاّ نظرت لكم، وعزّتي لأسترن عليكم عثراتكم ما رأيتموني، وعزّتي لا أخزيتكم ولا أفصحنكم بين يدي أصحاب الخلود. انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني فرضيت عنكم، فتعرج الملائكة وتستبشر بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من

ص: 309

-
- 1- (1) نهج البلاغة: ج 4، ص 721. روضة الواعظين: ص 354. وسائل الشيعة: ج 15، ص 308، ح 12. بحار الأنوار: ج 88، ص 136، ح 5 عن النهج. مستدرک الوسائل: ج 6، ص 149 - ص 150، ح 1.
- 2- (2) انظر: الكافي: ج 4، ص 67 - ص 68، ح 6. أمالي الشيخ الصدوق: ص 102 - ص 103، ح 1، ثواب الأعمال: ص 64. فضائل الأشهر الثلاثة: ص 80، ح 62.

وهذا الكلام الذى افتتحنا به حديثنا هو كلام سيد البلغاء والمتكلمين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روى فى غير النهج بكيفية أخرى مشتركة، تشابه ما فى النهج فى بعض الجمل.

فقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «اليوم لنا عيدٌ، وغداً لنا عيدٌ، وكلُّ يومٍ لا نعصى الله فيه، فهو لنا عيد» (2).

والظاهر أنَّ الحادثة تكررت مرتين، تعرّض فيها الإمام عليه السلام لذكر العيد.

والمهمّ فى المقام هو تناول كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الواردة فى نهج البلاغة، إذ يقول الإمام عليه السلام: «إنَّما هو عيدٌ لمن قَبِلَ الله من صيامه، وشكَّرَ قيامه، وكلُّ يومٍ لا يُعصى الله فيه فهو عيد». وسنتعرّض لهذه الجملة الشريفة بإيجاز.

شرائط قبول الصوم

يتعرّض الفقهاء فى كتاب الصوم لشرائط الصوم غالباً، ويعرضون فى الغالب عن التعرّض لشرائط القبول، مع أنَّ الكثير منهم يذكر أن للصوم شروط صحّة وقبول، وعدم ذكرهم لها، إمّا لكونها خارجة عن غرضهم فعلاً، أو لكون شروط القبول لا يعلمها إلاَّ الله تبارك وتعالى.

أمّا شروط الصحّة: فهى عديدة، منها: الإسلام، والإيمان، والعقل، والخلو من الحيض والنفاس، وعدم الإصباح جُنُباً، وعدم السفر، وعدم المرض، وما هو مذكور فى محلّه.

ص: 310

1- (1) فضائل الأشهر الثلاثة: ص 127 - ص 128. روضة الواعظين: ص 347. أمالى الشيخ المفيد: ص 232، ح 3. إقبال الأعمال: ج 1، ص 25. فضائل الأوقات: ص 252. الدرّ المنثور: ج 1، ص 187. تاريخ مدينة دمشق: ج 52، ص 292. بحار الأنوار: ج 93، ص 339 ضمن ح 1 عن أمالى الشيخ المفيد.

2- (2) مستدرک الوسائل: ج 6، ص 154، ح 8.

وأما شروط القبول: فأول شرط وأهمها على الإطلاق هو التقوى، والتقوى شرط عام لقبول الأعمال؛ لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مَنِ الْمُتَّقِينَ) 1، سواء كان العمل صوماً أم غيره من سائر العبادات.

ومن الشروط المهمة أيضاً، والتي تعرّضت الروايات لذكره، هو زكاة الفطرة، فعن أبي بصير وزرارة جميعاً، قالاً: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ مَنْ تَمَامَ الصَّوْمِ إِعْطَاءَ الزَّكَاةِ - يَعْنِي: الْفِطْرَةَ - كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ صَامَ وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ فَلَا صَوْمَ لَهُ إِذَا تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا، وَلَا صَلَاةَ لَهُ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَدَأَ بِهَا قَبْلَ الصَّوْمِ، فَقَالَ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)» 2.

مضافاً إلى ذلك كونها زكاة وصدقة مطهّرة للصائم من الهفوات والزلات، التي تعرّض لها العبد في أيام صيامه.

ومن هنا روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين. فَمَنْ آذَاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ آذَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ» (1).

وفي بعض الأحاديث: «إِنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ مَعْلُوقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَرْفَعُ إِلَّا

ص: 311

1- (3) سنن ابن ماجه: ج 1، ص 585، ح 1827. سنن أبي داود: ج 1، ص 362 - ص 363، ح 1609. المستدرک علی الصحیحین: ج 1، ص 409. السنن الكبرى (البيهقي): ج 4، ص 163. سنن الدار قطنی: ج 2، ص 121، ح 2048. فضائل الأوقات: ص 308 - ص 309، ح 147. عوالي اللئالی: ج 1، ص 177، ح 221، عنه مستدرک الوسائل: ج 7، ص 138، ح 5، وجامع أحاديث الشيعة: ج 8، ص 271، ح 9.

بزكاة الفطر»⁽¹⁾، وهذا ظاهر في كونها من شروط القبول، «وهو كناية عن توقف تمام ثوابه، حتى تؤدَّى الزكاة، فلا ينافي حصول أصل الثواب بدونها»⁽²⁾.

وزكاة الفطرة هذه تجب بدخول ليلة العيد على المشهور، ويجوز تأخيرها إلى زوال الشمس يوم العيد لمن لم يصلِّ صلاة العيد، والأحوط عدم تأخيرها عن صلاة العيد لمن يصلِّيها⁽³⁾.

ويشترط في وجوبها: البلوغ، والعقل، وعدم الإغماء، والغنى. ويجب على من اجتمع فيه الشرائط أن يخرجها عن نفسه، وعن كل من يعوله، واجب النفقة أم غيره، وسواء أكان قريباً أم بعيداً، مسلماً أم كافراً، صغيراً أم كبيراً.

ويُستحب للفقير أن يخرجها، كأن يتصدَّق على بعض عياله بصاع، ثم هو على آخر، يديرونها بينهم، ويُستحب بعد الانتهاء التصدَّق على الأجنبي. والمقدار الواجب إخراجه فيها صاع، وهو أربعة أمداد، وتحديد الصاع بحسب الكيلو ثلاث كيلوات أو أكثر بقليل.

والضابط في الجنس الذي يُعطى: القوت الشائع لأهل البلد، سواء كان من الأجناس الأربعة (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) أم من غيرها، كالأرز والذرة، أو تُدفع قيمة ذلك، وتفصيل الكلام فيها في محله من الرسائل العملية لمراجعنا العظام⁽⁴⁾.

والخلاصة فالعيد بنظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو لمن قبل الله من صيامه، بالإضافة إلى الشرط الثاني، وهو (شكر القيام).

ص: 312

1- (1) إعانة الطالبين: ج 2، ص 190. الدر المنثور: ج 1، ص 344.

2- (2) ذكره البكري الدمياطي في إعانة الطالبين: ج 2، ص 190.

3- (3) انظر: منهاج الصالحين (السيد السيستاني): ج 1، ص 381.

4- (4) انظر - على سبيل المثال -: العروة الوثقى مع تعليقات عدّة من الفقهاء العظام: ج 4، ص 201 - ص 225.

ومن ضمن الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام في حديثه المبارك صفة القيام، الذي شكره الله تبارك لصاحبه، فهو مع مَنْ قَبِلَ الله صيامه، هؤلاء هم أصحاب العيد حقاً، وخصَّ الإمام عليه السلام القيام والصيام في حديثه الشريف لكون شهر رمضان شهر قيام وصيام، والأول من صفات المتّقين كما ذكر الإمام عليه السلام نفسه ذلك لهما في خطبة المتّقين، حيث قال عليه السلام فيها: «أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يُرتّلونه ترتيلاً، يُحزّنون به أنفسهم...»⁽¹⁾، وأما الصيام وفضله فهو أشهر من أن يُذكر.

وصفة الصيام والقيام متلازمان في شهر رمضان المبارك لكثير من المؤمنين، ومن هنا ورد في بعض أدعية هذا الشهر الكريم هذا الدعاء المبارك: «إلهي ربّ الصائمين وفازّ القائمون»⁽²⁾ الذي يشير إلى صفتي الصيام والقيام، ويمكن للإنسان أن يقوم الليل بقراءة القرآن الكريم، والأدعية المباركة، والمناجاة العالية المضامين. وأوضح من الجميع أن يقوم لله تبارك وتعالى بالصلاة؛ فإنّها خير موضوع، فمن شاء استقلّ، ومن شاء استكثر، كما ورد ذلك في الأثر الشريف⁽³⁾.

ص: 313

-
- 1- (1) كتاب سليم بن قيس: ص 372. نهج البلاغة: ج 2، ص 161، خطبة المتّقين رقم 193. كتاب التمهيد: ص 71. أمالي الشيخ الصدوق: ص 667. صفات الشيعة: ص 20. تحف العقول: ص 159. روضة الواعظين: ص 8 43. كنز الفوائد: ص 32. مكارم الأخلاق: ص 476. كشف الغمّة: ج 1، ص 99. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص 139. بحار الأنوار: ج 64، ص 315، ح 50 عن النهج، وص 341 - ص 342، ح 51 عن الأمالي، وج 65، ص 194.
 - 2- (2) مفاتيح الجنان: ص 236، أدعية ليالي شهر رمضان المبارك.
 - 3- (3) انظر: الألفية والنفلية: ص 83. مكارم الأخلاق: ص 472. بحار الأنوار: ج 79، ص 308 - ص 309، ح 9. جامع أحاديث الشيعة: ج 4، ص 5، ح 13. المعجم الكبير: ج 8، ص 218. الإستذكار: ج 2، ص 98. كنز العمال: ج 8، ص 13، ح 21652.

وهي أفضل ما يتقرب به العبد لربه جلّ وعلا(1)، وهناك صلوات عديدة مستحبة في ليالي شهر رمضان المبارك أكدت الروايات الشريفة(2) على أداء بعضها تأكيداً منقطع النظير، ومن تلك الصلوات صلوات ليالي القدر المباركة التي ورد التأكيد على أحيائها بالعبادة، وقراءة الأدعية، وتلاوة آيات الذكر الحكيم.

كلّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد

ثمّ يعمّم الإمام عليه السلام إطلاق العيد على كلّ يوم لا يعصى الإنسان فيه ربّه عزّ وجلّ، وهذا توسيع لدائرة مفهوم العيد، فليس العيد معناه لبس الجديد، بل العيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكلّ يوم لا يعصى الله تبارك وتعالى فيه فهو عيد بالنسبة لذلك الإنسان.

وأما الإنسان الذي قضى هذا الشهر المبارك - شهر رمضان - باللعب واللهو والمعاصي، فهو ليس من أهل هذا اليوم أصلاً؛ لأنّ هذا اليوم - يوم العيد - بنصّ كلام الإمام عليه السلام للصائمين، وليس لكلّ الصائمين، بل من قبل الله صيامه، وللقائمين الذين شكر الله قيامهم.

وأما من أفطر في هذا الشهر العظيم فلا قيمة لفرحه يوم العيد؛ لأنّه لا يوجد مقتضى لفرحه، ولا أهميّة له؛ لأنّ الفرح الحقيقي هو ذلك الفرح الذي يفرحه الإنسان لأجل نيّله طاعة من طاعات الله تبارك وتعالى.

ولذا يقول سيد الشهداء عليه السلام: «ولا تفرح إلّا بما نلت من طاعة الله...»(3).

ص: 314

-
- 1- (1) انظر: بحار الأنوار: ج 75، ص 306. جامع أحاديث الشيعة: ج 14، ص 77.
 - 2- (2) انظر: كتب الأدعية والأذكار، مثل: مصباح المتهجد، المصباح، مفاتيح الجنان.
 - 3- (3) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص 917، عن أسرار الحكماء: ص 90. شرح إحقاق الحقّ: ج 27، ص 190، وص 198.

ومعلوم أنّ هذا الإنسان الذى قضى أيام هذا الشهر المبارك باللهو واللعب، لم ينل من طاعة الله عزّ وجلّ شيئاً، بل هو من أشدّ العصيين والمفترّطين بفرائض الله عزّ وجلّ، فيوم العيد بالنسبة له يوم حزن وألم على ما صدر منه من تفریط وعصيان؛ ولذا أكدت أدعية هذا الشهر المبارك على التوسّل بالله تبارك وتعالى كى يقبل صيام العباد وقيامهم، وأن يجعلهم من المرحومين، ولا يجعلهم من المحرومين، ولعلّ أصرح دعاء ما ورد فى آخر ليلة من هذا الشهر المبارك، حيث جاء فيه وفى غيره: «اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامنا إيّاه، فإن جعلته فاجعلنى مرحوماً، ولا تجعلنى محروماً»⁽¹⁾.

وأما فى اليوم الأول منه فيدعو الصائم بهذا الدعاء: «اللهم اجعل صيامى فيه صيام الصائمين، وقيامى فيه قيام القائمين، وتبّهنى فيه عن نومة الغافلين، وهب لى جُرمى فيه يا إله العالمين، واعف عني يا عافياً عنه المجرمين»⁽²⁾.

وهكذا الإنسان المؤمن يدأب على هذه الأدعية، ويسعى جاهداً لأن يوفّق، بأن يكون مقبول الصيام، ومشكور القيام؛ لكى يكون له العيد فى السماء يوم الجائزة، التى يهبها الله تبارك وتعالى لعباده الصائمين القائمين.

لكن أسفى عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين أن يمضى عيد تلك السنة ولم تكن حاضراً بجسمك الطاهر بين أهل بيتك، وإن كانت روحك لم تفارقهم حتّى لحظة واحدة، فهم لا يزالون يسمعون تكبيراتك من فوق منابر مسجد الكوفة، والتى تهتّز لها بيوتات أهل الكوفة بأجمعها، فتوقظ المؤمنين، وتصك أسماع المنافقين والملحدّين.

ص: 315

-
- 1- (1) فضائل الأشهر الثلاثة: ص 139، ح 149. إقبال الأعمال: ج 1، ص 422. المصباح: ص 640. بحار الأنوار: ج 95، ص 172.
وسائل الشيعة: ج 10، ص 365، ح 2. مستدرک الوسائل: ج 7، ص 480، ح 4 عن فضائل الأشهر الثلاثة.
- 2- (2) المصباح: ص 612.

ولسان حال المؤمنين بإمامهم ومولا هم أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

ألا يا عينُ جودى واسعدينا ألا فابكى أمير المؤمنين

وتبكى أم كلثوم عليه بعبرتها وقد رأت اليقينا

ألا قل للخوارج حيث كانوا فلا قرّت عُيُونُ الحاسدينا

وأبكى خيرَ مَنْ رَكَبَ المطايا وحثَّ بها وأقرى الظاعينا

وأبكى خيرَ مَنْ رَكَبَ المطايا وفارسَها وَمَنْ رَكَبَ السفينا

وَمَنْ لَيْسَ النَعَالُ وَمَنْ حَفَاها وَمَنْ قرأ المثنى والمئينا

وَمَنْ صامَ الهجيرَ وقامَ ليلاً وناجى الله خيرَ الخالقينا(1)

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: 316

1- (1) بحار الأنوار: ج 42، ص 299. وقال العلامة المجلسي رحمه الله: «قال أبو مخنف: فلما فرغوا... أقبل الحسن والحسين عليهما السلام إلى المنزل، فالتفت بهم أم كلثوم وأنشدت تقول هذه الأبيات لما سمعت بقتله، وقيل: إنها لأم الهيثم بنت العربان الخثعمية، وقيل: للأسود الدؤلى».

هذا تمام الكلام فى هذا الجزء الثالث، وبه تتم الأجزاء الثلاثة:

(معين الخطباء)

والتي تناولت موضوعات متعددة نافعة إن شاء الله تعالى، كتبها

لتسعينى فى حضرى وسفرى، وأن تكون معيناً لأخوتى،

راجياً من الله تبارك وتعالى أن

يتفضل علىّ بقبولها، وأن يعيننى على

العمل بما جاء فى موضوعاتها،

وأن تقع موضع الرضا

فى نظر مولاي

صاحب العصر

والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

فإنّه كريم من أولاد

الكرام.

**

*

كاظم البهادلى

قم المقدّسة/ 1434 هـ

ص: 317

1. الاحتجاج: أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (ت 548 هـ)، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان، منشورات مطابع النعمان النجف الأشرف 1386 هـ - 1966 م.
2. الإختصاص: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت 413 هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.
3. الأخلاق والآداب الإسلامية: هيئة محمّد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، الطبعة الثانية، قم المقدّسة، 1421 هـ.
4. الأربعون حديثاً: السيد روح الله الموسوي الخميني رحمه الله (ت 1409 هـ)، ترجمة: السيد محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم المقدّسة.
5. الإرشاد: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت 413 هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى 1417 هـ.
6. إغاثة الطالبين: السيد البكري الدميّاطي (ت 1310 هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ.
7. إعلام الوري: الشيخ الفاضل الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 458 هـ)، طبع ونشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى 1417 هـ.

8. إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس (ت 664 هـ) تحقيق: محمد جواد القيومي، الطبعة الأولى 1414 هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.
9. الأمالى: الشيخ الطوسى، محمد بن الحسن (ت 460 هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، نشر: دار الثقافة، الطبعة الأولى 1414 هـ.
10. الأمالى، الشيخ الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت 381 هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم المقدسة، الطبعة الأولى 1417 هـ.
- حرف الباء -
11. بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسى (ت 1111 هـ)، مطبعة مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية 1403 هـ.
- حرف التاء -
12. تأويل الآيات: السيد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى النجفى (ت 965 هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزة العلمية - قم المقدسة، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1366 هـ ش.
13. تاريخ الطبرى: محمد بن جرير الطبرى (ت 310 هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، انتشارات مؤسسة الأعلمى - بيروت - لبنان، بدون تاريخ.
14. التبيان: الشيخ الطوسى، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت 460 هـ) تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملى، الطبعة الأولى 1409 هـ، مكتب الإعلام الإسلامى.
15. تحف العقول: ابن شعبة الحرانى (ت القرن الرابع الهجرى)، تحقيق: على أكبر الغفارى، نشر جماعة المدرّسين بقم المقدسة، الطبعة الثانية 1404 هـ.
16. التحفة السنية (مخطوط): السيد عبد الله الجزائرى (ت 1180 هـ).
17. تفسير ابن أبى حاتم: ابن أبى حاتم الرازى (ت 327 هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، منشورات المكتبة العصرية.
18. تفسير ابن زمنين: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبى زمنين (ت 399 هـ) تحقيق: حسين عكاشة - محمد الكنز، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م، منشورات الفاروق الحديثة.
19. تفسير أبى السعود: أبو السعود، (ت 951 هـ)، طباعة ونشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
20. التفسير الأصفى: المولى محمد محسن الفيض الكاشانى (ت 1091 هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث

والدراسات الإسلامية، المحققان: محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي، الطبعة الأولى 1418 ق، 1376 ش، منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

21. تفسير الآلوسي: الآلوسي (ت 1270 هـ)، مجهولة.

22. تفسير الأمل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى 1421 هـ.

23. تفسير البغوي: البغوي (ت 510 هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مطبعة ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

24. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت 427 هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

25. تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي (ت 383 هـ) تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، منشورات دار الفكر.

26. تفسير السمعاني: السمعاني (ت 489 هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى 1418-1997، منشورات دار الوطن، الرياض - السعودية.

27. التفسير الصافي: محسن الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ) تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي الطبعة الثالثة 1416 هـ، مطبعة مؤسسة الهادي، قم المقدسة، منشورات مكتبة الصدر، طهران - إيران.

28. تفسير العياشي: أبو النضر، محمد بن مسعود بن عياش السلمي، السمرقندي (ت 320 هـ) تحقيق: الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

29. تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ) تحقيق: أحمد بن العليم البردوني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

30. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت 329 هـ) تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف 1387 هـ، منشورات مكتبته الهدى.

31. تفسير النسفي: النسفي (ت 537 هـ)، مجهولة.

32. تفسير جامع البيان: ابن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

33. تفسير مجمع البيان: أمين الإسلام الطبرسي (ت 560 هـ) تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى 1415 هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

34. تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي (ت 606 هـ)، الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

35. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي العروسي الحويزي (ت 1112 هـ) تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة 1412 هـ مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.

36. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): الأمير الزاهد أبو الحسن ورام بن أبي الفراس الأشتري (ت 605 هـ)، مكتبة الفقيه، قم - إيران.

- حرف الثاء -

37. الثاقب في المناقب: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي، المعروف بابن حمزة (ت 560 هـ) تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية 1412 هـ، منشورات مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة.

- حرف الجيم -

38. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (ت 1209 هـ) تحقيق وتعليق: السيّد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

39. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) الطبعة الأولى 1401 هـ - 1981 م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

40. جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى 1418 هـ.

41. جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي (ت 1266 هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، الطبعة الثانية 1365 ش، منشورات دار الكتب الإسلامية - طهران.

42. جواهر المطالب:، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت 871 هـ) تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى 1415 هـ، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة.

- حرف الحاء -

43. حاشية ردّ المختار: ابن عابدين (ت 1252)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، سنة الطبع: 1415-1995 م منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

- حرف الخاء -

44. الخرائج والجرائح: قُطب الدين الراوندي (ت 573 هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسة.

45. خصائص الأئمة: الشريف الرضى (ت 406 هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، نشر: مجمع البحوث الإسلامية في الإستانة الرضوية المقدسة - مشهد المقدسة، طبعة عام 1406 هـ.

46. الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جماعة المدرسين - قم المقدسة، بدون تاريخ.

- حرف الدال -

47. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1365 هـ.

48. الدعوات: أبو الحسين، سعيد بن هبة الله، المشهور بقطب الدين الراوندي (ت 573 هـ)، الطبعة الأولى 1407 هـ، منشورات مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم المقدسة.

49. ديوان ميراث المنبر: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت 1428 هـ)، طبع ونشر: دار المنصوري، الطبعة الأولى 1423 هـ.

- حرف الراء -

50. روضة الواعظين: محمد بن الفثال النيسابوري (ت 508 هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخراسان، منشورات الشريف الرضى - قم المقدسة.

51. رياض المدح والثناء: الشيخ حسين علي سلمان البلادي البحراني، انتشارات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الرابعة 1426 هـ.

- حرف الزاي -

52. زاد المسير: ابن الجوزي (ت 597 هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى 1407 هـ، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- حرف الشين -

53. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت 1081 هـ).

54. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة منشورات المرعشي النجفي، نشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

55. الشفاء الروحي: عبد اللطيف البغدادي، معاصر.

56. شواهد التنزيل: عبيد الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني (ت القرن الخامس الهجري)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1990 م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران - إيران.

- حرف الصاد -

57. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى 1376 هـ - 1956 م، منشورات دار العلم للملايين، القاهرة.

58. الصحيفة السجّادية: الإمام زين العابدين عليه السلام (ت 94 هـ) المطبعة والنشر جماعة المدرّسين - قم المقدّسة.

59. الصراط المستقيم: الشيخ زين الدين، أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت 877 هـ)، صحّحه وحقّقه وعلّق عليه: محمد الباقر البهبودي، عُنت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى 1384 هـ.

- حرف العين -

60. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381 هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، طبعة عام 1386 هـ.

61. عمدة الطالب: جمال الدين، أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت 828 هـ) تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية 1380 هـ - 1961 م، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

62. عمدة القارئ: العيني، (ت 855 هـ) مطبعة ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

63. العهود المحمّدية: عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ)، الطبعة الثانية 1393 هـ - 1973 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، شريف محمود الحلبي وشركاه خلفاء.

64. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381 هـ) تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى 1404 هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

65. عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي (ت القرن السادس)، تحقيق: حسين الحسنی البيرجندی، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى 1376 ش.

- حرف الغين -

66. غاية المرام: السيد هاشم البحراني (ت 1107 هـ) تحقيق: السيد عاشور.

67. الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (ت 1392 هـ) الطبعة الرابعة 1397 هـ - 1977 م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- حرف الفاء -

68. فتح الباري: ابن حجر، شهاب الدين العسقلاني (ت 852 هـ) الطبعة الثانية، طباعة ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

69. فتح القدير: الشوكاني (ت 1255 هـ) منشورات عالم الكتب.

70. فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1331 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ.

- حرف القاف -

71. قرب الإسناد: السيد الحميري أبو العباس عبد الله البغدادي (ت 300 هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1413 هـ.

72. قصص الأنبياء: قطب الدين، سعيد بن هبة الله الراوندي (ت 573 هـ) تحقيق: غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1376 ش، منشورات الهادي.

73. قصص الأنبياء: السيد نعمة الله الجزائري (ت 1112 هـ)، بدون تاريخ.

- حرف الكاف -

74. الكافي: الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة 1388 هـ.

75. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، (ت 367 هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي الطبعة الأولى 1417 هـ، جماعة المدرّسين، منشورات مؤسسة الفقاهة.

76. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (ت 630 هـ)، الطبعة الأولى 1407 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

77. كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 170 هـ) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية 1409 هـ، مؤسسة دار الهجرة.

78. الكشاف: الزمخشري (ت 538 هـ) سنة الطبع 1385 هـ 1966 م، منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.

79. كشف الغمّة: الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت 693 هـ)، الطبعة الثانية 1405 هـ، دار الأضواء، بيروت.

80. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصّدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381 هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

81. كنز العمال: علاء الدين علي المتّقى بن حسام الدين الهندي، (ت 975 هـ)، تحقيق: الشيخ بكرى حياني والشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة 1409 هـ - 1989 م بيروت - شارع سوريا.

82. كنز الفوائد: المحدث الخبير العلّامة أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي (ت 449 هـ)، الطبعة الثانية 1410 هـ، منشورات مكتبة المصطفوي، قم المقدّسة.

- حرف اللام -

83. لسان العرب: ابن منظور (ت 711 هـ)، نشر أدب الحوزة قم - إيران، 1405 هـ.

84. اللهوف: السيد ابن طاووس (ت 664 هـ) الطبعة الأولى 1417 هـ، منشورات أنوار الهدى، قم المقدّسة.

85. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، المترجم: عبد الرحيم عفيفي بخشايشي، الطبعة الخامسة 1378 ش، انتشارت دفتر نشر مؤيد إسلام، قم المقدّسة.

- حرف الميم -

86. مثير الأحزان: ابن نما الحلّي (ت 645 هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعة عام 1359 هـ.

87. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت 1085 هـ) تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية 1408 هـ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.

88. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت 807 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام 1408 هـ.

89. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: الشيخ محمد الهنداوي، منشورات الشريف الرضي، بدون تاريخ.

90. المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 247 هـ) تحقيق وتعليق: السيد جلال الدين

الحسيني (المحدث) الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران 1370 هـ

91. مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت 1107 هـ) تحقيق: الشيخ عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى 1413 هـ.

92. المزار، محمد المشهدي (ت 610 هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، انتشارات القيوم، الطبعة الأولى 1419 هـ.

93. المستدرک علی الصحيحين: الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ) تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشي.

94. مستدرک وسائل الشيعة: الشيخ النوري الطبرسي (1320 هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية 1408 هـ.

95. مُسكن الفؤاد: الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي (ت 966 هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسة، الطبعة الأولى 1407 هـ.

96. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) دار صادر، بيروت - لبنان.

97. مشكاة الأنوار: أبو الفضل على الطبرسي (ت القرن السابع)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الثانية 1385 هـ.

98. مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت 460 هـ) الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م، منشورات مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.

99. المصباح: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي، (ت 905 هـ)، الطبعة الثالثة 1403 هـ - 1983 م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.

100. المعجم الأوسط: الحافظ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ) تحقيق ونشر: قسم التحقيق بدار الحرمين 1415 هـ - 1995 م.

101. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامية، 1404 هـ.

102. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ)، الطبعة الثانية 1404 هـ، منشورات دفتر نشر الكتاب.

103. مقتل الحسين (أبو مخنف): لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدي (ت 157 هـ)، تحقيق: الميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، انتشارات المرعشي النجفي، طبعة عام 1398 هـ، قم.

104. المقنعة: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي العكبري (ت 413 هـ)، الطبعة الثانية 1410 هـ.

ه، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

105. مكارم الأخلاق: الطبرسي الحسن بن الفضل بن حسن، من أعلام القرن السادس الهجري (ت 548 هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسة، الطبعة السادسة 1392 هـ.

106. مَنْ لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت 381 هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة جماعة المدرّسين، قم المقدّسة

107. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت 588 هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعة عام 1376 هـ.

108. منية المريد: الشيخ زين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (ت 911-965 هـ) تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى 1368-1409 ش، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

109. ميزان الحكمة: الشيخ محمد الري شهري، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.

110. الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت 1402 هـ)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة.

- حرف النون -

111. نهج الإيمان: ابن جبر، زين الدين، علي بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع الهجري، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى 1418 هـ، منشورات مجمع الإمام الهادي عليه السلام مشهد المقدّسة.

112. نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت 40 هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة.

- حرف الواو -

113. وسائل الشيعة: الحر العاملي (ت 1104 هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية 1414 هـ، المطبعة مهر - قم.

114. وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت 681 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

115. بداية المعارف الإلهية: السيد محسن الخراساني، معاصر، الطبعة الخامسة 1418 هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة.

116. مقدمة في أصول الدين: الخراساني، الشيخ حسين الوحيد، معاصر، مجهولة.

117. أعيان الشيعة: الأمين، السيد محسن، (ت 1371 هـ)، تحقيق: حسن الأمين، منشورات دار

118. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: السيد مهدي الصدر، (حتى سنة 1390 هـ)، منشورات دار الكتاب الإسلامي
119. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، معاصر، الطبعة الأولى 1418 هـ، الناشر المؤلف.
120. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن أبي الحسن الديلمي (ت القرن الثامن الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
121. التمهيد: محمد بن همام الإسكافي (ت 336 هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسة.
122. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت 652 هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطية.
123. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (ت 571 هـ)، تحقيق: علي شيرى، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان 1415 هـ.
124. السنن الكبرى: النسائي، (ت 303 هـ)، الطبعة الأولى 1348 هـ - 1930 م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
125. مسند أبي يعلى الموصلي: أبو يعلى الموصلي، (ت 307 هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، منشورات دار المأمون للتراث.
126. دعائم الإسلام: القاضي النعمان المصري (ت 363 هـ) تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضى، منشورات دار المعارف القاهرة 1963 م.
127. الأمالى: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبرى البغدادي (ت 413 هـ) تحقيق: حسين الاستادومى، على أكبر الغفارى، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1993 م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.
128. ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)، المطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية 1368 ش، منشورات الشريف الرضى.
129. ديوان السيد رضا الهندي: السيد رضا الموسوى الهندي (ت 1362 هـ)، تحقيق: السيد موسى الموسوى، مراجعة وتعليق: السيد عبد الصاحب الموسوى، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1988 م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

130. معارج اليقين فى أصول الدين: الشيخ محمد بن محمد السبزواري، المتوفى فى القرن السابع، تحقيق: علاء آل جعفر، الطبعة الأولى 1410 هـ - 1993 م، منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسة.

131. أدب الإملاء والإستملاء: أبو سعيد، عبد الكريم بن محمد منصور التميمي السمعاني (ت 562 هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، بإشراف مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1989 م، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت - لبنان.

132. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت 460 هـ) المطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة 1365 ش.

133. العروة الوثقى: السيد محمد كاظم اليزدى (ت 1337 هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامى، الطبعة الأولى 1417 هـ، قم المقدسة.

134. عدة الداعى: ابن فهد الحللى (ت 841 هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد الموحّد القمى، منشورات مكتبة وجدانى، قم المقدسة.

135. كتاب الزهد: الحسين بن سعيد الكوفى، المتوفى فى القرن الثالث الهجرى، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية قم المقدسة 1399 هـ.

136. المقنع: الشيخ الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، (ت 381 هـ)، منشورات مؤسسة الإمام الهادى عليه السلام 1415 هـ.

137. حلية الأبرار: السيد هاشم البحرانى (ت 1107 هـ) تحقيق: الشيخ غلام الرضا البروجردى، الطبعة الأولى 1411 هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران.

138. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلانى الصنعانى (ت 1182 هـ) منشورات دار الفكر، تحقيق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولى، الطبعة الرابعة 1379 هـ - 1960 م، منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر - محمود نصار الحلبي وشركائه.

139. مغنى المحتاج: الشيخ محمد الشربيني الخطيب (ت 977 هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان 1377 هـ - 1958 م.

140. الدرة الباهرة: الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين مكى العاملى الجزينى (ت 786 هـ)، الطبعة الأولى 1379 ش، منشورات زائر - قم المقدسة.

141. نظم درر السمطين: جمال الدين الزرندي الحنفى (ت 750 هـ) الطبعة الأولى 1377 هـ - 1958 م.

142. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضى أبو الفضل عيّاى اليحصبى (ت 544 هـ) دار

143. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت 748 هـ) تحقيق: العرقسوسي، وثامون صاغرجي، الطبعة التاسعة 1413 هـ منشورات الرسالة، بيروت - لبنان.

144. الآحاد والمثاني: الضحّاك (ت 287 هـ) تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م منشورات درّ الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية - الرياض.

145. تفسير العزّ بن عبد السلام: العزّ بن عبد السلام (ت 660 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى 1416 هـ - 1996 م، منشورات دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

146. الدرّ النظيم: ابن حاتم العاملي، (ت 664 هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

147. كتاب سليم بن قيس: أبو صادق، سليم بن قيس الهلالي (ت 76 هـ) تحقيق: محمد باقر الأنصاري، غير مؤرّخة.

148. شرح مئة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام: كمال الدين، ميثم بن علي البحراني (ت 679 هـ) تحقيق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

149. الأذكار النووية: النووي (ت 676 هـ)، 1414 هـ - 1994 م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

150. الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمّي والد الشيخ الصدوق (ت 329 هـ) تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدّسة.

151. كتاب الصمت وآداب النفس: ابن أبي الدنيا (ت 281 هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الطبعة الأولى سنة 1410 هـ، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

152. المعجم الكبير: الطبراني (ت 360 هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، منشورات دار إحياء التراث العربي.

153. منهاج الكرامة: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت 726 هـ)، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الطبعة الأولى 1379 ش، منشورات تاسوعاء - مشهد المقدّسة.

154. منتهى الآمال: الشيخ عبّاس القمي (ت 1359 هـ) ترجمة السيد هاشم الميلاني، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين قم المقدّسة.

155. تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت 352 هـ) تحقيق: محمّد الكاظم، الطبعة الأولى 1410 هـ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

156. بناء المقالة الفاطمية: السيد ابن طاووس (ت 664 هـ) تحقيق: السيد علي العدناني الغريفي،

الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة.

157. شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي (ت 1411 هـ) تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم - إيران.

158. دلائل الإمامة: الشيخ الطبري الإمامي، المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى 1413 هـ، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.

159. إختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت 460 هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأسترابادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، سنة الطبع 1404 هـ، منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.

160. بصائر الدرجات: الشيخ محمد بن الحسن الصفار (ت 290 هـ) تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، الطبعة 1362 هـ ش 1404 هـ ق منشورات مؤسسة الأعلمي، طهران.

161. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت 573 هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة

162. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت 427 هـ) تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

163. تفسير البيضاوي: البيضاوي (ت 682 هـ) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

164. تفسير أبي السعود: أبو السعود (ت 951 هـ)، طباعة ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

165. رياض السالكين: السيد علي خان المدني الشيرازي (ت 1120 هـ) تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الرابعة 1415 هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

166. تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: محب الدين الأفندي (ت 1016 هـ) منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

167. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن المتوفى في القرن الخامس الهجري، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة الطبعة الأولى 1408 هـ.

168. الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي (ت 1359 هـ)، مكتبة الصدر طهران، بتقديم محمد هادي الأميني.

169. الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت 318 هـ)، نشر وتحقيق: غلام رضا المازندراني، المطبعة العلمية، قم 1412 هـ.

170. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381 هـ)،

تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة 1379 هـ.

171. الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت 630 هـ) سنة الطبع 1386 هـ - 1966 م، منشورات دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
172. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخوارزمي، الموفق أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت 568 هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية 1411 هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
173. البداية والنهاية: أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، (ت 774 هـ)، الطبعة الأولى 1408 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ينابيع المودة: القندوزي (ت 1294 هـ) تحقيق: السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى 1416 هـ، منشورات دار الأسوة للطباعة والنشر.
174. تفسير كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدي (ت 1125 هـ) تحقيق: مجتبی العراقي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم المقدسة 1407 هـ.
175. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (ت 256 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1401 هـ - 1981 م.
176. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
177. كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي (ت 314 هـ) تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى سنة 1411 هـ طباعة ونشر دار الأضواء، بيروت - لبنان.
178. بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري الإمامي (ت 525 هـ) تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى 1420 هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم المقدسة
179. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: السيّد ابن طاووس عليّ بن موسى بن طاووس، (ت 664 هـ)، الطبعة الأولى 1371 هـ، المطبعة خيام، قم المقدسة.
180. كفاية الأثر: الخزّاز القمي (ت 400 هـ) تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوني، المطبعة خيام - قم، منشورات بيدار.
181. الثاقب في المناقب: الشيخ ابن حمزة الطوسي (ت 560 هـ)، تحقيق: الأستاذ نبيل رضا علوان، المطبعة الصدر، قم المقدسة، الطبعة الثانية 1412 هـ، نشر مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة.

182. العقد النضيد والدّرّ الفريد: مُحمّد بن الحسن القمي، المتوفّى في القرن السابع الهجري، تحقيق: عليّ أوسط الناطقي، الطبعة الأولى 1423 هـ، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.
183. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي، (ت 204 هـ)، منشورات دار المعرفة، بيروت - لبنان
184. صحيح ابن حبان: ابن حبان (ت 354 هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1993 م، منشورات مؤسسة الرسالة.
185. تحفة الأحوذى: المباركفوري، (ت 1282 هـ) الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
186. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، (ت 273 هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
187. تهذيب الكمال: جمال الدين المزي (ت 742 هـ) تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الطبعة الرابعة 1406 هـ - 1985 م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
188. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت 748 هـ) تحقيق: العرقسوسي، ثامون صاغرجي، الطبعة التاسعة 1413 هـ منشورات الرسالة، بيروت - لبنان.
189. الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي (ت 1104 هـ) تحقيق وإشراف: محمّد القائيني، الطبعة الأولى 1418 هـ منشورات مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.
190. محاسبة النفس: الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت 905 هـ) تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعة الأولى 1413 هـ، منشورات مؤسسة قائم آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم.
191. اليقين: السيد ابن طاووس، (ت 664 هـ)، تحقيق: الأنصاري، الطبعة الأولى 1413 هـ، منشورات مؤسسة دار الكتاب (الجزائري).
192. الصوارم المهرقة: الشهيد نور الله التستري (ت 1019 هـ)، تحقيق: جلال الدين المحدّث، سنة الطبع 1367، مطبعة نهضت
193. تخريج الأحاديث والآثار: الزيعلي، (ت 762 هـ) تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1414 هـ، المطبعة الرياض دار ابن خزيمة، منشورات دار ابن خزيمة.
194. وفيات الأعيان:، ابن خلكان، (ت 681 هـ) تحقيق: إحسان عباس المطبعة التبان منشورات دار الثقافة.
195. نخبة اللثالي: محمد بن سليمان الحلبي (ت 1228 هـ)، منشورات مكتبة الحقيقة، إسطنبول، تركيا.

196. مسند الحميدى: عبد الله بن الزبير الحميدى، (ت 219 هـ) تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمى، الطبعة الأولى 1409 هـ، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت.
197. منتقى الجمان: جمال الدين أبو منصور، الحسن بن زين الدين الشهيد (ت 1011 هـ)، صححه وعلّق عليه: على أكبر الغفارى، الطبعة الأولى 1362 ش، منشورات جماعة المدرّسين فى الحوزة العلمية بقم المقدّسة.
198. أصول الفلسفة والمنهج الواقعى: العلامة محمد حسين الطباطبائى (ت 1402 هـ)، تقديم وتعليق: الشهيد مرتضى المطهرى، ترجمة: السيد عمّار أبو رغيف، منشورات المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع
199. مصادقة الإخوان: الشيخ الصدوق، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى (ت 381 هـ)، إشراف: السيد على الخراسانى الكاظمى، منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف العامّة، الكاظمية - العراق، ليتوغراف الكرمانى قم - عشقعلی 1402 هـ - 1982 م.
200. الأربعون حديثاً: الشهيد الأول، محمّد بن جمال الدين مكى العاملى الجزینى (ت 786 هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف برعاية: السيد محمد باقر الموحد الأبطحى الأصفهاني، قم المقدّسة 1407 هـ.
201. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت 1400 هـ)، الطبعة الثالثة 1981 م، منشورات دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
202. بنور فاطمة أهدت: عبد المنعم حسن، معاصر، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م، منشورات دار المعروف، بيروت - لبنان

المحاضرة الأولى: حكمة الخلق 9

المحاضرة الثانية: الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر 27

المحاضرة الثالثة: زاد السفر إلى الله تعالى 37

المحاضرة الرابعة: الصلاة حصن المؤمن 45

المحاضرة الخامسة: ذكر الله 55

المحاضرة السادسة: حُسن الخلق 69

المحاضرة السابعة: الظلم 79

المحاضرة الثامنة: الخوف من الله تعالى 89

المحاضرة التاسعة: الفحش والسب والقذف 100

المحاضرة العاشرة: الكلم الطيب 108

المحاضرة الحادية عشرة: حقوق الوالدين والأرحام 118

المحاضرة الثانية عشرة: الصداقة والأصدقاء 133

المحاضرة الثالثة عشرة: الجار والجوار 145

المحاضرة الرابعة عشرة: تزكية النفس ومحاسبتها 155

المحاضرة الخامسة عشرة: حقوق الأئمة عليهم السلام 165

المحاضرة السادسة عشرة: حبّ النبي وأهل بيته عليهم السلام 181

ص: 337

المحاضرة السابعة عشرة: الفوز فى الدارين 194

المحاضرة الثامنة عشرة: الغيبة وآثارها 209

المحاضرة التاسعة عشرة: صنوف المواعظ 222

المحاضرة العشرون: الحجاب وآثاره 232

المحاضرة الحادية والعشرون: ليلة القدر 243

المحاضرة الثانية والعشرون: فضل القرآن 246

المحاضرة الثالثة والعشرون: الورع والحلم والمداراة 246

المحاضرة الرابعة والعشرون: حقّ الصدقة 246

المحاضرة الخامسة والعشرون: سيد الأعمال 246

المحاضرة السادسة والعشرون: التفاخر والتكاثر 246

المحاضرة السابعة والعشرون: الصراط 246

المحاضرة الثامنة والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين 246

المحاضرة التاسعة والعشرون: من أحب السبل إلى الله 246

المحاضرة الثلاثون: العيد 246

فهرست أهمّ المصادر 246

المحتويات 246

ص: 338

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايضاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

